من المسرح العالمي

العددان
٢٧٨ - ٢٧٩

المؤامرة والحب

تأليف : فريدريش شلر

ترجمة وتقديم : د. عبدالرحمن بدوي

لا مزاح في الحب

تأليف : ألفريد دي موسيه

ترجمة وتقديم : نور الدين خضور

مراجعة : د. جلال حافظ

يوليو ١٩٩٤
أغسطس ١٩٩٤

المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب - دولة الكويت

العددان
٢٧٨ـ٢٧٩

من المسرح العالمي

المؤامرة والحب

تأليف : فريدريش شلر

ترجمة وتقديم : د. عبدالرحمن بدوي

لا مزاح في الحب

تأليف : ألفريد دي موسيه

ترجمة وتقديم : نور الدين خضور

مراجعة : د. جلال حافظ

سلسلة شهرية تصدر عن

المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ـ دولة الكويت

ـوليو ١٩٩٤

غسطس ١٩٩٤

المراسلات :

توجه باسم السيد الأمين العام للمجلس الوطني للثقافة والفنون والاداب

ص. ب ٢٣٩٩٦ ـ الصفاة. الكويت 13100

المؤامرة والحب

تأليـــــف : فريدريش فون شلر
ترجمة وتقديم : د. عبدالرحمـــــن بدوي

العنوان الأصلي للمسرحية

Kabale Und Liebe

By

Friedrich Schiller

مقدمة

هذه المسرحية، «المؤامـرة والحب»، قد ألفها فريدريـش فون شلر (١٧٥٩ ـ ١٨٠٥) نثـرا في الفترة مابين أكتـوبر ١٧٨٢ ومنتصـف يوليـو سنة ١٧٨٣. وصدرت الطبعة الأولى منها في ١٧٨٤ بمدينة مانهيم Mannhaim.

ومثلت لأول مرة على مسرح في فرانكفورت على نهر المايـن في يوم ١٣ أبريل سنة ١٧٨٤.

وكان عنـوانها الأصلي هو «لويـزة ملر» وهـي بطلة المسرحية. لكـن الممثل الرئيسي لهذه المسرحيـة حين مثلت لأول مرة، وهـو أوجست فلهلـم افلند Iff-land (١٧٥٩ ـ ١٨١٤) قد غير عنوانها إلى: «المؤامرة والحب» ليكون أكثر تعبيرا وأوقع في النفس. ووافق شلر على هذا التعديل للعنوان ومنذ ذلك الحين صارت المسرحية تطبع تحت هذا العنوان: «المؤامرة والحب».

وتندرج هـذه المسرحية في النوع من المسرحيـات التي تسمى بـاسم «المآسي البرجـوازية»، وهـو اصطـلاح نشأ في منتصـف القـرن الثـامن عشر في ألمانيـا للدلالـة على المأساة التي تـدور في وسط بـرجوازي، أي ليس وسـط النبلاء، وتكون مكتوبة بالنثر، لا بالشعر. ذلـك لأن أرسطو في كتابه «فن الشعر» كان قد قـرر أن المأساة يجب أن يكون شخوصهـا من الملوك والنبلاء. فجـاء لسنج Lessing (١٧٢٩ ـ ١٧٨١) فعارض رأي أرسطو هذا لأسباب عملية ونظرية معا. وكتـب أولا مسرحية «مـس سارة سـامبسون» سنـة ١٧٥٥ ووصفها على صفحة العنوان بوصف «مأساة»، ولكن أشخـاصها هم من الطبقة الوسطى،

وقد كتبها نثرا ثم كتب بعد ذلك مـأساة بعنوان «إميليا جالوتي» (سنة ١٧٧٢) تعد أحسـن مثال لهذا النوع من المآسي. وكـان لموقف لسنج هـذا تأثير كبير في الحركة الأدبيـة في النصف الثاني مـن القرن الثامـن عشر في ألمانيا والتي تـوسم باسم «العاصفة والاندفاع». فظهـرت المسرحيات التي من نوع المأساة، والتي تعالج المشاكل الاجتماعية في المجتمع الألماني المعاصر آنذاك.

ومن هنا تجد شلـر يضع تحت عنوان مسرحيتنا هذه الوصـف: «مأساة برجـوازية» وإن كـان أحد طـرفي هذه المأساة نبيـل وليس بـرجوازيـا وهو فردنيند فون فـالتر. بل إن التوتر الرئيسي فيها هو بين النبـالة والبرجوازية، والعقدة فيهـا تقوم على النزاع بين الحب الصَافي بين فـردنيند النبيل ولـويزة التي هي من الطبقة الوسطى.

وخلاصـة مسرحيتنا هذه هـي أن فردنيند فـون، وهو ابن رئيـس الوزراء في دوقية ألمانية ذات حكم دكتاتوري محض، قد وقـع في غرام ابنة عازف موسيقى يدعى ملر Mller كان قد جاء إليه فردنيند ليتلقى عنده دروسا في العزف على الفلوت. ولما كـان رئيس الـوزراء هذا رجـلا طموحـا جدا لا يـرعى أي مبـدأ أخلاقـي في سبيل تحقيق مطـامعه في النفوذ والسلطـة، فإنه أراد أن يـزوج ابنه فردنيند مـن خليلة أمير الدوقية، وتدعـى ليدي ملفورد حتى يـزداد نفوذه عند الدوق ويستـوثق. لكن فـردنيند، ابنه، يـرفض الإذعـان لهذه الرغبة الأبـوية المخـالفة للشرف، ولا يـريد أن يتخلى عـن غرامـه بابنـة عازف الموسيقـى على تواضع أصلها.

ولكي يصرف الأب ابنه عن هذه الفتاة فكـر، بالتدبير مع سكرتيره الخبيث فـورم Wurm في حيلة جهنمية، وهـي أن يرغما لويزة، حبيبـة فردنيند، على

كتابة رسالة غـرامية إلى مدير البلاط ، وأن يجعلا هذه الرسـالة تصل -صدفة- إلى مـدير البـلاط ، وأن يعلـم بها فردنينـد ، حتى يـرى الـدليل المكتـوب على خيـانتها لـه . ولإرغامهـا على ذلك أصـدر الرئيـس فالتر أمـرا بسجن عـازف الموسيقى ، أبيها .

وبحميـة العاشـــق الأهـــوج المتـسرع يذهـب فـردنينـد إلى بيت عـازف الموسيقى -وقـد أفرج عنـه بعد أن كتبت ابنتـه تلك الرسـالة- ليحـاسبها على خيانتها ، وبعد مشادة حادة بين العاشق والمعشوقة ووالدها صمم فردنيند على قتلها بدس السـم لها في شراب من عصير الليمـون . وشرب العاشق والمعشوقة من هذا الشراب السام ، فماتت لويزة أولا لعـدم احتمال بنيتها الرقيقة ، وتلاها قاتلها الشـاب . وكان قد طالبهـا بأن تقر بأنها هـي التي كتبت رسالـة الغر ام تلك الموجهة إلى مدير البلاط وبنصيحة من والـدها أقرت بذلك . لكنها وهي تصارع سكرات الموت من جراء تناولها للشراب المسموم تعترف له بالمؤامرة التي دبرهـا أبوه مـع سكرتيره فـورم . فتثور ثائرة فـردنيند على أبيـه ، لكن أبـاه يتهم سكرتيره فورم بأنه هو الذي دبر هذه المؤامرة ، وأمام ذلك لم يكن أمام فورم هذا إلا أن يعترف بمسئوليته ، ولكن بالاشتراك مع رئيس الوزراء في نفس الجريمة . وأمـام هـذه الشـواهـد الـدامغة يضطـر رئيـس الـوزراء أن يعترف هـو الآخـر بمسئوليته عن هذه المؤامرة ، ويسلم نفسه للعدالة لتقتص منه .

وفي موازاة هـذه الأحداث نجد شخصية الليـدي ملفورد ، التي كانـت قد لجأت وهـي فتـاة صغيرة في الثـانيـة عشر من عمـرهـا ، وسليلـة آل ملفـورد ، الدوقات الإنجليز الأقويـاء في القرنين السادس عشر والسابع عشر، لجأت إلى هامبورج في ألمانيا ، وهنـاك سمع بها الدوق ، زير النساء الفاجـر ، فاصطنعها

خليلة له، وصــارت ذات نفوذ هائل في بلاده. لكنهــا زعمت أنها كانت تـريد توجيه هذا النفوذ لصالح شعب الدوقيـة الذي كان بائسا مرهقا بطغيان الدوق الذي كــان يبيع أبناء هــذا الشعب لتجار الـرقيق الذيـن يرسلون هـؤلاء الأبناء للعمل في أمريكا.

وواضح أن شلر استخدم شخصية ليدي ملفورد لفضح استبداد الدوقات في ألمانيا في ذلك العصر. ولما لم يفلح مشروع زواجها من فردنيند الذي أبى بكل شموخ ونبالة أن يعقد قرانه على هــذه «المومس»، قررت هي أن تهرب من هذه الدوقية المليئة بــالفساد والاستبداد، وكأن روح جدها دوق فورفـولك قد بعثت فيها!!

وفي مقابــل فساد الارستقراطيــة يصور شلر أسرة عــازف الموسيقى المسكين تصويرا يرفـع من مكانتها. إن هذا الموسيقي وزوجته وابنتــه يمثلون البرجوازية الصغيرة بأمانتها وطيب أخلاقها وتمسكهــا بالشرف والمبادئ الدينية القويمة، كما تمثل هــذه الطبقة الوسطـى أيضا في ضعفها وخنوعهــا للأقويــاء واحترامها الذليل للنبلاء والسادة، وحرصها على المنــافع المادية والتطلع إلى الارتفاع فوق طبقتها. فلا شك أن الوالد والوالدة كليهما مسئول عن المأساة التي انتهت إليها ابنتهما، لأنهما غضا النظـر عن سلوك ابنتهما في علاقتهــا الغرامية الفاسقــة مع الرائد النبيل فـردنيند. والطمع طبعا هــو الذي جعلهما -كما قال الرئيــس فون فالتر- يتغاضيــان عن علاقة ابنتهما بفــردنيند. ولو كانــا أمينين حقا على شرف ابنتهما لكانــا قد أجبرا ابنتهما منذ البــداية على قطع كــل علاقــة مع هذا الـولد المتلاف الذي لا يمكن أن يقترن بها لأن هذا يقضي على مستقبله كله.

وهكذا نجـد أن الجميع آثمون: النبـلاء وأبناء الطبقة الـوسطى الصغيرة:

الأولون باستبدادهم وغطرستهم، والآخرون بطمعهم الذليل وهوانهم المغروز في طباعهم.

تحليل الشخصيات الرئيسية

١ - فردنيند

شاب نبيل أبوه هو رئيس الوزراء، وتخرج في الجامعات الألمانية حيث تشرّب ببعض مبادئ حركة التنوير التي انتشرت في أوربا بعامة، وفي ألمانيا بخاصة. ومكنته طبقته الاجتماعية ونفوذ أبيه من أن يكون ضابطا برتبة «رائد» Magir في الحرس الخاص بالدوق. فتنازعت نفسه نزعتان: إحداهما إلى مبادئ الحرية والإنسانية وسموّ النفس، والأخرى محتجزة إلى أصله النبيل والقيم الأرستقراطية ومن ثم كان التوتر الشديد في نفسيته لقد كان، بالنزعة الأولى، يرنو إلى التحرر من الأحكام السابقة الشائعة في طبقته، وبالنزعة الثانية مضطرا إلى الالتزام بالمعايير الارستقراطية.

وقد أوقعه حبه لفتاة برجوازية في حرج بالغ: إنه لا يستطيع أن يقترن بها دون أن يؤثر ذلك في مستقبله وتطلعاته الاجتماعية، كما أنه لا يستطيع أن يجعلها مجرد خليلة لقضاء ملذاته، لأن هذه الفتاة متدينة، حريصة على كرامتها وشرفها.

وهو في الوقت نفسه شاب طائش متهور، غيور بدرجة جنونية. لهذا استطاع أبوه المحنك الماكر وسكرتيره الشيطان أن يدبرا له المؤامرة التي قصد منها إبعاده عن تلك الفتاة البرجوازية التي أدرك أبوه أنها ستكون عقبة كأداء في سبيل مستقبل ابنه. وهذه المؤامرة تقوم بإرغام الفتاة على كتابة رسالة غرام

إلى شخص إمعة عديم الكرامة هو مدير البلاط . وما أن علم فردنيند بهذه الرسالة حتى ثارت ثائرته ومسّه الشيطان . فلم يتحر في الأمر طويلا ، وكان الأحرى به أن يساوره الشك الشديد لأن الفتاة في سن السادسة عشرة ، بينما مدير البلاط المرسلة إليه الرسالة كان في سن بالية ، ولا ينتظر من فتاة صغيرة كهذه أن تغازله وتبث إليه غرامها المزعوم .

ودليل آخر على أفنه وسخافة عقله أنه لم يضح بهذا الحب الصبياني في سبيل تحقيقه المثل العليا في الحرية والكرامة الإنسانية وتحرير الشعب ، وهي المثل التي تلقنها في الجامعة وطالما رددها على أساتذته . لقد كان عليه أن يدوس على قلبه ابتغاء أن يحقق هذه القيم السامية للشعب الذي انتسب إليه .

وهو مثال للولد المتلاف المدلل الذي لا يرعى حرمة لأحد ، حتى لأبيه . فهو سريع اللجوء إلى التهديد بسيفه ، وهو شكس الطباع ميال إلى السباب والمشاجرة .

٢- لويزة

أما حبيبته لويزة فهي فتاة في السادسة عشرة من عمرها ، شديدة التقوى ، لينة الطبع ، رقيقة الحاشية ، متواضعة النفس ، خفيضة الجناح . وكانت جميلة ، شقراء الشعر ذات عينين تحاكيان الزهرة التي تسمى بالألمانية : «لا تنسني» . وكانت متحفظة حبيبة ، ولكنها تشعر برسوخها في المجتمع الذي تعيش فيه . وتربيتها في منزل أبيها قد بثت فيها احترام الوالدين ، والرضا بالوضع الثانوي الذي للمرأة في المجتمع . والحب في نظرها أمر يتعلق بالقلب ، ولا شأن له بالتطلعات الاجتماعية . والطاعة ، والأمانة ، والصدق

هي المبادئ العليـا للسلوك في نظرها وهـي تكره ما في حياة القصر مـن خلاعة وفساد وانفـلات من الالتزامـات الأخلاقيـة وهواياتها هـي العزف على الآلات الموسيقيـة -والبيانـو بخـاصة- وقـراءة القصص وهـي حـريصة على حضـور الصلوات في أيام الآحاد، وتستظهر الكثير من أقوال المسيح.

وهي أبيّة رغـم فقرها ومهانة أصلهـا - لا تقبل أن تعمل خادمـة عند هذه «الداعرة» الليدي ملفورد، خليلة الدوق. ولم تتخل عن مبادئها الأخلاقية إلا حينما تعلق الأمر بخلاص والدها مـن السجن وربما من المشنقة، حينما وضعه الرئيـس فون فـالتر في السجن متهما إياه بـإهانـة ذات الدوق. فجـاء سكرتير الرئيـس، هذا الشيطان الخبيث فـورم، فعرض عليها هذه الصفقـة: وهي أن تكتب الرسـالة الغرامية إلى مديـر البلاط، لقاء الإفراج عن أبيهـا. فأسقط في يدها واضطرت إلى كتابتها تحت إملاء هذا الشيطان الخبيث.

ودس فـردنينـد السـم في شراب عصير الليمون الـذي حضّرتـه هـي، مستغفلا إياهـا حين خرجت من الغرفة للحظـة من الزمن ـ وتنـاولت هي من هذا الشراب المسموم، ثم بدأ أثر السـم بعد قليل، وأحست هي بدنو موتها ـ واعترف لها فردنيند بأنه هو الـذي وضع السم انتقاما منها لخيانتها، المزعومة بإرسـال رسالة الغرام، مما أدى بها هي إلى الإقرار بأن هـذه الرسالة قد كتبتهـا تحت الضغط والإكـراه والتهديـد بقتل أبيهـا، وتبين حينئذ لهذا الشاب المتهـور أنها كانـت ضحية لمؤامرة جهنميـة دبرها والـد فردنينـد مع سكرتيره السافـل فورم، فراح يلعن أباه والسكرتير، ويتـوعدهما. لكنها في هذه اللحظة الأخيرة مـن حياتها لم تشأ أن تلعنهم، بـل قالت قولـة السيد المسيح وهو على الصليب: «ربي! اغفر لهم فإنهم لا يعلمون ماذا يفعلون»

(إنجيل لوقا : ٢٣ ـ ٣٤) وهكذا ماتت موتة شهيدة مسيحية عامرة بالإيمان والإحسان .

٣- الرئيس فون فالتر

أما رئيس الوزراء فون فالتر فهو نموذج السياسي المتعطش للسلطة بأية وسيلة لقد وصل إلى هذا المنصب بوسائل شيطانية انتهك فيها كل مبادئ الأخلاق . فأقصى سلفه غدرا ، ووجه كل همه إلى الاحتفاظ بثقة الدوق واكتساب رضاه أيا ما كانت الطرق المؤدية إلى ذلك .

فهو يتملق أخس شهوات الدوق ، من أجل إبعاده عن القيام بمهام الدولة كيما يستأثر هو بها وحده ، فيصبح كل شيء في الدولة : حاكما مطلقا يخضع له الناس جميعا ، ويدير شئون الدوقية على هواه لا ينازعه في ذلك أحد ، بينما الدوق مغموس في شهواته غارق في نزواته الشخصية .

ولتوكيد وتأمين سلطته هذه عند الدوق ، يقترح على ابنه أن يتزوج خليلة الدوق ، تلك الإنجليزية - ليدي ملفورد- التي ألقى بها القدر في هامبورج بألمانيا هاربة لاجئة ، فصارت خليلة للدوق وذات نفوذ هائل عليه وعلى الدولة . ولكن الابن فردنيند يرفض أن يلعب هذه اللعبة القذرة وأن يكون ديّوثا للدوق . والحوار الذي جرى بين الوالد المغامر والابن الذي يؤمن بشيء من القيم الإنسانية يكشف عن النذالة الهائلة التي اتصف بها رئيس الوزراء هذا . في هذا الحديث نجده قد خلع ثوب الحياء ، وأبرز صفحة الوقاحة المذهلة : فلإقناع ابنه بالزواج من خليلة الدوق ، يحسّن له المشاركة مع الدوق في نفس الفرج ، وفي نفس المكان الذي يباضع فيه الدوق ، وهو القصر الذي وهبه الدوق لخليلته ! ! وقد أراد بهذا الاقتراح أن يخضع ابنه للتدبير السياسي

الذي هدف إليه وهـو أنه بواسطة هذا الزواج الشكلي الظـاهري يفسح المجال أمام الـدوق كي يتزوج زواجـا تمليه الاعتبارات السيـاسية . وهكذا كـان رئيس الوزراء هـذا لا يرى في النـاس ، ومنهم ابنـه هو، مجرد قطـع شطرنـج في لعبته السياسية .

ولكـن حين أدت مؤامـرتـه إلى عكس مـا كان يقـدر: أعنـي أن يقتل ابنـه حبيبته بـدس السم في شراب الليمـون الذي ستشربـه ، وأن ينتحر هـذا الابن بشربه مـن نفس الشراب ، أراد أن يبّريء نفسـه من هـاتين الجريمتين بإلقـاء المسئولية على سكرتيره فورم ، لكن هـذا الأخير يقرّ على نفسه بالمسئولية ويشرك فيها سيده الرئيس . وأسقط في يد الرئيس ، وقدم نفسه طوعا إلى رجال العدالة للاقتصاص منه .

٤ - فورم

وأما السكرتير فـورم فهو الأداة الخبيثة الطيعة في يد الرئيـس ، وهو ليس فقط أداة التنفيذ لمؤامراته ، بل هو أيضا المدبر والمحرّض في بعض الأحيان ، تحقيقا لمآربه هو الشخصيـة . إنه كان يطمح في الزواج بلويـزة ، لكن هذه رفضته رفضا تاما منذ البداية وأشاحت بوجهها عن كل محاولاته . ولما ظهر فردنيند كمنافس خطير له لدى لويزة ، دبر المكيدة مع والد فردنيند لتنحية هذا الأخير عن لويزة ابتغاء أن يخلو له الجو، وكانت هذه النتيجة في صالح كليهما : الرئيس ليصرف ابنه عن هذه الفتاة البرجـوازية التي لا تليق بابنه ، وفورم كي يتزوج من لويزة . وكان من الدهاء بحيث توقع أن الحيلة ستنطلي على الشاب الأحمق المتهور فردنيند .

وفورم نموذج لنمط من الموظفين الموجودين في حـاشية ـ أو في مكتب ـ كل وزير أو رئيـس وزارة أو شخص مفـرط الطموح إلى النفـوذ والسلطان. وحينما تدبر الدنيا وتقـع الواقعة على واحد من هؤلاء الأقوياء، يكـون هذا النمط من أمثال فورم هم أبشع الأدوات لإدانة سادتهم، وأول المزورين لخصومهم بالأدلة والوثائق والاعترافات التي تقضي عليهم القضاء النهائي.

٥ - ليدي ملفورد

وليدي ملفورد ذات طبيعـة مزدوجة، فوضعها كخليلـة للدوق يجعلها في موقف منـاف للأخلاق وللأوضـاع الاجتماعية المقررة ويسربلها بـالعار، لكن روحا نبيلة كانت مع ذلـك تسكن في كيانها، وتدعوها إلى العمل على تخفيف مظالم الدوق المستبد المستهتر القاهر لأبناء دوقيته. ويمكن أن يقال في تفسير هذا السلـوك المزدوج إن الظروف القاهـرة التي وجدت فيهـا منذ سن الثانيـة عشرة، إذ كانت لاجئة مطرودة من إنجلترا، هـي التي أوقعتها في حمأة الـرذيلة، بينما أصلهـا النبيل الشريـف هو الـذي كان يستيقـظ في ضميرها بين الحين والحين ويدعوها إلى استغلال تأثيرها في الدوق من أجل تخفيف مظالم هذا الذوق في شعبه.

والمنظر الســابع من الفصل الـرابع، والذي يجري فيـه اللقاء الأول والأخير بين ليدي ملفورد ولويزة حافل بالمعاني لصالح كلتا المتحاورتين: إذ تكشف فيه لويزة عـن حرصها على شرفها رغـم وضاعة أصلها، وتضطـر ليدي ملفورد أن تفيق من سكـرة الفساد الذي انجرت إليـه، وأن تقرر الفرار من ذلـك المحيط المليء بـالظلم في بـلاط الدوق وهـذا يجعلنا نشعـر بشيء من التعـاطف معهـا والرثاء لها رغم كل شيء.

٦- ملر

أما عازف الموسيقى ملر فهو رجل جافي الطبع، خشن المعاملة، صريح إلى درجة الوقاحة، متوعّر الأخلاق، شكس المراس. ولهذا سرعان ما وقع في مشادة مع رئيس الوزراء تطاول فيها عليه وطرده من بيته، فاستغل الرئيس هذه الإهانة كي يحيلها إلى إهانة للدوق نفسه، مما يجعلها جريمة طعن في الذات الملكية عقوبتها الإعدام. فأمر الرئيس بإيداعه في السجن توطئة للحكم عليه بالإعدام. واستغل الرئيس هذا الوضع ليدبر المؤامرة مع سكرتيره الخسيس فورم لإكراه لويزة على كتابة رسالة غرامية إلى مدير البلاط.

وربما جاءته هذه الخشونة، التي يمكن أن تعدّ اعتدادا بالنفس، من كونه فنانا معتدا بفنه، ومواطنا شريفا لا يطمح إلى أي ارتفاع في سلم المجتمع، محدود الأفق.

وهو يحب ابنته الوحيدة، لويزة حبا ملك عليه كل نفسه، مما جعله يترك لها حرية اختيار من تقترن به. وهذا الحب الأبوي قد دفعه إلى تجاوز الحدود مع الآخرين: مع فورم الذي يسعى إلى الزواج منها، ومع فردنيند الذي وقع في غرامها ووقعت هي في غرامه، ومع رئيس الوزراء الذي جاء ليحمله على إبعاد ابنته عن ابنه.

ومع ذلك نجده في غاية الخشونة مع زوجته، ونستشف في تصرفاته نزعة شديدة نحو قهر أسرته وفرض إرادته بعنف عليها. ورغم ذلك لم يفلح في قطع علاقة ابنته بفردنيند، وإن كان معترضا على هذه العلاقة.

أما زوجته فلعبت دورا مريبا بالنسبة إلى هذه العلاقة. إذ كانت تطمح لبنتها أن تتزوج من هذا النبيل الذي بزواجه يرفع الابنة إلى مصاف كبار السيدات في المجتمع ولهذا ساعدت سرا على توطيد العلاقة الغرامية بين ابنتها وفردنيند، وشجعت ابنتها على السير فيها حتى الزواج، وفي الوقت نفسه عملت على طرد فورم.

٧- مدير البلاط

وأخيرا نجد مدير البلاط فون كَلّب نموذجا لرجال التشريفات في بلاطات الملوك والرؤساء: التملق الرخيص، والاحتفال بالمراسم والشكليات وحدها، والتفاهة التامة في التفكير والتدبير. فأهم ما يحمل من أنباء إنما تتعلق بالسترة التي يلبسها الحاكم اليوم، وحفلات الترفيه التي تنظم في القصر، والملاهي التي ستقام في المساء، وأنواع الرقصات التي تقرر وضعها في برنامج السهرة، ومن هم المدعوون، إلى آخر كل هذه الترّهات والسخافات والتفاهات التي تحفل بها بلاطات الملوك والرؤساء.

وهذا النمط من الناس يتصفون بالجبن، والاستخذاء، والتغافل عن مقتضيات الحمية والكرامة، ويسهل اتخاذهم مطايا لتحقيق الأغراض الدنيئة.

تقويم

ومنذ أن ظهرت هذه المسرحية ومثلت في ١٧٨٤، والكتّاب والنقاد يختلفون حولها اختلافا شديدا ويؤولونها تأويلات متناقضة تماما. وقد

جمع فالتر شفرشيك النصوص التي وردت فيها أحكامهم في كتاب بعنوان «تفسيرات ووثائق عن: «المؤامرة والحب» لفريدريش شلر»(*) (ص ٩٩ ـ ١٣٣)، فنكتفي بالإحالة إليه، لأننا لا نستطيع عرض هذه الآراء في هذا التقديم الموجز. والعامل المميز فيها هو الاتجاه الأيديولوجي عند كل كاتب أو ناقد.

ونجترىء هنا بأن نقول إن القرن التاسع عشر وقف إزاءها موقفين متعارضين: في النصف الأول منه ساد النقد السلبي، وفي النصف الثاني تغلب التقدير الإيجابي، أما في القرن العشرين ففي النصف الأول منه نجد هذه المسرحية تشغل مكانا مرموقا على المسرح الألماني، وقد أخرجها للمسرح المخرج العظيم ماكس راينهرت (١٨٧٣ ـ ١٩٤٣) خمس مرات في الفترة مابين ١٩٠٤ و١٩٣١ في المسرح الألماني في برلين. وبعد ١٩٤٥ حظيت برواج هائل هي ومسرحية «اللصوص»(**).

وفي السينما عرضت هذه المسرحية بأربعة أشكال مختلفة (في السنوات ١٩٠٧، ١٩٢١، ١٩٢٢، ١٩٥٩، وآخرها بإخراج ماتن هلبرج في ألمانيا الشرقية، وهو الذي كتب السيناريو.

وعمل منها الموسيقار العظيم فيردي Verdi في سنة ١٨٤٩ أوبرا بعنوان: «لويزا ملر» وهو العنوان الأصلي كما قلنا.

المترجم

(*) Er läuterumgem und Dolpumemte: Friedrich Schiller Kabale und Liebe Reelam, 1990. Stuttgart.

(**) راجع ترجمتنا لها التي صدرت في هذه المجموعة نفسها، الكويت ١٩٨٣.

أشخاص المسرحية

رئيس الوزراء : فون فالتر، لدى بلاط أمير ألماني

فردنيند، ابنه، ضابط برتبة رائد

فون كَلّب، مدير البلاط والتشريفات

ليدي ملفورد، خليلة الأمير

فورم: سكرتير خاص لرئيس الوزراء

ملر: عازف في جوقة المدينة

زوجته

لويزة: ابنتها

صوفي: قهرمانة الليدي

خادم غرفة الأمير

أشخاص ثانويون مختلفون

الفصل الأول

(غرفة في بيت العازف)

المنظر الأول

[ملر ينهض واقفا من كرسيه ويضع كمنجة الركبة جانبا . وإلى المائدة تجلس السيدة ملر وهي لا تزال بملابس النوم وتشرب القهوة]

ملر (بسرعة، ذاهبا جائيا) مرة واحدة لا ثانية لها! المسألة أصبحت خطيرة. ابنتي تدور الشائعات حولها مع البارون* . بيتي ستسوء سمعته. ورئيس الوزراء استشم شيئا. والخلاصة هي أنني سأمنع هذا النبيل (فردنيند) من دخول بيتي.

الزوجة أنت لم تُغره على المجيء إلى بيتك، ولم ترم ابنتك عليه.

ملر لم أغره على المجيء إلى بيتي - لم أرم ابنتي عليه - لكن من الذي ينتبه لهذا؟ لقد كنت سيدا في بيتي. كان من الواجب عليّ أن أوبخ ابنتي، وأن أغلظ القول للرائد أو كان عليّ أن أحدّث صاحب المعالي أباه عن هذا الأمر بوضوح وقوة لكن كل ما سيصيب البارون الشاب هو مجرد توبيخ، هذا ماينبغي على أن أعلمه، بينما العاصفة كلها ستقع على رأس العازف على الكمنجة.

---

* البارون هو فردنيند فون فالتر، ابن رئيس الوزراء.

الزوجة (تشرب الفنجان بضجة) مساخر! شائعات! ماذا يهمك منها؟ من ذا الذي يستطيع أن يتهمك بشيء؟ استمر في مهنتك واحصل على تلاميذ أينما وجدوا.

ملر لكن خبريني ما الذي ينتج عن هذه التجارة كلها؟ إنه لا يستطيع أن يأخذ* الفتاة ـ فلا محل أبدا للأخذ، ثم تصير الفتاة** -رحماك يا إلهي- وصباح الخير***! أليس كذلك! حين يقوم سيد نبيل بمغامرات غرامية هنا وهناك، وهناك وهنا، يعلم الشيطان كيف! فإنه يطيب لهذا الشارب كثيرا أن يسعى إلى المشرب الطهور. انتبهي! انتبهي! إذا أنت أولجت عينيك في كل ثقب وكنت رقيبة على كل قطرة دم****، فستشهدين على الفور أن ولدا قد استقر في الفتاة وانطلق من هناك فتكون الفتاة قد تلطخت بالعار طوال حياتها وبقيت جالسة، أو استطعمت المهنة***** واستمرت فيها (وقبضة يده على جبينه)، يا يسوع المسيح!

الزوجة اللهم احفظنا بعطفك.

ملر نعم، الأمر يحتاج إلى حفظ. وإلا فأين توجه نظرها وهدفها؟ إن الفتاة جميلة، نحيلة القوام، وتمشي مشية

---

* أي: أن يتزوجها.
** أكمل: مومسا
*** تعبير ساخر يعني: كلا، لا أقبل هذا.
**** تسيل في عروق الفتاة، وتملكتها الشهوة.
***** مهنة البغاء.

أنيقة تحت الدماغ ليكن ما يظهر. إن المرء لا ينظر في هذا عندكم معشر النساء طالما لم يرزقكن الله الحبيب بالنقائص في سائر أبدانكن. إن الشاب الطائش يفتش أولا في هذه المنطقة. إذا أبصر ضوءا، مثلما هي حال كلبي رودني* حين ينشد جو حرب مع فرنسي، فإن جميع الشّرع يجب أن تنشر ويبدأ الهجوم، إنني لا ألومه على ذلك. فالإنسان هو الإنسان، هذا أمر يجب عليّ أن أعرفه.

الزوجة أريد منك فقط أن تقرأ هذه البطاقات الجميلة التي يكتبها النبيل الشاب إلى ابنتك. يا إلهي إن المرء ليرى فيها واضحا وضوح النور، أنه ليس مشغولا إلا بروحها الجميلة.

ملر و هذا هو التصويب الصائب. يربت المرء على الزكيبة، ولكنه إنما يقصد الحمار. من يريد أن يوجه التحية إلى الجسد المعبود، ما عليه إلا أن يكلف القلب بحمل الرسالة. وكيف فعلت أنا؟ لما يفلح المرء في تحقيق الوفاق بين الأرواح، فإن الأجساد تحتذى بالحذوة الجميلة، الخدم يقلدون السادة، وفي نهاية المطاف يكون ضوء القمر هو القوّاد الوحيد.

الزوجة لكنك لم تر إذن الكتب الرائعة التي أرسلها الرائد إلى المنزل؟ ولهذا فإن ابنتك تصلي دائما فيه

---

* رودني هو اسم كلب ملر، سماه على اسم جورج بردجز رودني Rodney (١٧١٨ ـ ١٧٩٢) أمير البحر الإنجليزي الذي اشترك في حرب الاستعمار بين إنجلترا وفرنسا، وانتصر على الأسطول الفرنسي سنة ١٧٨٢ بالقرب من جزيرة سان دومنجز ومن هنا جاء التلاعب بهذا النسب.

ملر (يصفر) ياه! تصلي! أنت تفهمين جيدا في هذه الأمور إن الأشربة القديمة المستخرجة من الطبيعة البسيطة عسيرة الهضم على المعدة التي ألفت كعك أصحاب السيادة. إن عليها أولا أن تجعلها تطبخ في المطبخ اللعين لأصحاب العبارات الطنّانة من أتباع الشيطان فلتلق في النار بهذا الهراء، إن البنية المسكينة تستمد منه ترهات بحث عنها في السماء الثانية، تجري بعد ذلك في الدم مثل حشرات الكنتريس، وتنتهي بأن تبدد الجرعة الصغيرة من المسيحية التي حافظ الأب عليها بصعوبة بالغة، كما فعل حتى الآن. نعم في النار ألق به، أقول لك! إن البنية ستحشر كل هذه الشيطانيات في مخها، وتحت تأثير الضلال في دنيا الخيال الزاهية، فإنها في النهاية لن تعثر من جديد على بيتها، وستنسى أن لها أبا اسمه ملر، العازف على الكمنجة، وستخجل منه، وفي نهاية المطاف سترفض الصهر الشريف الأمين الذي سأقترحه عليها، والذي كان سيكون سعيدا بوراثة مهنتي. كلا! لعنة الله عليّ! (بحرارة وهو يثب في الهواء) لابد من وضع الخبز في الفرن حالا، أما الرائد.. نعم الرائد، فإني أريد أن أبين له الموضع الذي صنع النجار فيه ثقبا (يريد الخروج).

الزوجة كن أكثر تلطفا يا ملر! أي أموال جميلة حققتها لنا الهدايا..؟

ملر | ثمنا لدم ابنتي؟ اذهبي إذن إلى الشيطان أيتها القوادة الدنيئة! إني أفضل التسول من باب إلى باب بواسطة الكمنجة، وأن أعزف موسيقى لقاء قليل من الحساء. وأفضل أن أكسر كمانجتي الكبيرة (الفيولونسل) وأن أحمل في صندوقها السماء، على أن أستمتع بالنقود التي قد تكسبها ابنتي الوحيدة في نظير روحها ونجاتها. تخلي عن قهوتك الملعونة وتنباكك، وحينئذ لن تكوني في حاجة إلى بيع وجه ابنتك. لقد أكلت دائما حتى الشبع، وارتديت دائما قميصا حسنا على جسمي، قبل أن يدسّ هذا النبيل الصخاب أنفه في حجرتي.

الزوجة | أرجوك، لا تحطم الأبواب الآن! كم تلقي بالنار والشعلات لدى أول كلمة! أريد فقط أن أقول إنه لا ينبغي إهانة السيد الرائد، لأنه ابن رئيس الوزراء.

ملر | هاهنا يرقد الأرنب! ولهذا السبب، نعم لهذا السبب نفسه، يجب حسم الأمر اليوم. وسيقر لي رئيس الوزراء بالفضل، إذا كان والدا جديرا بهذا الاسم. نظفي سترتي القطيفة الحمراء، وسأغدو لمقابلة صاحب المعالي. وسأقول له: «إن السيد ابنك قد وضع عينيه على ابنتي، إن ابنتي هي من قلة المنزلة بحيث لا تصلح أن تكون زوجة للسيد ابنك، أما أن تصير مومسا، فإن قيمتها أكبر من ذلك بكثير. وحسبي هذا القول. إن اسمي هو: ملر.

المنظر الثاني

(السكرتير فورم، ملر وزوجته)

الزوجة آه! صباح الخير ياحضرة السكرتير. هل صار من حسن حظنا أخيرا أن نراك مرة أخرى؟

فورم هذا من حسن حظي أنا، يابنت عمي العزيزة. فحينما ينال المرء زيارات فارس نبيل، فإنه لا يحفل بالمتعة البرجوازية التي يمكن أن أحدثها.

الزوجة ماذا تقول، سيدي السكرتير؟ سيادة الرائد فون فالتر يتنازل من حين إلى آخر فيمنحنا هذا الشرف، لكننا لا نزدري أحدا لهذا السبب.

ملر (متضايقا) هات كرسيا للسيد، يا امرأة! هل تتخفف، سيدي الجار؟

فورم (يضع قبعته وعصاه، ويجلس)حسنا! حسنا! وكيف حال (زوجتي) المقبلة... أو الماضية؟ وعلى ذلك لا أريد أن أصدق. هل لا أستطيع أن أراها... الآنسة لويزة؟

الزوجة أشكر لك اهتمامك يا سيدي السكرتير! لكن ابنتي ليست أبدا متكبرة.

ملر (متضايقا، يدفعها بكوعه) يا امرأة!

الزوجة فقط يؤسفني أنها لا تستطيع أن تتشرف بزيارة السيد السكرتير. ذلك لأنها ذهبت منذ قليل لحضور القداس.

فورم هذا أمر يسرني، نعم هذا يسرني. سيكون لي بها ذات يوم زوجة تقية، مسيحية طيبة.

الزوجة (تبتسم، وعلى وجهها سيماء فخر ساذج) نعم، لكن ياسيدي السكرتير. . .

ملر (في حيرة ظاهرة، يقرص أذنها) يا امرأة!

الزوجة : إذا كنا نستطيع أن نسرّك بشيء آخر، فعن طيب خاطر سيدي السكرتير.

فورم (بنظرة شريرة) بشيء آخر! لا، شكرا كثيرا! شكرا كثيرا! هم! هم! هم!

الزوجة لكن سيدي السكرتير لابد أن يفهم. . .

ملر (بانفعال، دافعا إياها من الخلف) يا امرأة!

الزوجة ماهو حسن حسن، وماهو أحسن أحسن، وحينما لا يكون للمرء إلا ابنة واحدة، فإنه لا يستطيع أن يحول دون سعادتها. (بكبرياء ريفية) أظن أنك تحزر ما أريد أن أقوله، ياسيدي السكرتير؟

فورم (في اضطراب وقلق وهو جالس على كرسيه، يحك خلف أذنيه ويشد أكمامه وبنطاله) أحزر؟ كلا. . آه! نعم. . . ماذا تقصدين بهذا؟

الزوجة آه، آه! أردت فقط أن أقول. . . ظننت (تسعل)، مادام الله الرحيم يريد حقا أن يجعل من ابنتي سيدة عظيمة. . .

فورم (يثب من الكرسي) ماذا تقولين؟ ماذا؟

ملر ابق جالسا! ابق جالسا، سيدي السكرتير! إن زوجتي! وزة مغفلة. من أين تريدين أن يصدر هذا اللقب: سيدة عظيمة؟ من هو الحمار الذي يكشف لنا عن أذنه الطويلة في هذا الهراء؟

الزوجة : اصرخ كما تشاء. أنا أعرف ما أعرف. وما نطق به السيد الرائد قد نطق به.

ملر (وقد خرج عن طوره، يعدو إلى كمنجته الكبيرة) ألا تريدين أن تمسكي لسانك؟ أتريدين من كمنجتي الكبيرة أن تنهار على رأسك؟ ماذا تستطيعين أن تعرفي؟ ماذا عسى أن يكون قد قال؟ لا تحفل بهذه الثرثرة، سيدي ابن العم. أما أنت فاذهبي إلى المطبخ! أرجو ألا تظن أنني من البلاهة المتجسدة لدرجة أن أريد أن أدفع بابنتي في دنيا الأكابر؟ لن تأخذ عني مثل هذه الفكرة، ياسيدي السكرتير؟

فورم : ولهذا لا أستحق ذلك منك، ياسيدي العازف. لقد تجليت لي دائما رجلا صاحب كلمة، وآمالي في ابنتك كانت بمثابة أمر متفق عليه. إن وظيفتي تكفي -مع التدبير- أن تعول أسرة. ورئيس الوزراء يريد لي الخير، ولن أعدم التوصيات لو أردت الترقيات. وأنت ترى أن نيتي فيما يختص بالآنسة لويزة نية جادة وصادقة، بينما أنتم لربما قد خدعكم مهذار نبيل . . .

الزوجة أرجوك ياسيدي السكرتير فورم، أن تلزم الاحترام . . .

ملر قلت لك أمسكي لسانك. وأنت ياسيدي يا ابن العم*، لا تهتم. إن كلمتي واحدة. وما قلته لك في الحديث الماضي أكرره لك اليوم. إنني لا أرغم ابنتي. إذا كنت مناسبا لها فهذا حسن، ولها هي أن ترى كيف ستكون سعيدة معك. فإن هزّت رأسها، فهذا أحسن، أقصد أن هذه إرادة الله . . . ابلع الرفض واشرب زجاجة مع أبيها. إن البنت هي التي ستعيش معك أنت، لا معي أنا. ولماذا -لمجرد العناء- ألقي على رأسها برجل لا تستطيع احتماله؟ أمن أجل أن يطاردني الشيطان في أخريات عمري كفريسة له؟! أمن أجل أن أبتلع في كل كأس من الخمر وفي كل ملعقة حساء هذا التأنيب: «أنت المجرم الذي تسبب في شقاء ابنته»؟!

* خطاب تحية فقط، ولا يدل على معنى القرابة.

الزوجة إطلاقا ودون كثرة من الكلام، أنا أرفض الموافقة رفضا تاما، إن ابنتي قيضت لأمر عظيم، وسألجأ إلى المحاكم إذا استسلم زوجي للإغراء.

ملر أتريدين مني أن أكسر ذراعيك ورجليك، يا أيها اللسان اللعين؟

فورم (يخاطب ملر) ونصيحة الوالد يمكن أن تؤثر كثيرا في ابنته، وأرجو أن تعرفني جيدا، يا سيد ملر.

ملر إيه! بحق كل الشياطين! إن على ابنتي أن تعرفك. وماعسى أن يسرني فيك ياصاحبي، ليس هو الذي يمتع الفتاة الطموح. في وسعي أن أقول لك، بالضبط تقريبا هل عندك ماينبغي من الصفات كيما تكون عضوا في أوركسترا، أما نفسية المرأة فإنها عسيرة الفهم حتى على رئيس فرقة موسيقية. وكي أكون صريحا معك يا ابن العم، أقول لك إنني ألماني صريح لا أعرف الالتواء، إن نصيحتي لن تجعلك معترفا بالجميل إنني لن أنصح ابنتي بالزواج من إنسان بعينه، وسأقنعها بألا تأخذك، ياسيدي السكرتير! ودعني أكمل كلامي. إن العاشق الذي يستنجد بالوالد لا يبعث في نفسي أية ثقة به، وسامحني على هذا القول. لو كانت عنده مزية، فسيخجل من هذه الطريقة البالية.. للإقناع بمزاياه لدى المحبوبة. وإن أعوزته الشجاعة كيما يتصرف

بنفسه، فإنه يكون جبانا، ومثيلات لويزة لا يصلحن له. إن عليه أن يقوم بدوره عند البنت دون أن يعلم الأب. وعليه أن يجعل البنت تترك أباها وأمها يذهبان إلى الشيطان، أولى من أن تتخلى عنه، أو أن تذهب هي بنفسها إلى أبيها وتلقي بنفسها عند قدميه طالبة منه، باسم الله، إما الموت الأسود الشاحب، وإما حبيب قلبها الوحيد! هذا هو من اسميه رجلا شجاعا! وهذا هو مايسمى الحب حقا! والذي لا يستطيع أن يتقدم هكذا نحو المرأة ما عليه إلا أن يتسلى في وحدته بالركض على الورق بقلمه الذي من ريشة الإوز.

فورم (يأخذ قبعته وعصاه ويخرج من الغرفة) مع وافر الشكر والعرفان يا سيد ملر!

ملر (يتبعه ببطء) ماذا! ماذا! إنك لم تتناول شيئا، سيدي السكرتير! (عائدا أدراجه) إنه لا يصغي لشيء، لقد مضى لسبيله. حينما أرى بعيني حكاك الورق هذا، أشعر بأني مثل من يتجرع سما أو شرابا مقيئا. رجل عجيب، مقزز! يلوح كما لو أن مهربا قد أدخله بالغش في عالم الله الرحيم. عيون صغيرة كعيون الفئران المليئة بالمكر، وشعر أحمر مشتعل، وذقن مثل القبقاب، كما لو كانت الطبيعة، بسبب تضايقها من كونها صنعت صناعة رديئة، قد أمسكت هذا الوغد من هذه الذقن ورمت به في أحد الأركان. كلا! بدلا من أن أضحي

بابنتـي لمثل هـذا الوغـد، أفضل أن أراهـا. . . . اللهم اغفر لي!

الزوجة (بمرارة، ومتظاهرة بأنها تبصق) هذا الكلب! لكن يوجد هناك من يستطيع أن يحرم فمك من تناول هذه اللقمة*.

ملر وأنت أيضـا بالسيـد النبيل اللعين صـاحبك هـذا! لقد جعلتيني منذ لحظات أخرج عن طوري. أنت لا تكونين أكثر حماقة إلا في الوقت الذي ينبغي عليك فيه أن تكوني حـذرة. فيم كـل هذه الثـرثـرة عن سيـدة عظيمة وعـن ابنتك؟ أنت تحسنين اختيار رجلـك! لمثله يجب أن يقال كلام مـن هذا النوع، إذا أريـد فضح ابنتـك واللغط بها عند نافورة السوق. إنه بالفعل واحد من أولئك الثرثارين الذين يتشممون كل الأركـان في بيوت الناس، متحدثين عن كهف الخمـور والمطبخ، وإذا بدرت كلمة طـائشة، فإن الأمير، والخليلة، ورئيس الوزراء يعلمون بها في الحال ويسقط الرعد مشتعلا على جسمك.

---

* اللقمة: أي لويزة.

المنظر الثالث

(تدخل لويزة ملر وفي يدها كتاب*، ملر والزوجة)

لويزة : (تضع كتابها، تذهب إلى ملر وتصافحه) صباح الخير يا أبي!

ملر مرحى، يا لويزتي! يسرني أن تفكري باستمرار في خالقك. ابقي هكذا دائما، يكن في عونك.

لويزة إني كثيرة الخطايا**، يا أبي! هل جاء يا أمي؟

الزوجة مَنْ، يا ابنتي؟

لويزة : آه! لقد نسيت أن هناك رجالا آخرين غيره. إن رأسي مشوش ألم يجيء فالتر؟

ملر (بحزن وجد) لقد ظننت أن لويزة قد تركت هذا الاسم في الكنيسة.

لويزة (بعد أن تطلعت في وجهه بعض الوقت) أنا أفهمك، يا أبي. وأشعر بالخنجر الذي تغرسه في ضميري، لكن فات الأوان. لم أعد تقية، يا أبي. إن السماء وفردنيند

---

* كتاب الصلوات، فهي عائدة من الكنيسة.

** تقول هذا لأنها سمعت منذ قليل موعظة القسيس وهو يتحدث عن الخطيئة والخاطئين.

يتنازعان نفسي الدامية. وأخشى، أخشى (بعد توقف).
كلا يا أبي أيطيب أم لا يجد الفنان، حين ننساه من أجل
لوحة إن هذا هو أكبر مديح له؟ ألا يفرح الله إذا كان
السرور الذي أستشعره لدى رؤية بديع صنعه يصرف
انتباهي عنه؟

ملر (يلقي بنفسه على كرسيه متضايقا) هانحن أولاء! تلك
هي ثمرة هذه القراءات الكافرة* !

لويزة (تقترب من نافذة وعليها سيما القلق) أين عساه أن يكون
الآن؟

آنسات الطبقة الراقية اللواتي يرونه ويستمعن إليه! أما أنا
فما أنا إلا فتاة مسكينة منسية (تفزع من هذه الكلمات
وتندفع نحو أبيها). كلا! مع ذلك، كلا، سامحني. إني
لا أندب حظي. لا أريد إلا أن أفكر فيه قليلا. هذا
لا يكلف شيئا. هذه البضعة من الحياة، كما أود أن
أحولها إلى نسمة رقيقة ناعمة، ابتغاء أن أروّح عن
وجهه؟! زهرة الشباب هذه، لو كانت بنفسجة ولو
مشى عليها، ولو استطاعت أن تموت بتواضع تحت
قدميه! كان هذا سيكفيني. يا أبي حين تستحم البعوضة
في أشعة الشمس ــ هل يعاقبها الكوكب ذو الجلال
والكبرياء على هذا الفعل؟

---

* يقصد بها: القصص الغرامية.

ملر (وقد غلبه التأثر، ينحني على ذراع كرسيه ويغطي وجهه) اسمعي يالويزة! كان بودي أن أتنازل عن بقية عمري نظير ألا تكوني قد رأيت الرائد أبدا.

لويزة (فزعة) ماذا تقول؟ ماذا؟ كلا! ليس هذا ما يقصده والدي الرءوم. أنت لا تعلم قطعا أن فردنيند هو لي، وقد خلق من أجلي، من أجل سعادتي، خلقه (رب السموات) أبو المحبين. (تستغرق في التفكير). حينما رأيته لأول مرة، (بحماسة أكبر) وعلا الدم في خدودي، خفق قلبي بمزيد من التوثب ومزيد من السرور، وكانت كل خفقة تقول، وكل نسمة تهمس: «إنه هو!»، وتعرف قلبي ماكان ينقصه دائما من قبل، وقال: «إنه هو!». وترددت هذه الكلمة في أنحاء الطبيعة كلها مسرورة بسروري! هنالك.. أوه! هنالك فقط أشرق في نفسي أول فجر. وتدفقت من قلبي آلاف المشاعر الجديدة مثلما تنبثق الأزهار من التربة حينما يأتي الربيع. لم أعد أبصر العالم، ومع ذلك فإني أتذكر أنه لم يكن بهذا الجمال. ولم أعد أفكر في الله، ومع ذلك فإني لم أحبه قدر ما أحببته آنذاك.

ملر (يندفع نحوها ويضمها إلى صدره) لويزة... عزيزتي... ابنتي الحبيبة... خذي رأسي العجوز الواهن... خذي كل شيء، نعم كل شيء! أما الرائد -والله شهيد على ذلك- فإني لن أستطيع أبدا أن أعطيك إياه. (يخرج).

لويزة : ولهذا لا أريد أن يكون لي الآن، يا أبي؟ لـذة القطرة مـن الندى المسكينة التي تسمى الـزمان . . . حلـم واحد، انشغالي بفردنيند يكفي لامتصـاصها بلذة . إني أتخلى عنه فيما يتعلق بهذه الحياة ثـم بعد ذلك، يا أمـي، بعد ذلك حينما تزول الحواجز الفاصلة، حين ننبـذ بعيدا عنا ذلك الغلاف الكـريه مـن الظروف المختلفـة، وحين لا يكون الناس إلا النـاس . . . حينئذ لن أحمل معـي إلا براءتي . لكن أبي قال مرارا إن النيات والألقاب الضخمة ستكون قليلة القيمة حينما يأتي الله وتـرتفع قيمة القلوب . حينئذ سـأكون ثـريـة هناك في أعلى، تعـد الـدموع انتصـارات والأفكار الطيبة أجدادا* حينئذ سأكون نبيلة، يا أمي! . ماذا سيكون له . . إني أسألك أكثر من حبيبة؟

الزوجة : (تثب في الهواء) لـويزة! الرائد! إنـه يجتاز لوح النهـر أين أختفي .

لويزة : تبدأ في الارتعاش ابقي إذن، يا أماه .

الزوجة : يا إلهي! هيئتي هذه تدعو إلى الخجل! إني لا أستطيع أن أظهر بهذه الهيئة أمام سيادته! (تخرج) .

* أجدادا يتفاخر بها بدلا من الأجداد النبلاء .

المنظر الرابع

(فردنيند فون فالتر، لويزة)

«يهرع إليها. . ترتمي على كرسي، يعلوها الشحوب والهزال، . . يتوقف هو أمامها، ينظر كلاهما إلى الآخر مدة من الزمن وهما صامتان. . وقفة»

فردنيند أنتِ شاحبة، يا لويزة!

لويزة (تقف وترتمي على رقبته) هذا لا شيء، لا شيء! ألست حاضرا هاهنا؟ لقد زال مابي.

فردنيند (ممسكا بيدها ورافعا إياها إلى شفتيه) هل لويزتي لاتزال تحبني؟ إن قلبي اليوم هو قلبي بالأمس، فهل هذه هي أيضا حال قلبك؟ إني دخلت بسرعة، أريد أن أرى أنك هادئة ساجية، وسأمضي راجيا أن أكون أنا أيضا هادئا ساجيا. لكنك لست كذلك!

لويزة بلى، بلى يا حبيبي!

فردنيند قولي الحق. أنت لست كذلك! إني أرى خلال نفسك، مثلما أرى خلال الماء الصافي لهذا الجوهر اللماع (يريها خاتمه). لا تعلق أية فقاعة بخار إلا شاهدتها. وعلى هذا الوجه لا تشرق أية فكرة تفلت مني. ماذا بك؟ خبريني بسرعة. إن العالم بالنسبة إليّ خال من الغيوم، طالما كانت هذه المرآة جلية أمام عيني. ماذا يحزنك؟

لويزة (تتطلع فيه لبعض الوقت وهي صامتة وبطلعة معتزة، ثم تقول له في حزن): فردنيند! لو كنت تعلم كيف أن هذا الكلام يلائم البرجوازية الصغيرة.

فردنيند ما هذا؟ (بدهشة) اسمعي يا فتاة! من أين جاءتك هذه الفكرة؟

أنت لويزتي من قال لك إنه يجب عليك أن تكوني شيئا آخر؟ إن لم تكوني إلا حبا بالنسبة إليّ، فأين وجدت الوقت لعقد مقارنة بينك وبيني؟ حين أكون بالقرب منك، فإن عقلي كله يذوب في نظرة، وفي حلم مليء بك حينما أكون بعيدا عنك. وأنت أتجدين مكانا أيضا للمد تجاه حبي؟ اخجلي! إن كل لحظة تضيعينها في حزنك هي لحظة أنت تسرقينها من حبيبك.

لويزة (تمسك بيده، وهي تهز رأسها) أنت تريد تخديري، يا فردنيند. أنت تريد أن تصرف عيوني عن هذه الهاوية التي لابد سأسقط فيها. إني أرى المستقبل.. وصوت المجد، ومشروعاتك، وأباك (تفزع وتدع يدها تسقط فجأة). فردنيند! خنجر موجه إليك وإليّ! إنهم يفصلون بيننا!

فردنيند إنهم يفصلون بيننا (يثب فجأة) من أين جاءك هذا الشعور، يالويزة إنهم يفصلون بيننا، من ذا الذي يستطيع أن يحطم ما انعقد بين قلبين، أو أن يفرق بين أصوات منسجمة؟ إنني رجل نبيل. فلننظر هل وثائق

نبالتي أقدم من الخطة الأولى للكون الواسع؟ وهل أسلحة نبالتي أكبر صدقا من قرار السماء الذي أقرأه في عيني لويزة، وهو «هذه المرأة هي لهذا الرجل»؟ صحيح أنني ابن رئيس الوزراء. . هذا سبب أدعى. فأي شيء غير الحب يمكن أن يخفف اللعنات التي ستبصقها عليّ مطالبات أبي الظالمة؟

لويزة أوه! كم أخشى من هذا الأب!

فردنيند إنما لا أخشى شيئا، لا أخشى شيئا غير الحدود التي تضعينها لحبك. ولو تجمعت العقبات فيها بيننا وصارت كالجبال، فإني سأجعل منها درجات وأقفز عليها كي أرتمي بين ذراعي لويزة. وعواصف المصير المعاكس ستزود عواطفي بالمزيد من التحليق، والأخطار لن تفعل إلا أن تجعل لويزتي أكثر جاذبية. فلا تحدثيني بعد عن الخشية، ياحبيبتي. وأنا من ناحيتي سأسهر عليك، كما يسهر التنين المسحور على الكنوز التي تحت الأرض. اعهدي بنفسك إليّ ولست في حاجة إلى ملك حارس آخر. سألقي بنفسي بينك وبين المصير. سأتلقى نيابة عنك كل جرح. سأجمع لشفتيك كل قطرة من كأس السرور، وأحملها إليك في كأس الحب [يعانقها برقة وحنان]. أريد أن تمضي لويزتي عمرها مستندة إلى هذا الذراع وهي في ابتهاج، أريد أن ترجعي إلى السماء أجمل مما تلقيتك منها، فإن الحب وحده هو الذي يستطيع أن يتوج جمال الأرواح.

لويزة (تبعده عنها بانفعال شديد) حسبك هذا! أرجوك أن تسكت! لو كنت تعلم . . . دعني . . . أنت لا تعلم أن آمالك تمزق قلبي مثل الغوريات* (تهم بالخروج).

فردنيند : (محتجزا إياها) لويزة! كيف؟ ماذا؟ ماذا ينتابك؟

لويزة : إني نسيت هذه الأحلام وكنت سعيدة بذلك. والآن! الآن! ابتداء من اليوم ضاع السلام من حياتي. وأنا أعلم أن رغبات صاحبته ستعصف في قلبي. اذهب، سامحك الله! لقد ألقيت بشعلة ملتهبة في قلبي الهادئ الشاب، ولن تنطفىء أبدا، أبدا (تندفع نحو الخارج) يتبعها في صمت.

---

* الغوريات: هن ثلاث إلاهات موكلات بتنفيذ الانتقام الإلهي في المجرمين والخاطئين.

المنظر الخامس

(صالون في بيت رئيس الوزراء)

«رئيس الـوزراء، وفي عنقه زينـة، وعلى صدره قـلادة، والسكرتير فـورم، يدخلان معا»

رئيس الوزراء عـلاقة حـادة؟ ابني؟ كـلا يـا فورم، إنـك لن تجعلنـي أصدق هذا أبدا.

فورم : ليتفضل معاليك ويطالبني بالدليل.

رئيس الوزراء أما أن يغـازل الدهماء البرجـوازيين، ويقول لهم عبـارات لطيفة، وأن يذهب حتى إلى درجـة أن يمثل عليهم لعبة الوجـدان، فإن هذه أمـور أراها ممكنـة، وأجدها قـابلة للتسامح، ولكن.. وأيضا مع ابنة عازف، كما تقول؟

فورم : نعم ابنة عازف الموسيقى ملر.

رئيس الوزراء : أهي جميلة؟ طبعا.

فورم : (بلهفـة) إنها أجمل نمـوذج لفتاة شقـراء، وإذا لم أبـالـغ لقلـت إنها ستتجلى إلى جـانـب أجمل الجميـلات في البلاط.

الرئيس* أنت تقول لي، يـافورم، إن ابني يستلذ هـذه الفتاة، وأنا أفهم هذا. لكن ياعزيـزي فورم، إذا كان ابني يستعذب مفـاتـن الجنـس اللطيف، فـإن هـذا يجعلنـي أؤمـل أن السيدات لن يكرهنه. وسيتمكـن من أن يشق طريقه في البـلاط. الفتاة جميلـة، تقول أنـت، إنه ليسرني أن عنـد ابني ذوقا. وإذا استطاع أن يجتذب هذه المجنونة. بوعود أكيدة فهذا أحسن، لأن هـذا يبرهن لي على أن عنده من الذكاء مايكفي لـلاستفادة من الكذب ويمكن أن يصير رئيسا للوزراء. وفضـلا عن ذلك فإنـه إذا استطاع تحقيق مآربه، فهذا أكثر من رائع، لكن هذا يدل على أنه سعيد الحظ. وإذا انتهت هذه المهزلة بجنين سليم البنية، فهذا أمـر منقطع النظير. وسـأشرب زجاجـة مـن خمر مالقـة احتفـالا بـالمستقبـل السعيد لشجـرة نسبـي، وسـأدفـع لخليلته الغرامة عن سوء السلوك.

فورم كل ما أتمناه، يا صـاحب المعالي، هو ألا تضطر إلى تجرع هذه الزجاجة من أجل تسرية الهم عن نفسك.

الرئيس (بجد) يـافورم! تـذكّر أننـي حين أصدق شيئـا، فإننـي أصدقه بعناد، وأنني حين أغضب فإني أستشيط غضبا. أنـت أردت أن تثير ثـائرتي، وإني أود ألا أغضـب مـن ذلك. أما أنك تريد التخلص من منافس فأنا أعتقد هذا عن طيـب خاطر، وأرى أنك تجد مـن العسير عليك أن

* سنكتفي من الآن فصاعدا بهذا اللقب المختصر، والمقصود دائما هو: رئيس الوزراء.

تحل محل ابني عند الفتاة، وتريد أن تجعل من الأب مزبة لطرد الذباب، فإن هـذا يبدو لي أمرا يمكن تصوره. أي أن لديـك استعدادات طيبـة لمهنة الخداع، فهـذا يسرني حقا. لكن، ياعزيزي فورم، يجب عليك ألا تمارس هذه اللعبة معي أنا، وعليك -افهمني جيدا- ألا تدفع بهذه الحيلة إلى حد أن تهاجم مبادئي.

فورم ليسـامحنـي صـاحب المعـالي! إذا كـانـت الغيرة لها دور هاهنا، كما تظن، فإنها غيرة عيون، لا غيرة لسان.

الرئيس وأنا مـن ناحيتي أرى أن ينحيها جـانبا تماما. يـامغفل! ماذا يهمك أن يأتيـك كرلينو* جديد مـن النقود أو من عند صاحب مصرف؟ عز نفسك بمثـال نبالتنا عن علم أو عـن غير علم، مـن النادر أن ينعقـد زواج عندنـا إلا وستة على الأقـل من الضيوف -أو من الخدم- يـرسمون خطة هندسية لفردوس الزوج.

فورم (ينحني) في هـذه النقطة سـأظل بـرجوازيـا عن طيـب خاطر، ياصاحب السعادة.

الرئيس ومن ناحية أخرى، سنستطيع قـريبا جدا أن نستمتع بأن تـرد إلى منـافسـك هذه السخـريـة على أجمل نحـو فقـد وضعـت الوزارة خطـة تقضي في الظاهـر بفصل الليـدي ملفورد عند مجيء الدوقة الجديدة، وزيادة في الإيهام بأن تعقد زواجـا. وأنت تعلـم يافـورم أن الثقة بي تستنـد إلى

---

* عملة مـن الفضة أو الذهـب تساوي ١٠ جولدن، ضربها لأول مـرة في١٧٢٦ أمير بافاريـا «كارل ألبرت» وضربت أمثالها مرارا في كثير من الولايات الألمانية الجنوبية وكانت هذه العملة لا تزال سارية المفعول في ولايتي فورتنبرج وبافاريا إبان حياة شلر.

تـأثير سيدتي الليـدي، كما أن نفوذي يستمـد قـوته مـن شهـوات الأمير، إن الـدوق يبحـث عـن زوج لليـدي ملفـورد. ويمكـن أن يتقـدم شخـص آخـر وأن يعقـد الصفقة ويجتذب إلى نفسـه، بواسطة هذه السيـدة، ثقة الأمير ويصبح شخصـا لا غنى عنـه. وإذن لكي يبقـى الأمير في شبكة أسرتي، فـإن ابني فـردنيند يجب عليـه أن يتزوج الليدي ملفورد. أهذا واضح لك؟

فورم : واضح لدرجـة أنه يخرق عيني. على الأقل الرئيـس برهن هاهنـا في أن الأب، بالنسبة إليـه، ليس إلا تلميـذا. لو بين الرائد (فردنيند) أنه ولد مطيـع بقدر ما تظهر أنت أبا حنونا، فإن الحوالة يمكن أن تعود إليك مع بروتستو.

الرئيس : لحسن الحظ لم أعلق حتى الآن على تنفيذ أي مشروع، إذا ما استطعت أن أستند إلى توقيع سليم يقول: «هذا يجب أن يكون» لكن، يافورم، هـذا يعود بنا إلى الموضوع الذي كنا نتحـدث فيه منذ قليل. سـأعلن لابني عـن زواجه، منـذ هذا الصبـاح. والسحنة التـي سيستقبل بها ذلـك الخبر ستبرر شكوكك أو تفندها تماما.

فورم : ياصـاحب المعالي، أرجـو مغفرتك! إن السحنـة الكئيبة التي سيبـديها لك من غير شـك يمكن أن ترجـع إما إلى الزوجـة التي ستقترحها عليـه أو إلى تلك التي ستنتـزعها منه. أنا أدعوك إلى اللجوء إلى تجربة أكثر حسما. اختر له أنسب زوجة في هذه البلاد، فإن وافق فإن السكرتير فورم يوافق على أن يجر الكرة الحديدية طوال ثلاث سنوات.

الرئيس يعضّ على شفتيه: يا للمصيبة!

فورم : الأمر كما قلت لك. الأم ـ وهي البلاهة متجسدة ـ حدثتني عن هذا كثيرا بسذاجتها.

الرئيس (يغدو ويروح، كاظما غيظه) حسن! هذا الصباح بعينه!

فورم لكن، ياصاحب المعالي، لا تنس أن الرائد هو ابن سيدي.

الرئيس : سأراعي خاطرك يا فورم.

فورم والخدمة التي أسديها إليك بإبعاد الكنة المزعجة.

الرئيس : تستحق بالمقابل أن أساعدك على الحصول على زوجة. ليكن، يا فورم!

فورم (ينحني وعلى وجهه سيما الرضا) في خدمتك دائما يا صاحب المعالي (يريد الخروج).

الرئيس : ما آمنتك عليه من سر منذ قليل يا فورم (يهدده) لو كشفت عنه..

فورم (يضحك) في هذه الحالة، يحق لصاحب المعالي أن يكشف توقيعاتي المزيفة. (يخرج).

الرئيس : صحيح أنني متأكد منك. إنني أمسك بأفعالك الشريرة، مثل إمساك الجيفة بخيط.

خادم غرفة (يدخل) مدير البلاط فون كلب.

الرئيس : لقد جاء في الوقت المناسب. قل له: مرحبا. (يخرج خادم الغرفة).

المنظر السادس

(مدير البلاط فون كلب، بزي التشريفات، وهو رجل ثري، لكن ليس لديه ذوق، وعليه مفتاح الياوران، وساعتان وسيف، ومعه قبعة، وتصفيف شعره على شكل شعر القنفذ، يهرع بصخب نحو الرئيس ويفوح منه في كل مكان عطر المسك، والرئيس)

مدير البلاط (وهو يعانقه) آه صباح الخير، ياصديقي العزيز جدا! كيف استرحت؟ كيف كان لذلك؟ أنت ستسامحني، أليس كذلك، إذا كان من حظي أن آتي متأخرا، لكن الأعمال المستعجلة، وقائمة طعام العشاء، وبطاقات الزيارة، وترتيب الحمامات المختلفة التي ستشارك في مسابقة الزحافات اليوم. آه! ثم إنه كان عليّ أن أصحو لدى طلعة الشمس لأخبر صاحب السمو كم الساعة.

الرئيس نعم، يامدير، إني أرى أنك لا تستطيع حقا أن تكون فارغا من العمل.

مدير البلاط وفوق هذا كله، فإن الخياط الوغد جعلني أنتظر.

الرئيس ومع ذلك فأنت مضبوط ومستعد تماما؟

مدير البلاط وليس هذا كل شيء. فاليوم مصيبة جرّت مصيبة أخرى. اسمع فقط!

الرئيس (في سهو) ممكن هذا؟

مدير البلاط اسمع فقط. لم أكد أنزل من العربة حتى فزعت الخيل، وضربت بأقدامها على الأرض وراحت ترفس بشكل جعل الطين يتناثر عليّ وعلى سراويلي من فوق إلى تحت. ماذا أفعل؟ ضع نفسك -من فضلك- في مكاني، يابارون! أتتصورني في هذه الحالة؟ كان الوقت متأخرا. لقد كانت سفرة كبيرة، والمثول في هذه الحالة أمام صاحب السمو، يا إلهي العادل! ماذا تصورت أنا، تظاهرت بالإغماء. فحملوني بسرعة في العربة. وعدت إلى بيتي وبطني في اتجاه الأرض. وغيرت ملابسي. وعدت. فماذا تقول في هذا؟ وأنا لا أزال أول الحاضرين في غرفة الانتظار. ما رأيك في هذا؟

الرئيس إن هذه مرتجلة رائعة من اللطافة الإنسانية. لكن دع عنك هذا، يا كلب، وقل لي: هل تكلمت مع الدوق؟

مدير البلاط (وعليه سيما الأهمية) لمدة عشرين دقيقة ونصف.

الرئيس خبرني بصراحة. ولا شك أنك أتيتني بخبر مهم؟

مدير البلاط (بجد، وبعد لحظة صمت) إن صاحب السمو يلبس اليوم سترة من فراء القندس (كاستور) بلون خرء الإوز*.

---

* كان ذلك أحدث بدع (موضة) في تلك الأيام.

الرئيس ما هذا الكلام! كلا، يامدير، في هذه الحالة عندي ماهو أهم لأخبرك بـه. إن ليدي ملفورد ستصبح زوجـة للرائد فون فالتر، هذا قطعا خبر جديد بالنسبة إليك؟

مدير البلاط أيكون هذا حقا! وهل تم عقد الزواج؟

الرئيس تم التوقيـع عليه يا مدير. وسيكون فضـلا منك إذا أنت ذهبـت بـدون إبطـاء لتهيئة سيـدتي الليـدي لـزيـارتها، وأعلنت في كل القصر عن قرار ابني فردنيند. .

مدير البلاط (وهو مسرور جدا) أوه! بسرور بـالغ، يا عزيـزي جدا. هـذا أمـر ليـس عنـدي مـاهـو أدعـى إلى السرور منـه. سأذهـب حالا. (يعانقه). لـك السلامة. وبعد ثـلاثة أرباع الساعـة، ستعلم المدينة كلها بـذلك. (يخرج وهو يقفز).

الرئيس (ينظر إليـه وهو يضحـك) ليقل مـن شاء إذن إن هـذه المخلوقـات لا تفيد شيئـا في هذه الـدنيا. الآن يجب على ابني فردنيند أن يريد ذلـك، وإلا لكانت المدينة كلها قد كذبت. (يقرع الجرس. فورم يجيء) ليدخل ابني. (فورم يخرج، الرئيس يغدو ويجيء، وهو غارق في التفكير).

المنظر السابع

(فردنيند والرئيس وفورم «الذي يخرج في الحال»)

فردنيند أنت أمرت، ياسيدي الوالد . . .

الرئيس : وا أسفاه! لابد من ذلك، حين أريد ذات مرة أن أستمتع برؤية ابني . . . اتركنا وحدنا يافورم! (يخرج). أي فردنيند إني أراقبك منذ زمن ولكني لا أجد بعد ذلك الشباب الذي طالما أعجبني. إن حزنا غريبا يقيم في وجهك، أنت تهرب مني، وتهرب من أوساطك* المعتادة. في مثل سنك تغتفر عشرة أعمال طائشة أولى من أن تغتفر نوبة ضعف واحدة. بي أنا يليق هذا المزاج. فدعني أعمل على تحقيق سعادتك، ولا تفكر إلا في أن تشارك في لعبتي. تعال، قبلني يا فردنيند!

فردنيند أنت اليوم في غاية الطيبة معي، يا أبي.

الرئيس : اليوم، ياعفيف! ومع ذلك فهذا اليوم أيضا مصحوب بتقطيبة عبوس. (يتكلم بجد). يافردنيند من أجل من شققت أنا طريقي المليء بالمخاطر والذي يقود إلى قلب الأمير؟ من أجل من قطعت صلتي مع ضميري ومع

* أوساط زملائه الذين من طبقته الاجتماعية.

السماء؟ اسمع يا فردنيند! إنها أتكلم مع ولدي. لمن أخليت المكان بإبعاد سلفي؟ إن هذه حكاية تجعل قلبي يقطر دما بقدر ما أخفي بعناية عن عيون الناس الخنجر. اسمع! قل لي يا فردنيند! من أجل من فعلت كل هذا؟

فردنيند (يتراجع فزعا) أبتاه ليس هذا من أجلي أنا! وليس على رأسي أنا سيسقط الانعكاس الدامي لهذه الجريمة! والله العظيم! إن الأفضل ألا أكون قد ولدت من أن أتخذ تبريرا لمثل هذه الفعلة النكراء.

الرئيس ماهذا؟ ماذا؟ لكني أريد أن أغفر هذا للرأس الهائمة في التخيلات! يا فردنيند! لا أريد أن أستشيط غضبا. أيها الولد الغرّ، أهكذا تكافئني على الليالي التي قضيتها دون أن أذوق طعم النوم؟ وبهذا تجازيني على الهموم المتواصلة.. وعلى العقرب الأبدي المختبىء في ضميري؟ أعليّ أنا يسقط عبء المسئولية... وعليّ أنا اللعنة، ورعد القاضي؟! إنك تستلم الجاه والثراء من اليد الأخرى، إن الجريمة لا تنتقل إلى الوارث.

فردنيند (يبسط يده اليمنى نحو السماء) إني أتنازل بكل جد عن ميراث يجعلني لا أفكر في أبي إلا وأنا في غاية الفزع والرعب.

الرئيس اسمع يافتى! لا تهيج غضبي. لو سارت الأمور على حسب ما تتخيل، لأصبحت تزحف في التراب طوال حياتك.

فردنيند كان هذا أفضل، يا أبي، من الزحف حول العرش.

الرئيس (كاظما غضبه) هم! لابد من إرغامك في الإقرار بسعادتك، إن الهدف الذي لم يستطع عشرة أشخاص آخرين الوصول إليه، على الرغم من جهودهم، قد بلغت أنت إليه وأنت تلعب، بل وأنت نائم: لقد أصبحت بيرقدار (= حامل العلم) وأنت في الثانية عشرة من عمرك، وبرتبة صاغ =(رائد) وأنت في سن العشرين! و حصلت من الأمير على قرار بأن تترك السلك العسكري وأن تعمل في الوزارة! والأمير تكلم عن (العمل في) المجلس الخاص، وفي السفارات، وعن مزايا هائلة. إن أمامك مستقبلا باهرا. وطريقك مفتوح على مصراعيه حتى المرتبة الأولى التي تلي العرش، بل وإلى العرش نفسه، لو كان للسلطة من القيمة مثلما لنياشينها. ألا يبعث هذا الحماسة في نفسك؟

فردنيند إن أفكاري عن العظمة والسعادة ليست هي أفكارك تماما. إن سعادتك لا تتجلى إلا بالتدمير. فالحسد، والخوف، واللعنة هي المرايا الحزينة التي تتراءى فيها عظمة الإنسان القوي مع ابتسامة إعجاب بالنفس أما الدموع، واللعنات، واليأس فهي المأدبة الرهيبة التي يتغذى منها أولئك السعداء الذين سيحل لهم الثناء، ومنها ينهضون سكارى كيما يذهبوا هكذا مبلسين في الأبدية أمام عرش الله. أما أنا فمثلي الأعلى ينحصر بكل تواضع في شخصي. إن في قلبي ترقد كل آمالي.

الرئيس رائع! عظيم! لا نظير له! هأنذا قد رجعت، بعد ثلاثين عـامـا، إلى درسي الأول. لكن، مـع الأسـف، وأنـا في الخمسين مـن عمـري، صرت لا أستطيـع القيـام على تعليمـك. لكن، حتـى لا أتـرك هـذه العبقريـة الهادرة يعلوها الصدأ، أريد أن أضع إلى جوارك شخصا تستطيع أن تتدرب معـه وفقا لهواك في هـذه الشطحات الـرائعة. وعليـك أن تقـرر اليـوم، اليـوم بـالـذات، أن تتخـذ زوجة.

فردنيند (يتراجع إلى الوراء في ذهول) يا أبي!

الرئيس لا ألاعيـب! لقـد أرسلـت إلى ليـدي ملفـورد بطـاقـة باسمك. وعليـك أن تذهب إليها دون إبطـاء وتقول لها إنك خطيبها.

فردنيند : إلى الليدي ملفورد، يا أبي؟

الرئيس : إذا كانت معروفة لك!

فردنيند : (خارجا عن طـوره) وأي عمود* لعـرض الفضيحـة لا يعرفهـا؟ لكني يا أبي سـأكون هـدفا للسخريـة إذا أنا أخذت مأخـذ الجد مزاحك هذا. أتريـد أن تكون والدا لابن وغد يتزوج خليلة متميزة؟

---

* العمود الـذي كان يعلق عليـه المحكوم عليهم بـالإعدام. وفردنينـد يقصد أن اسم ليـدي ملفورد ملطخ بأشنع العار.

الرئيس أحسن من هذا. سأتقدم أنـا للزواج منها إذا رضيت هي برجل في سن الخمسين. ألا تريد أنت أن تكون ابنا لأب وغد؟

فردنيند كـلا، هـذه هـي الحقيقة التـي تضـارع حقيقـة أن اللـه موجود.

الرئيس : هذه وقاحة على شرفي! ولكنني اغتفرها لندرتها.

فردنيند : أستحلفك يا أبي! لا تـدعني أتوقف أطول مـن هذا عند افتراض يشق عليّ من أن اسمي نفسي ابنك.

الرئيس يا ولـد، هل أنت مجنـون؟ أي عاقل لا يشتهـي الحصول على ميزة تبادل الموقع مع أميره؟

فردنيند لقد أصبحت لغزا بالنسبـة إليّ يا أبي! أتسمي هذه ميزة، أن أتقاسم مع الأمير ذلك الأمر الذي فيه ينحط إلى ماهو أدنى من مرتبة الإنسان؟

الرئيس (يقهقه)

فردنيند لك أن تضحك، وأنا أغضي عن هـذا، يا أبي! بأي وجه أبدو أمام أدنى العمال ممن تقدم له زوجة كبائنة*، جسما سليما؟ بأي جبين أجابه العـالم، أواجه الأمير، بل أواجه الخليلة نفسها، التي ستغسل بعاري أنا شرفها؟

* هي مـا تقدمـه الزوجـة لزوجها حين يتـزوج منها، في مقـابل المهر الـذي يقدمـه الرجـل في البلاد الإسلامية.

الرئيس — يا ولدي من أين حصلت على كل هذا الكلام الفارغ؟

فردنيند — أستحلفك، يا أبي، باسم السماء والأرض! إنك لن تستطيع، بتسليمك ابنك على هذا النحو، أن تصبح سعيدا بجعلك إياه شقيا. إني أعطيك حياتي، إذا كان هذا من شأنه أن يزيدك رقيا إني أدين لك بحياتي، ولن أتردد لحظة في التضحية بها كلها من أجل عظمتك. شرفي، يا أبي! لو سلبتني إياه، إذن لقد كان عملا طائشا كريها أن تكون قد أعطيتني الحياة، وأنا مضطر إلى لعن أبي كما ألعن القواد.

الرئيس — (بلهجة ودية، مربتا على كتفه) مرحى، يا ولدي العزيز!

الآن أرى أنك رجل حقا، رجل جدير بأن يتزوج أحسن امرأة في الدوقية. إنها ستكون لك. فبعد ظهر هذا اليوم ستكون خطيبا للكونتيسة فون اوستهايم Ostheim.

فردنيند — (مرة أخرى في ذهول) هل قدر لهذه الساعة أن ترهقني عسرا؟

الرئيس — (وهو يرقبه بنظرة) شرفك لااعتراض له على هذا، هكذا أرجو.

فردنيند كلا، ياأبي. إن فريدريكه فون أوستهايم تستطيع أن تجعل من أي إنسان غيرى أنا أسعد بني الإنسان(لوحده، وهو في اضطراب شديد) إن ما تركته نذالته سليما في قلبي، تمزقه طيبته.

الرئيس (محدقا دائما بعينه في ابنه) إني أنتظر التعبير عن الإقرار بالجميل، يا فردنيند!

فردنيند (يندفع ويقبل يده بحرارة) أبي طيبتك تشعل كل ماعندي من مشاعر. أبي! أحر شكري لمقصدك الحميم. إن اختيارك لا غبار عليه. لكني. . لا أستطيع. . . لا ينبغي لي. . . اعذرني. . . لا أستطيع أن أحب الكونتيسة!

الرئيس (متراجعا خطوة) آه! الآن أمسكت بك، ياسيدي الشاب هكذا وقع في الفخ، هذا المنافق الماكر. إذن لم يكن الشرف هو الذي جعلك ترفض الليدي. لم يكن الشخص، بل الزواج بما هو زواج هو الشيء الذي تكرهه.

فردنيند (يتوقف كما لو كان قد تحجر، ثم يندفع ويريد أن يهرب)

الرئيس أين تذهب؟ ابق مكانك! أهذا هو الاحترام الذي ينبغي عليك أن توفره لي؟ (يعود الرائد). لقد أعلن عن زيارتك لليدي، والدوق على علم بكلمتي. والمدينة والبلاط

يعلمان أن المسألة قد تمت فإن جعلت مني، يا ولدي، رجلا كذابا، وإذا جعلتني كذابا في نظر الأمير، ونظر الليدي، ونظر المدينة والبلاط فاسمع يا ولدي: أنا إما أن أكشف عن بعض الحكايات! . . . ابق مكانك ما هذا الذي يطفىء في الحار نار خدودي؟

فردنيند : (يصير أبيض كالثلج ويرتعد) كيف؟ ماذا؟ لا شيء قطعا، يا أبي.

الرئيس (ملقيا عليه نظرة رهيبة) وإذا كان هناك شيء، وإذا استطعت أن أكتشف أثر ما يسبب هذه المقاومة. آه! يافتى! إن الشك وحده يثير ثائرتي. اذهب فورا. بدأ الاستعراض. ستكون عند الليدي، متى ما نطق بالأمر. إذا ظهرت أنا، ارتعدت كل الدوقية! . لننظر هل يفرض ابن عنيد قانونه عليّ أنا (يذهب ثم يعود أدراجه) يا ولد! أقول لك. . ستذهب أنت، أو اهرب من غضبتي. (يخرج).

فردنيند (مستيقظا من ذهول قاتم) هل رحل! أكان ذلك صوت أب؟ نعم، سأغدو إليها، سأذهب، وسأقول لها أشياء، سأقدم إليها مرآة. هذه المرأة الشريرة! وإذا طلبت مني بعد ذلك يدي. أمام النبلاء المجتمعين، والجنود والشعب. تسلحي بكل كبرياء بلادك إنجلترا* . . إني أرفضك، أنا ابن ألمانيا! (يخرج باندفاع)

---

* كانت ليدي ملفورد تدعي أنها تنحدر من سلالة نورفولك الإنجليزية.

الفصل الثاني

(صالون في قصر ليدي ملفورد، عن يمين، أريكة، وعن شمال بيانو)

المنظر الأول

[الليدي في ثوب فضفاض لكنه جميل، لم تصفف شعرها بعد، تجلس إلى البيانو وتبدأ العزف، صوفي، خادمتها تأتي من النافذة]

صوفي تفرق الضباط. والاستعراض انتهى. ولكني لا أشاهد بعد فون فالتر.

الليدي : (في اضطراب شديد، تقف وتمشي في الصالون) لا أدري في أية حال أنا اليوم، ياصوفي! لم أشعر بمثل هذا من قبل أبدا. ألم تشاهديه؟ آه! لا شك إنه ليس متعجلا. وهذا يجثم على صدري كأنه تأنيب. اذهبي، ياصوفي، وآتوني بأشد الأفراس جموحا في الاسطبل. لابد لي من التجوال في الهواء الطلق، وأنا أرى الناس وزرقة السماء، وأنا أسرّي عن قلبي بالركض.

صوفي إذا كنت تشعرين باعتلال المزاج ياسيدتي، فاجمعي ناسا هاهنا! اطلبي من الدوق أن يتناول الطعام هاهنا، أو غيري بوضع منضدة اللعب بالأوراق أمام أريكتك. لو كان الأمير وكل البلاط تحت إمرتي أنا، لكنت أود أن نزوة حزن طارئة واحدة تدوّي في رأسي!

الليدي (ترتمي على الأريكة) أرجوك، اعفيني سأعطيك قطعة من الماس عن كل ساعة أستطيع أن أتخلص فيها منهم. أتريدين مني أن أحشد في غرفي هذا العالم من الناس؟ إنهم سفلة، جديرون بالرثاء، وهم يفزعون إذا بدرت من قلبي كلمة جادة وكريمة، ويفتحون الأفواه والمناقير كما لو كانوا قد شاهدوا شبحا. إنهم عبيد خيط من الدمى أتحكم أنا فيه بنفس السهولة التي أتحكم بها في نسيج شبكتي. ماذا أعمل بأناس نفوسهم تسير باطراد مثل ساعاتهم؟ وهل سأجد لذة في أن أوجه إليهم سؤالا، وأنا أعلم فقط بماذا سيجيبون؟ أو أني أتبادل معهم كلمات وليس لديهم الشجاعة في أن يكون لهم رأي مخالف لرأيي؟ ألا سحقا وبعدا لهؤلاء الناس عني؟ من الممل أن يركب المرء فرسا لا يعض على لجامه. (تذهب إلى النافذة).

صوفي : لكنك يا سيدتي ترحبين بالأمير على الأقل؟ إنه أجمل إنسان، والعاشق الولهان، والرأس الأكثر ألمعية في كل دوقيته.

الليدي (تنتبه) لأن الدوقية ملك له، ياصوفي، إن لقب الأمير الحاكم هو وحده الذي يمكن أن يقدم إلى ذوقي مبررا. محتملا. أنت تقولين إنهم يحسدونني. يالك من فتاة مسكينة! أحرى بهم أن يرثوا لحالي. من بين كل أولئك الذين يغذيهم صاحب الجلالة ويرضعهم، الخليلة وحدها هي الأسوأ نصيبا، لأنها هي وحدها التي تشاهد

الرجل الثري والقـوي وقد اقتصر على دور الشحّاذ. هذا حق، إنه يستطيـع، بكلمة عظمته، أن يخرج من بـاطن الأرض كـل نزوات قلبـي، وكـأنها قصر جنيات. وهـو يضع على مائدتي كل أطايب العالم، ويحوّل الصحراء إلى جنـة، ويفجر عيـون البلاد ويجعلهـا تنحني على شكـل منحنيات رائعة. لكن هل يستطيع أن يأمر قلبه بالنبض بحمية وجلال ضـد قلب جليل؟ هل يستطيـع أن يرغم مخه الجاسي على شعـور كريـم واحـد؟ إن قلبي يصـوم، وسـط كـل شبـع الحواس هـذا، ومـاذا تفيـدني كـل العواطـف، إذا لم أكن هناك إلا مـن أجل إطفـاء غليان الدم؟

صوفي (تتطلع فيهـا بدهشـة) كم مضى مـن الزمـن إذن وأنا في خدمتك ياسيدتي؟

الليدي ألأنك لا تعـرفينني إلا اليوم؟ صحيـح، يا صـوفي. لقد بعت شرفي لـلأمير، أما قلبـي فإننـي احتفظت بـه حرا، قلبي الـذي ربما لا يزال، ياصـوفي، جديرا بـإنسان، ولم يمـرر عليه الهواء المسمـوم للبـلاط إلا مرور النسمـة على المرآة. صدقيني، ياعزيزتي، أنه كان في وسعي منذ زمان طـويل أن أحميـه من هـذا الأمير البائس، لـو كنت قـد استطعت أن أرغم طموحـي على التخلي لسيدة أخرى في البلاط.

صوفي وهذا القلب هل استسلم للطموح عن طيب خاطر؟

الليدي : (بحدة) كما لم يكن قد انتقم بعد! كما لو لم ينتقم لنفسه بعد! (بلهجة معبرة، تاركة يدها تسقط على كتف صوفي) ياصوفي! نحن معشر النساء نحن لا نستطيع أن نختار إلا بين أمرين: أن نحكم أو أن نخدم. لكن أعظم شهوة للسلطة ليست بالنسبة إلينا إلا وسيلة بائسة، حين نكون محرومات من أكبر شهوة وهي أن نكون إماء لرجل نحبه.

صوفي : لو كانت هذه حقيقة، ياسيدتي، فأنت آخر من أود أن أسمعها منها.

الليدي : ولماذا، ياصوفي؟ أولا يشاهد من طريقتنا الصبيانية في الإمساك بالصولجان إننا لا نصلح إلا للاقتياد حتى الحدود؟ ألم تلاحظي علي نزواتي الطارئة وعلى ملاهيّ العارمة أنه لا هدف لها إلا أن تزرع في نفسي شهوات أشد عرامة وعنفا؟

صوفي : (تتراجع وهي مندهشة) ياسيدتي!

الليدي : (بحدة أكبر) هدئيها. أعطني الرجل الذي أفكر فيه الآن، والذي أعبده، والذي لابد لي أن أتملكه، وإلا مت. (بصوت رقيق). دعيني أسمع من فمه أن دموع الحب تلمع لمعانا أجمل في أعيننا من الماسات في شعرنا (بحرارة)، وأنا أرمي على قدمي الأمير قلبه ودوقيته، وأهرب مع هذا الرجل، أهرب إلى أبعد صحراء في هذا العالم.

صوفي : (تنظر إليها بفزع) ياللسماء! ماذا تفعلين؟ ماذا جرى لك، ياسيدتي؟

الليدي (في حيرة تامة) أيعلوك الشحوب؟ هل تفوهت بأكثر مما ينبغي؟ أوه! دعيني أربط لسانك بثقتي. اعلمي أيضا، اعلمي كل شيء.

صوفي (تتلفت حواليها بقلق) أخشى ياسيدتي، أخشى أني لم أعد بعد في حاجة إلى معرفة ذلك.

الليدي هذا الزواج بالرائد، الناس وأنت تتصورون أن هذه مؤامرة من البلاط. ياصوفي لا تخجلي، لا تخجلي مني، إنه من صنع حبي.

صوفي بحق السماء! كنت على شعور سابق بهذا.

الليدي لقد غرر بهم، ياصوفي: الأمير الضعيف، وفالتر رجل البلاط الماكر، ومدير البلاط الأحمق. كل واحد منهم سيقسم أن هذا الزواج هو الوسيلة الناجعة للاحتفاظ بي من أجل الدوق، ولتوثيق الروابط بينه وبيني، نعم هو الوسيلة لقطعها إلى الأبد، ولكسر هذه الأغلال الجالبة للعار. يالهم من كذابين مخدوعين! عبثت بهم امرأة ضعيفة! وأنت التي ستأتين لي بمن أحب. آه! لقد كان ذلك هو ما كنت أهوى. حينما أملكه، حينما أملكه، أوه حينئذ عِمِي مساء إلى الأبد أيتها العظيمة الكريهة!

المنظر الثاني

(خادم عجوز من خدم الأمير يحمل صندوق مجوهرات، الليدي، صوفي)

الخادم صاحب السمو الدوق يقدم تحياته إلى الليدي ويبعث إليها بهذه المجوهرات، احتفالا بزواجها. إنها وصلت على التو من مدينة فينيسيا.

الليدي (تفتح الصندوق وتتراجع في خوف) يارجل! كم دفع سيدك الدوق ثمنا لهذه الجواهر!

الخادم (بكآبة) إنها لم تكلفه فلسا واحدا.

الليدي ماذا؟ هل أنت مجنون؟ لم تكلفه شيئا؟ (تبتعد بمقدار خطوة) وتلقي أنت إلي بنظرة كما لو كنت تريد أن تخرق قلبي! هذه الجواهر ذوات القيمة الكبيرة جدا لا تكلفه شيئا؟

الخادم بالأمس سافر سبعة آلاف طفل إلى أمريكا. إنهم دفعوا كل شيء.

الليدي (تضع الصندوق بسرعة، وتتجول في الصالون، وبعد لحظة من الصمت تقول مخاطبة الخادم) يارجل ماذا بك؟ أظن أنك تبكي؟

الخادم (يمسح عينيه، وبصوت مخيف وكل أعضائه ترتعد يقول) جواهر مثل هذه أنا لي فيها ولدين.

الليدي (تشيح بوجهها في تأثر وتمسك يده) لكن لا واحد بالإكراه؟

الخادم أوه! يا إلهي كلا، ليس فيهم إلا متطوعون. صحيح أنه قد خرج عن العزف بعض الصبية الفضوليين الذين سألوا العقيد (الكولونيل) بكم باع الأمير الحزمة من الناس؟ لكن أميرنا الفاضل أمر بتقديم كل الكتائب في ميدان العرض وأمر بإطلاق الرصاص على المتفرجين. وسمعنا صوت طلقات الرصاص من البنادق، وشاهدنا أمخاخهم تتطاير على الأرض المرصوفة، وصاحت كل الفرقة: «هيا، هيا امضوا إلى أمريكا».

الليدي (ترتمي على الأريكة وقد غلبها الفزع) يا الله! يا الله وأنا لم أسمع شيئا، ولم ألاحظ شيئا؟!

الخادم نعم، يا سيدتي الفاضلة. لماذا إذن كان لابد أن تكوني ذاهبة مع الأمير لصيد الدببة، حينما قرعت الطبول للرحيل؟ كان واجبا عليك ألا تتخلفي عن هذا المنظر الرائع، حينما أعلن لنا صوت الطبل أن الوقت قد حان كي يشيّع يتامى أباهم الحي بالعويل، هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى كي تتقدم الأم -وهي في حالة هذيان- لتلقي على أسنة الحراب طفلها الرضيع، وكي يفصل الحبيب عن حبيبته بالسيف، وكي ترى اللحى الشيباء فريسة لليأس، وكي يرموا إلى الشبان عكازاتهم ليأخذوها معهم إلى العالم الجديد أوه! وبالإضافة إلى هذا، ضجيج الطبول يعلو كي يمنع العارفين بكل شيء من سماعنا ونحن ندعو ونصلي.

الليدي : (تقف وهي في غاية التأثر) ابعدوا عني هذه الجواهر! إنها ترمي قلبي بقذائف من الشعلات الجهنمية! (وبصوت أرق تقول للخادم): هدئ من روعك، أيها العجوز المسكين! إنهم سيعودون وسيرون وطنهم من جديد.

الخادم (بحرارة وصوت مختنق) الله أعلم! سيعودون! عند باب المدينة أيضا تلفتوا وصاحوا: «كان الله معكم، أيتها النساء والأطفال! ليحيا أبو البلاد! في يوم الحساب سيروننا!».

الليدي (تذرع الصالون ذهابا وجيئة بخطوات واسعة) مخيف! رهيب! لقد افتكرني بأنني كفكفت كل الدموع في هذه البلاد. لكن نورا مروعا قد أضاء عينيّ. اذهب، قل لسيدك سأشكره بشخصي. (يهم الخادم بالخروج، فتلقي بكيس نقود في قبعته) وخذ هذا في مقابل أن أخبرتني بالحقيقة.

الخادم : (يرمي بالكيس على المائدة باحتقار) ضمي هذا إلى الباقي. (يذهب)

الليدي : (تتبعه بنظراتها في دهشة) ياصوفي! اهرعي وراءه، اسأليه عن اسمه. لابد من رد ولديه إليه. (صوفي تخرج. الليدي تغدو وتجيء، وهي مستغرقة في التفكير. وقفة. تعود صوفي فتقول لها): ألم تسر إشاعة منذ وقت قصير تقول إن النار دمرت مدينة على الحدود وحولت حوالي أربعمائة أسرة إلى شحاذين؟ (تقرع الجرس)؟

صوفي ما رأيك في هذا؟ هذا صحيح تماما، وغالبية ء
البائسين يخدمون دائنيهم كعبيد، أو يهلكون في م
الفضة التي يملكها الأمير.

خادم (يدخل) بماذا تأمر سيدتي؟

الليدي (تعطيه زينتها) لتحمل هذه فورا إلى تلك المنطقة. وتتحول في الحال إلى نقود، بهذا أنا آمر، والثمن يقسم بين الأربعمائة أسرة التي نكبها الحريق.

صوفي سيدتي! فكري في أن هذا سيعرّضك لأشد الغضب عليك.

الليدي (بكبرياء) أينبغي لي أن أحمل في شعري لعنة بلاده؟ (تلقي بإشارة إلى الخادم. الخادم يخرج). أو تريدين مني أن أسقط على الأرض تحت وطأة الرهبة لكل هذه الدموع؟ اذهبي ياصوفي! الأفضل أن يكون في شعري حلي زائفة من أن يكون في قلبي الشعور بمثل هذا الفعل.

صوفي لكن جواهر مثل هذه! ألم يكن الأولى بك أن تعطي جواهرك الأقل قيمة؟ لا، ياسيدتي، هذا أمر لا يغتفر.

الليدي حمقاء أنت! وفي مقابل ذلك سيسقط عليّ، في لحظة واحدة من الماسات واللآلىء ما لا يحمله عشرة ملوك في تيجانهم وأجمل.

الخادم (يعود) الرائد فون فالتر.

صوفي (تندفع نحو الليدي) يا الله! أنت تشحبين.

الليدي هـذا أول إنسان يخيفنـي، ياصـوفي. أبلغـه أنني معتلـة الصحة. تـوقف يـا ادوارد! هل هـو طيب المزاج؟ هـل يضحك؟ مـاذا يقول؟ أوه، أليس كـذلك يـاصوفي! ألا أبدو دميمة؟

صوفي أستحلفك بالله ياسيدتي.

الخادم أتأمرين بأن أصرفه؟

الليدي (بكلام متلعثم) قل لـه: مرحبا. (الخادم يخرج) تكلمي ياصوفي!

ماذا عسـاني أقول له! كيف أستقبلـه؟ سأكون خـرساء. سيسخـر مـن ضعفـي. أوه، أي استشعـار، أتتركينـي يـاصوفي؟ ابقـي. لكن لا، اذهبـي. أوه! بل ابقـي إذن (الرائد يجتاز غرفة الانتظار).

صوفي هيئي نفسك. هاهو ذا.

المنظر الثالث

(فردنيند فون فالتر، الليدي، صوفي)

فردنيند (مـع انحناءة خفيفـة)هل أقطـع عليـك شيئا، سيـدتي الفاضلة؟

الليدي (وقلبها يخفق خفقانا ظـاهرا) لا شيء ذا أهمية، ياسيدي الرائد.

فردنيند أتيت بناء على أمر والدي.

الليدي أنا مدينة له بالفضل.

فردنيند يجب عليّ أن أعلن لك أننـا سنتزوج كلانا بـالآخر. هذه هي المهمة التي كلفني بها والدي.

الليدي (تشحب وتـرتعد) وليـس قلبك أنـت هو الـذي كلفك بذلك؟

فردنيند ليس من عـادة الوزراء والوسطاء في الـزواج أن يستطلعوا نبأ ذلك.

الليدي (بقلق تعجـز معه عن الكلام) وأنـت نفسك أما لـديك شيء آخر تضيفه؟

فردنيند (ملقيا نظرة على الوصيفة صوفي) لديّ الكثير، ياسيدتي!

الليدي : (تشير إلى صوفي بالخروج) هل أستطيع أن أقدم إليك مكانا على هذه الأريكة؟

فردنيند : سأكون موجزا، ياسيدتي.

الليدي : إذن!

فردنيند أنا رجل شرف.

الليدي وأنا أقدّر هذا.

فردنيند : أنا رجل نبيل.

الليدي ليس في الدوقية من هو أحسن منه.

فردنيند وأنا ضابط.

الليدي (بلهجة فيها تلطف واسترضاء) أنت تذكر مزايا يشاركك فيها غيرك! فلماذا لا تذكر مزايا أكبر منها هي لك أنت وحدك؟

فردنيند (بلهجة جافة باردة) ليس هاهنا محل لذكرها.

الليدي (بقلق متزايد باستمرار) ماذا عليّ أن أستنتج من هذا الاستهلال؟

فردنيند	(ببطء وبصوت معبر) أن هذه هي اعتراضات الشرف، إذا شئت أن ترغميني على أن أتزوجك.
الليدي	(صائحة) ما هذا الكلام، ياسيدي الرائد؟
فردنيند	(بهدوء) هذه لغة قلبي*، وشارة** نبالتي ولغة سيفي!
الليدي	هذا السيف ـ الأمير هو الذي أعطاك إياه.
فردنيند	إن الدولة هي التي أعطتني إياه بواسطة يد الأمير. أما قلبي فالله هو الذي منحني إياه. وشارة نبالتي يرجع تاريخها إلى خمسة قرون.
الليدي	واسم الدوق . . .
فردنيند	(بحرارة) وهل يستطيع الدوق أن يزيف قوانين الإنسانية، أو أن يصك أفعالنا بصكه، كما يفعل مع نقوده؟ وهو نفسه ليس فوق الشرف، لكنه يستطيع أن يغلق فم الشرف بذهبه، إنه يستطيع أن يضع معطفه من فرو الثعالب (الهرمين) على عاره. أرجوك، لا تسترسلي في هذا الكلام، ياسيدتي. الأمر لا يتعلق بمستقبل يضحّى به، ولا بأجداد، ولا بهذا السيف، ولا برأي الناس. إني مستعد أن أدوس على هذا كله بقدمي، متى ما أقنعتني بأن ثمن التضحية ليس أسوأ من التضحية نفسها.

---

* أي: الذي يحب امرأة أخرى.

** أي عراقة نبالتي التي مضى عليها ٥٠٠ سنة والتي سيشينها الزواج من خليلة شخص آخر.

الليدي (وهي تتـألم، وتبتعد عنه) سيـدي الرائد! أنـا لم أستحق هذا.

فردنيند (ممسكا بيدها) سامحيني نحـن نتكلم هاهنا دون شهود. والظـرف الذي يجمعنـا، أنـا وأنت، اليـوم، ولهذه المرّة فقـط، يخوّل لي، بل ويـرغمنـي، على ألا أخفي عليـك مشاعـري الباطنـة. لا يدخـل في عقلي، ياسيـدتي، أن سيدة لها هذا الجمال وهذا الذكاء ـــ وهي صفات يقدرها الرجل ـــ يمكن أن تستسلم لدوق تعـود على ألا يعجب منها إلا بالجنس، وفي نفس الوقت هذه السيدة لا تخجل من أن تهب قلبها لإنسان.

الليدي (تتطلع في وجهه بأنفة واستعلاء) قل كل ما يحلو لك.

فردنيند أنت تقولين إنك إنجليزيـة اسمحي لي أن أقول لك إنني لا أستطيـع أن أصدق أنـك إنجليـزية. إن البنـت الحرة لأكبر شعب حـر موجـود تحت السـماء، الشعـب الذي هـو من الكبرياء بحيث لا يشيـد بفضله ماهو أجنبي، لا يمكنها أبدا أن تبيع نفسها لرذائل الأجنبي. لا يمكن أن تكوني إنجليزيـة، أو أن يكون قلب هذه الإنجليـزية هو من الصغر بقدر ما قلب إنجلترا كبير وجسور.

الليدي هل فرغت من الكلام؟

فردنيند يمكن أن يجاب عن هذا بالقول: إن هذا يرجع إلى سفاهة المرأة «شهوة، مزاج، حب اللذة!»، وفي كثير من الأحيان يحيا الشرف بعد زوال الفضيلة. ومن النساء من استطعن ـ بعد دخولهن في هذا المسلك مسربلات بالعار ـ قد تصالحن مع الدنيا بأفعال نبيلة، واستطعن بالاستخدام الجميل لمكانتهن، أن يسبغن النبالة على مهنة خسيسة. لكن لماذا البلاد قد صارت اليوم مقهورة أكثر مما كانت في أي وقت مضى؟ إني أتكلم باسم الدوقية. ولقد فرغت من قولي.

الليدي (برقة ونبالة) هذه هي المرة الأولى، يافالتر، التي فيها يجرؤ إنسان على أن يوجه إليّ كلاما من هذا النوع، وأنت الإنسان الوحيد الذي جاوبته على مثل هذا الكلام. إن أنت رفضت يدي، فإني أقدرك لهذا. وإذا أهنت قلبي، فإني أسامحك على هذا. أما أنك تقول بجد ما قلته ـ فهذا ما لا أصدقه. لأن من يتجاسر على أن يقول هذه الإهانات لسيدة لا تحتاج إلا لليلة واحدة من أجل التنكيل به، فإن عليه أن يفترض أن لدى هذه السيدة نفسا كبيرة، أو أنها قد فقدت عقلها. إنك تحملني مسئولية خراب هذه البلاد! سامحك الله العليّ القدير! الله الذي سيضعنا: أنت وأنا والدوق في مواجهة بعضنا بعضا. لكنك أثرت في نفسي إنجلترا، ووطني يجب عليه أن يجيب على توبيخات من هذا النوع.

فردنيند (مستندا إلى سيفه) بودي أن أعرف.

الليدي اسمع إذن ما لم أفض بـه إلى أحد، وما لا أريد أن أفضي به إلى أحد غيرك يا فالتر، أنا لسـت المغامرة التي تتبصرها فيّ. في وسعـي أن أشيـد بقيمتـي وأنـا أقـول: إن دمـي ينحدر من دماء أمراء، من أسرة نورفولك* التعيس الذي ضحى بنفسه مـن أجل ماريا ملكـة اسكتلنده. وأبي قد كان كبير يـاوران الملك، واتهم بأن لـه علاقات إجـرامية مع فرنسا، وبقرار من البرلمان حكم عليه بالإعدام وأعدم فعلا. وصودرت أمـوالنا واستولى عليها التـاج (الملك). ونحن أيضا نفينـا من البلاد، وأمي توفيـت في يوم تنفيذ حكم الإعـدام. أما أنـا وكنت فتـاة في الرابعـة عشرة من عمري، فقـد لجأت إلى ألمانيا ومعي مربيتـي، وصندوق صغير مـن المجـوهـرات، وصليـب الأسرة هـذا الـذي وضعته أمي ـ وهي تعـالج سكرات الموت ـ في صدري، وهي تبارك عليّ آخر تبريكة.

---

* أسرة نورفولك Norfolk تضم عدة دوقات، هم على التوالي: هوارد جون، أول دوق في هذه السلالة (١٤٣٠ ـ ١٤٨٥)، هـوارد تومـاس، ثـاني دوق(١٤٤٣ ـ ١٥٢٤) هـوارد تومـاس ثـالـث دوق (١٤٧٣ ـ ١٥٥٤)، هوارد تـوماس، رابع دوق (١٥٣٦ ـ ١٥٧٢)، هـوارد هنري، سادس دوق (١٦٢٨ ـ ١٦٨٤)، هوارد هنري، سابع دوق (١٦٥٥ ـ ١٧٠١)، هوارد شارلز، الدوق العاشر (١٧٢٠ ـ ١٧٨٦) والمشار إليه في النص هو توماس هوارد الثالث، الدوق الرابع في أسرة نورفورك، فرع هـوارد (١٥٣٦ ـ ١٥٧٢). وقـد حظي في البـداية برضـا الملكة اليصـابت، وعينتـه عضوا في المجلـس الخاص في ١٥٦١ ولما جاءت مـاريا استيـورت، بعـد ثورة رعيتهـا عليها في اسكتلنـده، طالبة النجدة مـن اليصابت، أرسلت هذه لجنة للتحقيق في أسبـاب ثورة اسكتلنده على ملكتهم، وكان في اللجنـة نورفولـك. ويبدو أنه تعـاطف مع ماريـا وسعى للزواج منهـا فأثار هـذا غضب اليصابت فأحالته إلى لجنة تحقيق في ١٦/ ٢/ ١٥٧٢، وهذه اللجنة قررت اتهامه بالخيانة العظمى. وبعد تردد منها وافقت على قرار البرلمان بإعدامه. فأعدم في ٢/ ٦/ ١٥٧٢.

فردنيند (يستغرق في التفكير ويلقي على الليدي نظرات تشيع فيها المصلحة).

الليدي (تواصل حديثها، بانفعال متزايد) ووصلت إلى هامبورج، مريضة، بغير اسم، بغير حماية ولا ثروة، يتيمة غريبة. ولم أكن قد تعلمت إلا القليل من اللغة الفرنسية، وغزل الشبكة، و العزف على البيانو. لم أعرف الأكل في صحون من الذهب والفضة، ولا جعل عشرة من الخدم يحضرون إليّ بأقل إشارة، ولا تلقّي آيات التملق من الكبار الذين من مستواك. ومرت ست سنوات في الدموع. وبيع آخر دبوس ذي قيمة. وماتت مربيتي. هنالك هيأ لي القدر مجيء دوقكم إلى هامبورج*. كنت أتريض على شاطىء نهر الب Elb، ورحت أتأمل في النهر، وبدأت أحلم وأتساءل هل هذا الماء أعمق من آلامي. . وأبصرني الدوق، واتبعني، وعرف مسكني، وارتمى عند قدمي وأقسم لي بأنه يحبني. (تتوقف وهي في غاية التأثر، ثم تواصل الكلام بصوت تقطعه الز فرات): هنالك استيقظت كل صور طفولتي السعيدة برداء جذاب، إن مستقبلا كئيبا، أسود مثل سواد القبر، كان يهددني بفظاعته. وتحرّق قلبي للعثور على قلب فارتميت على قلبه (تندفع بعيدا عنه). . . ؟

* فعلا جاء الدوق كارل أويجن في ١٧٨١ إلى هامبورج، وكانت له خليلات إنجليزيات.

فردنيند (وهو في تأثر شديد يجري وراءها ويوقفها) ياسيدتي! يا للسماء! ماذا أسمع؟ ماذا فعلت؟ إني أبصر جريمتي بكل فظاعتها! لن تستطيعي أن تغفري لي!

الليدي (تعود، وتحاول تهدئة نفسها) اسمع البقية. إن الدوق، والحق يقال، قد فاجأ شبابي الأعزل. لكن دم أسرة نورفولك ثار في نفسي. صاح في وجهي: أنتِ، المولودة أميرة يا إميليا، صرت الآن خليلة لدوق! وتصارعت الكبرياء والمصير في داخل نفسي، حينما اقتادني الدوق إلى هنا وتجلى فجأة أمام عيني أبشع المشاهد. إن شهوة عظماء هذا العالم هي الشهوة النهمة التي لا تشبع والتي تذهب للبحث عن ضحايا لنهمها المشبوب. وهذه الشهوة قد أحدثت من قبل في هذه البلاد تخريبات مروعة. لقد فصلت العروس عن عريسها، وحطمت الرباط المقدس للزواج. إنها، هاهنا، قد دمرت السعادة الهادئة للأسرة، وهناك فتحت القلب الشاب غير المجرَّب أمام بلايا العدوى، والفتيات المسكينات اللواتي أفسدن صرن يلعنّ ـ وقد أرغين وأزبدن من الغضب ـ اسم من أفسدهن، وهن يرتعدن من هول ما بهنّ. ولقد وضعت نفسي بين الحَمَل والنمر، وحصلت منه في لحظة الشهوة على أن يعدني وعد دوق، وتوقفت هذه التضحيات الرهيبة.

فردنيند (يعدو خلال الصالة، وهي في أشد الاضطراب) كفى، يا سيدتي! لا تزيدي شيئا.

الليدي هذه الفترة الأليمة قد أخلت مكانها لفترة أشد هولا. كان البلاط والسراي يعجّان بحثالة القادمين من إيطاليا. وباريسيات لعوبات كن قد جعلن من الصولجان الرهيب لعبتهن، ونزف الشعب دمه تحت نير نزواتهن. وانتهت سيطرتهن شيئا فشيئا. وشاهدتهن يسقطن في التراب إلى جانبي، لأنني كنت أكثر دلالا منهن جميعا. وأمسكت بقياد الحكم من أيدي الطاغية. الذي أرخته الشهوة بين ذراعيّ. إن وطنك، يا فالتر، شعر لأول مرة بيد إنسانية، واستراح بثقة على صدري. (لحظة صمت، في أثنائها كانت تتطلع فيه بحنان). أوه! هل لابد من أن الرجل الوحيد ـ الذي أريد ألا يجهل قدري ـ يرغمني في هذه اللحظة على أن أتباهى بنفسي وأنا أحرق هكذا أجنحة فضيلتي الصامتة بتعريضها لضوء الإعجاب؟ يافالتر! لقد دمرت سجونا، ومزقت قرارات بالإعدام، وقصرت مؤبد الحكم على العمل في التجديف في سفن التعذيب. وفي جروح لا تعالج، صببت بلسما مهدئا. ومرّغت في التراب مجرمين أقوياء، وفي مرات عديدة أنقذت قضية الأبرياء الضائعة، بدمعة من خليلة. آه! يافتى! كم كان ذلك عذبا عندي! إن قلبي يستطيع بكل كبرياء أن يفند كل اتهام لميلادي الجليل. وهاهو ذا جاء الإنسان الذي ينبغي عليه وحده أن يكافئني عن هذا كله، الإنسان الذي احتفظ لي مصيري به ربما كتعويض عن آلامي الماضية، الإنسان الذي تعلقت به في الحلم بحماسة مشبوبة.

فردنيند (يقاطعها، وقد تأثر في أعمق أعماق شعوره) هذا كثير! هذا كثير! هذا ضد تقاليدنا، ياسيدتي. ينبغي عليك أن تنبذي الاتهام، وأنت تجعليني مذنبا. خففي، أرجوك، خففي عن قلبي الذي يمزقه العار والتأنيب القاسي.

الليدي (تمسك بيده) الآن، أوليس أبدا! إن البطلة قد صمدت وقتا طويلا. لابد لك أن تشعر بثقل هذه الدموع (بلهجة بالغة الرقية) اسمع، يافالتر! إذا كانت امرأة مسكينة، منجذبة إليك بقوة لا تقاوم، تتودد إليك بقلب مفعم بحب مشبوب لا نهاية له، يافالتر، بينما أنت، الآن أيضا، تنطلق بكلمة الشرف الباردة ــ إذا كانت هذه البائسة، العانية تحت الشعور بالعار، والتي ملّت الرذيلة، وسما بها نداء الفضيلة على نحو بطولي، ترتمي هكذا بين ذراعيك (تحيط بذراعيها، بتعبير ضارع جاد) وتريد أن تنجو على يديك وأن تُردّ إلى السماء (بصوت أجوف مهتز، وقد أشاحت بوجهها) أو إذا كانت، من أجل الفرار من صورتك ستمضي، مطيعة للنداء الرهيب لليأس، وهي فريسة للدوار، في مزيد من الغوص في هاوية الرذيلة الكريهة. . .

فردنيند (منتزعا نفسه من بين ذراعيها، وهو في قلق شديد) كلا، والله العظيم! لا أطيق هذا. ياسيدتي! إن السماء والأرض ترهقاني، يجب عليّ أن أعترف لك بشيء، ياسيدتي!

الليدي (هاربة بعيدا عنه) ليس الآن! بحق رب السماء العظيم!

ليس في هـذه اللحظة المروعة التي فيهـا يدمـي قلبـي من ألف طعنة خنجـر. سـواء أكان الموت أم الحياة، لا أستطيع أن أسمعه.

فردنيند بلى، مع ذلك ياسيـدتي! لابد من ذلك. ما سأقـوله لك الآن سيقلل من احتمال عقابي وسيكـون اعتذارا حارا عن الماضي. لقـد خـدعـت نفسي قبلـك، يـاسيـدتي لقـد انتظرت، بل لقد رغبت في أن أجدك جديرة باحتقاري. وقد جئت إلى هنا وأنا وطيد العزم على أن أهينك وأن أنال كـراهيتك. وكنـا سنكـون نحـن سعداء، لـو أفلحـت خطتـي. (يسكــت لحظـة، ثـم يقـول بلهجــة رقيقـة وباستحياء) ياسيدتي، إني أحب فتـاة برجوازية، اسمها لـويزة ملـر هي ابنـة عـازف موسيقـى. (الليدي تشيـح بوجهها عنه وقد علاها الشحـوب، أما هو فيتابع كلامه قـائلا): وأنا أعلـم أين أنحـدر بنفسي، لكـن حتى لـو كانـت الحكمة تقتضي إسكـات الشهوة. فـإن الواجـب يتكلم بصـوت أعلى وأوضح. وأنـا المذنب. فـأنا الـذي مزقـت أولا السلام الـذهبي لبراءتها، وهـدهدت قلبهـا بـآمال عـريضة وأسلمتهـا فريسـة للشهوة بخيـانة مـن جـانبي. ستـذكرينني أنـت بطبقة، ومـولد، ومبـادئ والدي، لكنـي أحـــب. وأملي يتصـاعد إلى أعلـــى بقدر ما تتنازع الطبيعة مع التقاليد، وعزيمـتي والحـكم السابق! نـريد أن نرى هل البدع أو الإنسانيـة هي التي ستبقى في الميـدان (كانت الليـدي قد انسحبـت في تلك الأثناء إلى أقصـى نهاية الصـالون ووضعـت وجهها بين

يـديها. فذهـب إليها هنـاك) هـل تريـدين أن تقـولي لي شيئا، ياسيدتي؟

الليدي (بلهجة ملؤها الألم العنيف جـدا) كلا، لا شيء، ياسيد فون فـالتر، لا شيء إلا أنك وأنـا وشخص ثـالث أيضـا متجهون إلى الخراب.

فردنيند وشخص ثالث أيضا؟

الليدي إننا لـن نستطيع أن نكـون سعداء مـع بعضنا البعـض. وعلينا مع ذلك أن نصبح ضحية لتسرع أبيك. لكنني لن أتملك قلب إنسان لا يعطيني يده إلا مرغما.

فردنيند مـرغما، ياسيـدتي؟ يعطي مـرغما؟ ويعطيهـا مع ذلـك؟ تستطيعين أنت أن تطـالبي باليـد دون القلب؟! أتحرمين فتاة من إنسان هو كل شيء بالنسبة إليها؟ أتحرمين إنسانا من فتـاة هي كـل شيء بالنسبـة إلى هذا الإنسـان؟ أنت ياسيدتي، يامن كنت منذ لحظة فقط الإنجليزية الرائعة؟ أتستطيعين ذلك؟

الليدي لأنه لابد من هذا (بجد وقـوة) إن وجداني يا فالتر يتنازل لتلطف معـك. وشرفي لا يستطيع بعـد. إن زواجنا هـو حديـث كل البلد. وكل العيـون. وكل سهام السخـرية موجهـة نحوي أنا. إن هـذه إهانة لا يمكـن محوها، إذا رفض أحـد رعايا الأمير. دافـع عن نفسك أمـام أبيك. دافع عن نفسك بكل قوة تستطيعهـا. أما أنا فسأثير كل المناجـم [تبتعد بسرعـة. الرائد يظـل صامتـا متحجرا. وقفة. ثم يندفع من الباب الرئيسي].

المنظر الرابع

(غرفة في بيت العازف ملر زوجة ملر، ولويزة يدخلون)

ملر (يندفع في الغرفة) ألم أقل هذا مقدما؟

لويزة (تندفع نحوه بقلق) ماذا، يا أبي؟ ماذا؟

ملر (يجري كمجنون طولا وعرضا): حُلتي الرسمية.. بسرعة.. لابد لي أن أخبره... وقميص أبيض ذو أكمام. لقد تصورت هذا كله.

لويزة حنانيك! ماذا؟

الزوجة ماذا هناك؟ أهذا إذن؟

ملر (يرمي بشعره الصناعي في الغرفة) بسرعة سأغدو إلى الحلاق.

ماذا هناك؟ (يثب نحو المرآة) ولحيته التي طالت بمقدار أصبع؟ ماذا هناك؟ ماذا تريدين أن يكون هناك، يا جيفة؟ الشيطان انطلق، فليسحقك الرعد!

الزوجة أوه! يجب إذن أن يسقط كل شيء على رأسي أنا!

ملر : على رأسك؟ نعم، يا لسان الرعد اللعين! وإلا فعلى رأس كثير غيرك؟ هذا الصباح مع شيطان سيدك الشاب ــ ألم أقل ذلك في التو؟ إن فورم قد أطلق لسانه بالكلام.

الزوجة : آه! وكيف؟ من أين تستطيع أن تعرف ذلك؟

ملر : من أين أستطيع أن أعرف؟ ها! تحت باب البيت يتجول خادم الوزير، وهو يسأل عن عازف الكمنجة.

لويزة : أنا ميتة.

ملر : وأنتِ أيضا بعيونك التي تشبه زهرة ميوسوتيس (يضحك بمرارة). المثل صحيح: حينما يبيض لك الشيطان بيضة في البيت، تولد لك بنت جميلة. هذا أمر واضح لعينيّ الآن.

الزوجة : من أدراك أن الأمر يتعلق بلويزة؟ ربما أوصى بك أحد عند الدوق. ربما يريدك للأوركسترا.

ملر : (يقفز على عصاه) لينزل عليك مطر كبريتي حارق! الأوركسترا! نعم، يا قوادة، حيث تصرخين أنت بالمقام الأعلى، وحيث ظهري الأسود والأزرق يقومان بالكونترباص (يرتمي على كرسي) يا إله السماء!

لويزة : (تجلس وهي شاحبة شحوب الموت) يا أمي! يا أبي! لماذا أنا قلقة فجأة؟

ملر (يندفع واثبا من فوق كرسيه) لكن، ليأت الكويتب في متناول يدي! ليأت! سواء في هذه الدنيا أو في الآخرة. إن لم أسحق روحه وبدنه، إن لم أكتب على جلده الوصايا العشر، وسبع صلوات أبانا. . . وكل أسفار موسى والأنبياء، بحيث تشاهدين البقع الزرقاء في يوم قيامة الأموات.

الزوجة نعم، احلف واصخب! هذا سيستحضر الآن الشيطان! ربي وإلهي، كن في عوننا! ماذا علينا أن نفعل الآن؟ أين نجد الحيلة؟ ما العمل؟ أيها الأب ملر، تكلم إذن! (تعدو صارخة خلال الغرفة).

ملر أريد أن أذهب إلى الوزير حالا. أريد أن أتكلم أولا، وأن أفضح الأمر. أنت عرفت ذلك قبلي. كان عليك أن تنبهيني. كان يمكن حينذاك إرشاد البنت. كان ثمّ وقت لذلك. لكن لا! كان ثم شيء يراد اصطياده والتربيت عليه! وأنت وضعت المزيد من الخشب على النار. ولهذا احذري الآن على جلدك، جلد القوادة. اشربي الحساء الذي هيأتيه. أما أنا فسآخذ ابنتي بين ذراعي وأعبر معها الحدود.

المنظر الخامس

(فـردنيند فـون فالتر ينـدفع، وهـو مرتـاع مقطوع الأنفـاس، في الغرفـة، والأشخاص السابقون)

فردنيند — هل جاء أبي إلى هنا؟

لويزة — (تقف بفزع)أبوه! لا حول ولا قوة إلا بالله!

الزوجة — (وقد ضمت يديها) الرئيس؟ لقد قُضي علينا!

ملر — (يضحك بمرارة) الحمـد لله! الحمد لله! هـانحن أولاء محظوظون!

فردنيند — (يندفـع نحو لويـزة ويضمها بقوة بين ذراعيـه) أنت لي حتى لو حالت بيننا الجحيم والسماء!

لويزة — موتي أكيد. استمر. لقد نطقت باسم رهيب: أبوك؟

فردنيند — لا شيء! لا شيء! تم التغلب على المحنة. لقد وجدتك من جديد! وأنت وجدتني من جديد! أوه! دعيني ألتقط نفسي على صدرك. لقد كانت ساعة رهيبة.

لويزة — أية ساعة؟ إنك تجعلني أموت.

فردنيند — (يتراجع ويتطلع فيهـا بشكل معبر) الساعة، يـا لويزة، التي فيها حجزت بيننا إنسانـة غريبة، والتي فيها شحب حبي أمـام ضميري، والتي فيها تـوقفت لويـزتي عن أن تكون كل شيء في نظر فردنيندها.

لويزة (ترتمي على كرسيها وتستر وجهها)

فردنيند (يهرع نحوها، ثم يتوقف صامتا، محدقا فيها، ثم يتركها فجأة، في حالة من الاضطراب الشديد): كلا، أبدا، مستحيل، ياسيدتي! أنت تطلبين ماهو فوق الطاقة! إنني لا أستطيع أن أضحي في سبيلك بهذه البراءة. كلا، ورب الكون! لا يمكن أن أحنث في يميني الذي تذكرني به هذه العين* أكثر مما يفعل رعد السماء، ياسيدتي، انظر هنا، هنا، أيها الأب الفاسد الطبيعة. هل أذبح هذا الملاك؟ أعليّ أن ألقي بالجحيم في هذا الصدر السماوي؟ (يندفع نحوها بحزم) أريد أن أقتادها إلى أمام عرش القاضي الأعلى، وسيقول العلي القدير هل حبي جريمة. (يأخذ بيدها وينهضها من فوق كرسيها) تشجعي يا حبيبتي! لقد انتصرت أنت! إني أعود إليك، من أخطر معركة وأنا منتصر.

لويزة لا، لا! لاتخف عليّ شيئا. انطق به، بهذا الحكم الرهيب! إنك ذكرت اسم أبيك، واسم الليدي. إن قشعريرة الموت تمسك بي. يقال إنها ستتزوج . . .

فردنيند (يندفع جادا إلى قدمي لويزة) بي أنا، يا للتعيسة!

لويزة (بعد وقفة، وبصوت عذب مهتز، وهدوء مخيف)ماذا! لماذا أنا خائفة؟ هذا العجوز قال لي ذلك مرارا. لم أشأ أن أصدقه. (وقفة، ثم تلقي بنفسها بين ذراعي ملر وهي تنتحب): أبي، هاهي ذي ابنتك تعود، سامحني يا أبي!

---

* أي التي في لحظة الإغماء أو الموت لا تبصر بوضوح.

أهذا ذنب ابنتك إذا كان هذا الحلم جميلا جدا، وإذا كانت اليقظة مروعة جدا؟

ملر لويزة، لويزة! أوه! يا إلهي، لقد فقدت وعيها، ابنتي، ابنتي المسكينة. اللعنة على المغرر بها! اللعنة على الزوجة التي كانت له قوادة!

الزوجة (ترتمي على لويزة وهي تئن بالشكوى) هل أنا أستحق هذه اللعنة، يا ابنتي؟ سامحك الله أيها البارون! ماذا فعل هذا الحمل حتى تذبحه؟

فردنيند (ينهض واثبا نحوها وكله عزيمة) لكنني أريد أن أجتاز هذه المؤامرات، أريد أن أحطم كل أغلال التقاليد. حرا كإنسان ذي قلب أريد أن أختار، أن أدوّخ نفوس الحشرات هذه إذا كانت تنظر شزرا، حتى القمة، إلى العمل الهائل الذي صنعه قلبي. (يريد أن يخرج).

لويزة (تقف وهي ترتعد، وتتبعه) ابق! ابق! إلى أين تريد أن تذهب؟ أبي، أمي، إنه يتركنا في لحظة القلق هذه.

الزوجة (تعدو وراءه وتتعلق به) الرئيس سيأتي هنا. سيسيء معاملة ابنتنا وسيسيء معاملتنا نحن. ياسيد فون فالتر، وأنت تتركنا؟

ملر (بغضب) إنه يتركنا! طبعا! ولم لا ؟! ألم تعطه كل شيء؟ (يمسك بإحدى يديه الرائد، وبالأخرى لويزة). صبرا ياسيدي! لا يخرج أحد من بيتي إلا واطئا عليه. انتظر حتى يأتي أبوك، إذا كنت لست وغدا سافلا. واحك إليّ

أيها المغـرِّر الخادع، كيف تسللـت إلى قلبها، آه، بحـق السماء (يرمي إليه بابنته بعنف، وغضب شديد). ينبغي عليـك أولا أن تسحق لي هـذه الـدودة الشـاكية، التـي سربلها حبها لك بالعار والفضيحة.

فردنيند (يعود أدراجـه، ويتجول في الغرفـة ذهابا وجيئـة، وهو مستغرق في تـأملات عميقة) صحيـح أن سلطة الـرئيس كبيرة. وحق الأميرة كلمة واسعة. والجريمة نفسها يمكن أن تستتر في طواياها. إنه يستطيع أن يدفع الأمور بعيدا، بعيدا جـدا! ومع ذلك فإن الحب وحـده يمضي إلى آخر الأطراف. تعـالي، يالويزة! يـدك في يدي! (يأخذ يـدها بقوة) هـذا حق بمقدار ماهـو حق، إنني أسـأل الله ألا يتخلى عني عندمـا ألفظ آخر أنفاسي. إن اللحظـة التي ستفصل بين هاتين اليدين ستقطـع أيضا كل رابطة بيني وبين الخليقة.

لويزة أنا خـائفة. حـوِّل عينيك عنـي. إن شفتيك تـرتعدان! وعيناك تدوران بشكل مروّع.

فردنيند كلا، يالويزة! لا ترتعدي! ليس الهذيان هو الذي يتكلم بفمي! إنها الهبـة الثمينة التـي تهبها السماء والعـزيمة في اللحظة الحاسمة، حين لا يستطيـع الصدر أن يتخلص إلا بمجهود لا حد له. إني أحبك يـا لويزة. ستكونين لي يـا لـويزة، فـالآن أنـا ذاهـب للقاء أبي. (يبتعـد فجـأة وباندفاع، فيصطدم بالرئيس).

المنظر السادس

(الرئيس ومعه حاشية من الخدم، السابقون)

الرئيس (وهو يدخل)هاهو ذا!

(الكل خائفون)

فردنيند (متراجعا بضع خطوات) في بيت البراءة.

الرئيس حيث يتعلم الآن أن يطيع أباه.

فردنيند اقبل أنه في هذه النقطة . . .

الرئيس : (مقاطعا إياه، وموجها الكلام إلى ملر) أأنت الوالد؟

ملر : أنا ملر، العازف في فرقة البلدية.

الرئيس (مخاطبا الزوجة) وأنتِ الأم؟

الزوجة نعم، أنا الأم، ويا أسفاه!

فردنيند (مخاطبا ملـر) أيها الوالـد، ابعد ابنتـك، إنها على وشك الإغماء.

الرئيس لاداعي لهذه العناية! سأقوم أنا بالتريس عليها. (مخاطبا لويزة): منذ متى عرفت ابن الرئيس؟

لويزة لم أحفل مطلقا بـابن الرئيس . إن فردنيند فـون فالتر يأتي لرؤيتي منذ شهر نوفمبر.

فردنيند إنه يعبدها .

الرئيس هل تلقيت توكيدات؟

فردنيند منذ لحظـات تلقت توكيدات صـارمة قاطعة أمـام وجه الله .

الرئيس (مخاطبا ابنه بغضب) سُتعطـى الإشارة حينها يجب عليك أن تعترف بجنونك . (مخاطبا لويزة) إني أنتظر جوابا .

لويزة لقد أقسم لي بحبه .

فردنيند وسيتمسك بقسمه .

الرئيس هـل يجب عليّ أن آمـرك بـالسكوت؟ وهـل قبلـت هـذا القسم؟

لويزة (برقة)وأنا بدوري أقسمت له بحبي .

فردنيند (بصوت ثابت) انعقدت الرابطة .

الرئيس سآمر بطرد هذا الصدى . (مخاطبا لويزة بخبث) : لكن لا شك في أنه في كل مرة قد دفع لك الثمن مقبوضا .

لويزة (باحتياط) أنا لا أفهم تماما معنى هذا السؤال.

الرئيس (بضحكة لاذعة) لا تفهمين؟ إذن أنا أريد أن أقول فقط إن كل مهنة تطعم من يمارسها وأنت أيضا - كما أرجو - لم تمنحي لطائفك مجانا. أو ربما تراضيتم فيما بينكم على الصفقة؟ ماذا تقولين في هذا؟

فردنيند : (يندفع وقدخرج عن طوره) يا للهول! ماذا سمعت؟

لويزة (تخاطب الرائد بنبل وحنق) يا سيد فون فالتر، أنت الآن حر طليق.

فردنيند يا أبي! إن الفضية تقتضي الاحترام، حتى وإن كانت تلبس ثوب الشحاذ.

الرئيس (يضحك بصوت عال) ادعاء مضحك! هل على الأب أن يحترم مومس ابنه؟!

لويزة : (تسقط) يا للسماء والأرض!

فردنيند (يتكلم في نفس الوقت الذي فيه لويزة تتكلم، ومحركا سيفه بحركة متشنجة ضد الرئيس، ثم تاركا السيف يسقط في الحال) يا أبي إن لك حياة تقتضيها أنت مني. إن ثمنها دفع. (يعيد السيف إلى قرابه). إن صك دين واجب البنوة هاهوذا قد مزق إربا إربا.

ملر (وكان حتى ذلك الوقت قد انتحى جانبا في حنق، يتقدم في اضطراب شديد؟ وحينا يضرس بأسنانه بغضب. وطورا يرتعد من الخوف؟ : يا صاحب المعالي! إن الابن هو من صنع الأب. ومع مزيد احترامي أقول إن من ينعت الابن بنعت المومس، يصفع الأب على وجهه، وصفعة بصفعة، ذلك هو الثمن عندنا. ومع مزيد الاحترام.

الزوجة : اللهم انجدنا. وهاهو ذا العجوز قد انفجر غضبا. كل العاصفة ستقع على رءوسنا.

الرئيس (الذي لم يسمع إلا نصف سماع) وهل القواد يتحرك هو الآخر؟ ستتكلم في هذا، أيها الديّوث.

ملر مع مزيد الاحترام، إن اسمي هو ملر، إذا أردت أن تسمع نغمة خفيفة(أداء جيد). ولا شأن لي بأمور العشاق. مادام في البيت زاد، فإننا معشر البرجوازيين لا نسلم بضاعة* مع مزيد الاحترام.

الزوجة بحق السماء، أيها الزوج! أنت تقضي على الزوجة والبنت.

فردنيند يا أبي! أنت تلعب هاهنا دورا كان عليك فيه على الأقل أن تعفي منه الشهود.

---

* يقصد: مادام لدينا ما نقتات به، فليس من طبعنا نحن أوساط الناس أن نسلّم فتياتنا للبغاء.

ملر (يقترب منه أكثر ويزداد شجاعة) بالألماني الفصيح المفهوم، ومع مزيد من الاحترام، معاليك تتصرف في البلاد كما تشاء. لكن هذه غرفتي لك خالص ولائي إذا أنا أتيت إليك ذات يوم بطلب، أما الضيف غير المهذب فإنني ألقي به خارج الباب ـ مع مزيد الاحترام.

الرئيس (وقد امتقع وجهه من الغضب) ماذا؟ ماهذا؟ (يقترب منه أكثر).

ملر (يتراجع إلى الوراء بهدوء) هذا هو رأيي فقط عبرت عنه، مع مزيد الاحترام.

الرئيس (في شعلة غضب) يا سافل! رأيك الوقح سينطق لك في السجن. هيا! أحضرواهذا أمام العدالة (بعض حاشيته يذهبون، والرئيس يجري في الغرفة. وهو يستشيط غضبا) الأب في السجن، وعلى عود المشنقة تعلق الأم والبنت الفاجرة! وعلى العدالة أن تستعيد أذرعها من غضبي. لابد لي من تعويض رهيب عن هذه الإهانة. هل يحق لهؤلاء الرعاع أن يدمروا خططي وأن يوقعوا بين الأب والابن؟! ها! يا للعنة! أريد أن أشبع كراهيتي بتدميركم جميعا، كل العصابة: الأب والأم والبنت يجب أن يقدموا ضحية لانتقامي المشبوب.

فردنيند (يتدخل بينهم بهدوء وثبات) كلا! لا تخافوا! أنا موجود (يخاطب الرئيس بكل خضوع) لا تعجل، يا أبي! إذا كنت تحب نفسك فلا تستعمل العنف. إن في قلبي موضعا لم تسمع فيه أبدا كلمة: «أب» فلا تتقدم حتى إلى هذا الموضع!

الرئيس : يا من لا تستحق شيئا! اسكت. لا تزد غضبي اشتعالا.

ملر (يسترد وعيه بعد إغماء) التفتي إلى ابنتك، يازوجتي! إنني سأعود إلى الدوق. إن الخياط الخاص ـ الله أوحى لي بهذه الفكرة ـ أقول إن الخياط الخاص بالدوق يتعلم العزف على الناي عنده. لن يخيب رجائي عند الدوق (يريد الذهاب).

الرئيس عند الدوق، هكذا تقول؟ هل نسيت أنني العتبة التي يجب عليك أن تمر منها أو أن تحطم رقبتك؟ عند الدوق، يامغفل؟ ـ حاول هذا، حينما تقبع حيا ميتا تحت الأرض بمقدار طول برج في أعماق السجن، حيث يغازل الليل الجحيم، وتتردد الضوضاء والنور ـ هنالك قعقع بأغلالك ونحّ قائلا: لقد أصابني الكثير جدا.

المنظر السابع

(خُدام العدالة، السابقون)

فردنيند : (يهرع نحو لـويزة التي تسقـط بين ذراعيه نصـف ميتة) لويزة! النجدة! الإنقاذ! لقد استولى عليها الفزع!

ملر (يمسك بعصاه ويضع قبعة على رأسه ويستعد في وضع الهجوم، الزوجة تجثو على ركبتيها أمام الرئيس).

الرئيس (مخاطبا خدام العدالة مبرزا أمـره) اقبضوا عليهم، باسم الدوق! خـذ هذه القحبة، يـاولد! -مغمـيّ عليها أو واعية- حينما تحاط رقبتها بـالطوق الحديدي* هنالـك ستتولى الحجارة التي ترجم** بها إفاقتها.

الزوجة : الرحمة، ياصاحب المعالي! الرحمة! الرحمة!

ملر (يشد زوجته إلى أعلى) اركعي أمام اللـه، يا أيتها القحبة الهرمـة، لا أمـــام. . . الأوغـاد، لأننـــي لابـد داخــلٌ السجن.

الرئيس (يعض على شفتيه) ممكن أن تخطىء التقـدير، ياسافل. لا تزال تـوجد مشانق خـالية. (مخاطبا خدم العـدالة): هل يجب عليّ أن أكرر القول؟

---

* الذي يوضع في رقبة المحكوم عليه بالإعدام.

** كان الشعب يرمي المعلقين على المشنقة بالحجارة.

(خدّام العدالة يدفعون لويزة)

فردنيند (يثب نحوها ويضع نفسه أمامها وهو غاضب) من يتجاسر؟ — يستل السيف من قرابه، ويحمي نفسه بالمقبض ـ فليجرؤ على المساس بها، من أجّرَ ليس فقط خدماته بل وأيضا حياته للسلطات. (مخاطبا الرئيس): صن نفسك، ولا تدفعني إلى أكثر من هذا، يا أبي!

الرئيس (يخاطب خدم العدالة مهددا) إذا كان خبزكم عزيزا عليكم، يا جبناء!

(خدم العدالة يمسكون بلويزة من جديد)

فردنيند الموت وكل الشياطين! أقول: تراجعوا! مرة أخرى. ارحم نفسك يا أبي، ولا تدفعني إلى الأمر الأقصى.

الرئيس (غاضبا يخاطب خدّام العدالة) أهذه غيرتكم على الخدمة، يا أوغاد؟

(خدم العدالة يشتدون في الإمساك بها)

فردنيند إن كان لابد من ذلك (يستل سيفه ويجرح بعضهم) فسامحيني أيتها العدالة!

الرئيس (وقد امتلأ غضبا) أريد أن أعرف هل أنا أيضا سأشد بهذا السيف. (يمسك بلويزة نفسها ويدفعها بعنف إلى أعلى ثم يسلمها إلى أحد خدم العدالة).

فردنيند (يضحك بمرارة) أبي، أبي! أنت بهذا تجدف على الله

تجديفا قارصا إذ يجعله لن يعـرف جيدا العالم الذي خلقه ويعمل وزيرا رديئا من خادم كامل لجلاد.

الرئيس (مخاطبا الباقين) اذهبوا بها.

فردنيند يـا أبي! إنـه لابـد من تعليقهـا على العمـود، لكـن مـع الرائد، ابن الرئيس. فهل لا تزال مصرا على هذا؟

الرئيس إن السيف على جانبك تعـود أن يكون على عود المشنقة. اذهب! اذهب! أنت تعرف ماذا أريد.

فردنيند (يدفع خـادم عدالة، ويمسك بلويزة بـإحدى ذراعيه، وبالذراع الأخرى يوجه نحوها سيفه) يا أبي قبل أن تلطخ شرف زوجتـي، فإني أغـرس فيها سيفـي. فهل لاتـزال مصرا؟

الرئيس : افعـل ذلـك، إذا كان حـدّ هـذا السيـف حادا بـدرجـة كافية.

فردنيند (يترك لـويـزة ويرفـع نحـو السماء نظـرةمروعـة) يـا إلهي العظيـم! أنـت شـاهـد. لا توجـد وسيلـة إنسـانيـة لم أحاولها. لابد إذن من وسيلة شيطـانية. أنت تسوقها إلى عود المشنقـة، أما أنـا ففي تلـك الأثناء (يصرخ في أذن الرئيس) فسأروي في القصر الطريقة التي بها يصير المرء رئيسا للوزراء. [يخرج]

الرئيس (وكأنه وقعت عليه صاعقة) مـا هذا؟ يا فردنيند! أطلق سراحها. (يعدو خلف الرائد).

الفصل الثالث

المنظر الأول

(صالون عندالرئيس)

الرئيس والسكرتير فورم يدخلان

الرئيس هذه حيلة شيطانية .

فورم هـذا هو مـاتخوفت منـه ، ياسيـدي . إن الإكراه يعنّـف القلوب المشبوبة ، لكنه لا يهديها إلى الصواب .

الرئيس كنـت قوي الثقـة بهذه الخطـة . لقـد قدرت مـايلي : إذا سربلت البنت بالعار، فيجب عليه ، بوصفه ضابطا ، أن يتخلى عنها .

فورم حســن! لكــن كــان لابــد مــن الـوصـول إلى سربلتهـا بالعار.

الرئيس ومع ذلك ، فحين أفكـر في الأمر بروية ودم بـارد ، فإنه لم يكن من الواجب عليّ أن أستسلم . لقد كان ذلك تهديدا فقط ولم يكن ينفذه أبدا .

فورم لا تصدق هـذا . بالنسبـة إلى الوجـد المغتاظ كـل جنون ممكن . أنت تقول لي إن السيـد الرائد كان يهز رأسه دائما

كلما تعلق الأمر بـإدارتك. وأنا أعتقد ذلـك. إن المبادئ التي أتى بها من الجامعات لم ترض أبدا. إذاً مامعنى هذه الأحلام الخالية عن عظمـة النفس والنبل الشخصي، في بـلاط أكبر حكمـة فيـه هي أن يجعـل المرء مـن نفسـه، بطـريقـة بـارعــة، عظيما أو صغيرا، إنـه مـن الشبـاب والحماسـة بحيـث لا يستطيـع أن يستلـذ السير البطـيء الملتـوي للمؤامـرات، ولن يستطيـع أن يثير طموحـه إلا ماهو عظيم وحافل بالمغامرات.

الرئيس (متضـايقا) لكـن كيف تستطيـع ملاحظتـك السديـدة الحكيمة جدا أن تصلح قضيتنا؟

فورم إنها تكشف الجرح لصاحب المعـالي، وربما أيضا الوسيلة لتضميده. مثـل هذا الخلق -اسمـح لي- ماكـان ينبغي أبدا الإفضاء بالأسرار إليه، ولا أن يُجعل عدوا إنه يبغض الوسائل التـي ارتقيت أنت بها. ربما أمسك الابـن حتى الآن لسان الخيانة. اعطه الفـرصة للتخلي بطريقة شرعية عـن الدور الأول مـن كلا الـدورين، أقنعـه، بهجمات متكـررة على وجده، بـأنـك ليس عندك حنـان الأب، هنالك تتغلب عليه واجبات الوطني الغيور. نعم، ليس إلا الخيال الغريـب للتضحية، للعدالة -هـذه التضحية الرائعة- هو الذي يمكن أن يكون له في نظره ما يجذبه إلى الإيقاع بأبيه.

الرئيس فورم، فورم! إنك بهذا تقتادني إلى حافة هاوية رهيبة.

فورم إني أريد أن أبعدك عنها يا صاحب السيادة. هل في وسعي أن أتكلم بصراحة؟

الرئيس (وهو يجلس) مثلما يتحدث محكوم عليه مع شريكه في الحكم عليه.

فورم إذن أن تسمح لي. يلوح لي أن الرئيس يدين بكل شيء لمرونته.

رجل بلاط فلماذا لا يلجأ الأب إلى نفس الشيء؟ إني أتذكر بأي تلطف ومودة أنت قد دعوت سلفك إلى دورة لعبة ورق من نوع البيكيه*Piques وكيف أنك أغرقت في نبيذ المودة البورجوني نصف الليلة، ومع ذلك فقد كانت تلك هي الليلة نفسها التي كان على اللغم الكبير أن يلعب وأن يطيح بصاحبك في الهواء: لماذا أريْت لابنك عدوك؟ لم يكن من الواجب أن يعرف أنني أعرف غرامياته. كان عليك أن تدمر القصة من جانب الفتاة وأن تحافظ على قلب ابنك. وكان عليك أن تلعب دور القائد الحصيف الذي لا يهاجم العدو في وسط الجنود، بل يحدث انقساما في الصفوف.

---

* لعبةورق(كوتشينة) فيها اللاعب يجب عليه أن يجمع أكبر عدد من الأوراق التي من نفس النوع، وبعض الأشكال. وسميت بهذا الاسم **Piquet** نسبة إلى مخترعها الفرنسي وكانت تلعب بين شخصين اثنين.

الرئيس كيف كان يجب التصرف إذن؟

فورم بطريقة في غاية البساطة، والخطة لم تفسر تماما حتى الآن. لا تهاجم وجدا لن تزيده المقاومة إلا قوة. اترك لي مهمة فقس الدودة التي تقرض هذا الوجد على ناره هو.

الرئيس إني متشوق إلى معرفة ذلك.

فورم إما أنني لا أعرف جيدا بارومتر النفس، وإما أن يكون السيد الرائد مخيفا في الغيرة بقدر ماهو مخيف في الحب. اعمل على جعل الفتاة مشكوكا فيها عنده، بشكل محتمل أو غير محتمل. إن حبة* من الخميرة تكفي لجعل العجينة كلها في اختمار يقضي على كل شيء.

الرئيس لكن من أين يحصل على هذه الحبة؟

فورم : تلك هي النقطة الجوهرية. وقبل كل شيء، ياصاحب السيادة، قل لي بوضوح بماذا تخاطر إذا طالت مقاومة الرائد؟ و إلى أي حد يهمك أن تضع حدا لقصة غرامه مع البرجوازية الصغيرة، وأن يعقد الزواج مع ليدي ملفورد؟

الرئيس أتستطيع بعد أن تسألني هذا السؤال، يافورم؟ إن كل نفوذي سيصبح في خطر إذا أخفق الزواج بالليدي، ورأسي سيكون في خطر إذا أرغمت الرائد.

* وزن من موازين الصيادلة.

فورم (بحماسة) الآن تفضل بالاستماع إليّ. سنغلب الرائد بالمكيدة. في مواجهة الفتاة ستستخدم كل سلطتك. ستملي عليها كتابة بطاقة رقيقة* موجهة إلى شخص ثالث، وسنعمل على أن تقع البطاقة في يد الرائد.

الرئيس فكرة جنونية! كما لو كان من السهل جعلها تكتب قرار إعدامها!

فورم الأمر سهل، لو أعطتني إذنا بالتصرف المطلق. إنني أعرف هذا القلب الطيب معرفة عميقة. ليس عندها إلا جانبان مميتان يمكن منهما أن نهاجم ضميرها، وهما: أبوها، والرائد. والثاني يبقى دائما خارج اللعبة، وهذا يجعلنا أكثر حرية في التعامل مع عازف الموسيقى.

الرئيس ماذا نعمل مثلا؟

فورم بحسب ما قلته معاليك عن المنظر الذي جرى في بيته، فإنه لا شيء أسهل من تهديده بقضية تؤدي إلى الإطاحة برأسه. إن الشخص الأثير عند الدوق والمحافظ على الأختام هو قطعا ظل صاحب الجلالة. فأي إهانة توجه إليه تعد إهانة لصاحب الجلالة. وأنا أريد، على الأقل، أن أولج هذا الحقير المسكين في سم الخياط (ثقب الإبرة) بواسطة هذه الحيلة الشيطانية.

الرئيس لكن العملية يجب ألا تصير جادة.

---

* رسالة غرام.

فورم طبعا لا. وإنما فقط بمقدار ما تصير معه الأسرة في حرج بالغ. سنقبض إذن على العازف بكل همة. ولزيادة الإحراج، يمكن أيضا القبض على الأم. ونتكلم عن تهمة إجرامية، وعن المشنقة، وعن السجن المؤبد، ونجعل البطاقة التي نحمل الفتاة على كتابتها هي الشرط في إطلاق سراحهم.

الرئيس حسن، حسن، أنا فاهم.

فورم إنها تحب أباها، حبا أستطيع أن أقول إنه يبلغ درجة الوجد. وفكرة أن حياته، أو حريته على الأقل هي في خطر، وتأنيب الضمير الذي يمكن أن يساورها في هذا الموضوع، واستحالة زواجها من الرائد، وأخيرا تدويخ عقلها، وهو ما سأتولى أنا القيام به، كل هذا سيحدث، ولابد من إيقاعها في الفخ.

الرئيس لكن، هل ابني لن يعرف ذلك في الحال؟ هل لن يزداد بهذا غضبا وانفعالا؟

فورم : دعني أرتب هذا كله، يا صاحب السيادة. إن الأب والأم لن يطلق سراحهما قبل أن أستخلص من كل الأسرة قسما غليظا بأن يخفوا كل هذه العملية وأن تصادق على خديعتنا.

الرئيس قسم؟ ما فائدة القسم، يامغفل؟

فورم لا شيء بالنسبة إلينا، لكنه كل شيء بالنسبة إلى هذا النوع من الناس. وهكذا ترى بوضوح أنه بهذه الطريقة سيبلغ كلانا غرضه. الفتاة ستفقد حب الرائد وسمعتها من حيث الفضيلة. والأب والأم ستحلو لهجتهما، وإذا ما لينت عريكتهما بأدلة من هذا القبيل شيئا فشيئا، فسينتهي بهما الأمر إلى أن يفدا من باب الشفقة والرحمة ويطلبان أن تسترد الفتاة شرفها بأن أطلب يدها.

الرئيس (يضحك، وهو يهز رأسه) نعم، أنا أعترف بأنني مغلوب، أيها الوغد. إن ترتيب المكيدة ينطوي على مهارة شيطانية. إن التلميذ فاق المعلم. والآن، علينا أن نعرف إلى من ستوجه البطاقة الغرامية، من هو الشخص الذي سنوقعها فيه؟

فورم لابد أن يكون شخصا يكسب كل شيء أو يخسر كل شيء من القرار الذي سيتخذه ابنك.

الرئيس (بعد لحظة من التفكير) لا أرى إلا مدير البلاط.

فورم (يهز كتفيه) لو كنت أنا لويزة ملر، فإن اختياري لم يكن ليقع على هذا الشخص.

الرئيس ولم لا؟ سيكون هذا غريبا منها: ملابس فاخرة، جو حافل بماء آلاف الأزهار والمسك، وكلام تافه في كل مناسبة، ويد مملوءة بالنقود الدوقية. أكل هذا لا يجتذب في النهاية عطف برجوازية صغيرة؟ أوه! يا صاحبي، إن الغيرة ليست حريصة على الشرف إلى هذا الحد. سأرسل في طلب مدير البلاط (يدق الجرس).

فورم بينما معـاليك سينشغـل بهذا وبـإصـدار قرار بـاعتقـال العازف، فـإني ذاهب لتحـرير البطـاقة الغـرامية المتفـق عليها.

الرئيس (وهو يـذهـب إلى درج مكتبـه) وآتني بها حين تفـرغ من تحريرهـا. فورم يذهب. الـرئيس يجلس ليكتـب. خادم يدخـل. الرئيـس يقف ويعطيه ورقـة. يحمل فـورا هذا القرار بـالقبض إلى المحكمـة. ورسول آخـر يذهـب إلى مدير البلاط ليرجوه الحضور عندي.

الخادم عربة سيادة المدير وقفت في هذه اللحظة على الباب.

الرئيس هذا أحسن. لكن عليــك أن تعــمـل باحتياط بحيث لا تحدث ضجة.

الخادم : حسن جدا، يا صاحب المعالي. (يخرج)

المنظر الثاني

الرئيس ومدير البلاط

مدير البلاط (وعليه سيما الانشغال) فقط وأنا عابر، ياعزيزي جدا! كيف حالك؟ كيف الشأن في صحتك؟ في هذا المساء ستمثل أوبرا «ديدونا»* هذه الأوبرا العظيمة. وأجمل صواريخ نارية. كل المدينة ستحفل بالمشاعل. أنت أيضا ستحضر لمشاهدتها وهي تشتعل؟ ماذا؟

الرئيس عندي في بيتي ما يكفيني من الصواريخ النارية القادرة على الإطاحة بكل عظمتي في الهواء. لقد آتيت في الوقت المناسب، ياعزيزي المدير، من أجل أن تنصحني وتساعدني بجد في مسألة يمكن أن ترفعنا نحن الاثنين أو أن تقضي علينا تماما.

مدير البلاط لا تثر الفزع في نفسي، يا عزيزي الطيب.

الرئيس كما أقول لك: أن ترفعنا نحن الاثنين أو أن تقضي علينا تماما. أنت تعرف مشروعي الخاص بالرائد وباللیدي. وأنت تفهم جيدا كيف أن هذا الزواج ضروري من أجل توكيد حظنا نحن الاثنين. كل شيء يمكن أن ينهار، يافون كلب! إن ابني فردنيند لا يريد.

---

* هي أوبرا «ديدونا المتروكة» تأليف نقولا يوملي Jommelli (١٧١٤ ـ ١٧٧١) وكان رئيس الفرقة الموسيقية في شتوتجارت (١٧٥٣ ـ ١٧٦٩)، والنص من تأليف بييترو ميتاستازيو **Metastasio** (١٦٩٨ ـ ١٧٨٢) وتصور ديدونا، ملكةقرطاجة، بعد أن هجرها إينياس، وقد أحرقت قصرها. ومثلت هذه الأوبرا مرارا في عصر كارل أويجن.

مدير البلاط لا يـريـد، لا يـريـد. لكنني أعلنـت عـن هـذا في كـل المدينة. وهذا الزواج على كل لسان.

الرئيس أنت تجازف بـأن تعد مهـذارا* في نظر كـل المدينة. إنـه يحب فتاة أخرى.

مدير البلاط أنت تداعب. أهذا مانع؟

الرئيس بالنسبة إلى هذا الرأس العنيد، نعم هذا أكبر مانع وعقبة كأداء.

مدير البلاط أيكون من الجنون بحيث يرفض حظه؟ ماذا؟

الرئيس انتظر، واسمع ما سيجيب به.

مدير البلاط : لكن يا إلهي! بماذا يمكن أن يجيب؟

الرئيس بأنه يريد أن يكشف لكـل الناس الجريمة التي بواسطتها نحن ارتقينا (إلى منـاصبنا)، وبأنه يريـد أن يكشف عن رسائلنـا المزورة، ومخالصاتنا المزورة، وأن يسلـم كلينا إلى سيف العدالة. هذا هو ما سيجيبك به.

مدير البلاط هل أنت مجنون؟

الرئيس هذا هو ما أجابني به، وهـذا ما تصور أنه واجبه. وبكدّ أفلحت في صرفه عـن ذلك بواسطة استسـلامي العميق له. ما رأيك في هذا؟

---

* مهذار وهيذارة وهذرة: أي يخلط في منطقه ويتكلم كلاما غير صحيح.

مدير البلاط (وعلى وجهه سيماء البلاهة) إني في ذهول.

الرئيس هذا يمكن أن يجرّ إلى بعيد. لقد علمت من جواسيسي أن الساقي الكبير فون بوك مكلف بأن يتقدم للزواج بالليدي.

مدير البلاط إنك تجعلني أفقد عقلي. من، تقول؟ تقول: فون بوك؟ ألا تعرف أننا أعداء له ألداء؟ أتعرف لماذا؟

الرئيس هذه أول مرة أعرف هذا.

مدير البلاط ياعزيزي ستعلم هذا تمام العلم، وسترتعد من هذا من أعلى رأسك حتى أخمص قدميك. أتتذكر حفلة راقصة في البلاط، مضى عليها الآن واحد وعشرون عاما، أن تعلم هذا، ففيها رقصنا أول رقصة إنجليزية، وفيها الكونت فون ميرشاوم Meershawm تلقى على معطفه الدومينو كل الشمع الذي سال من النجفة؟ آه! يا إلهي! لايمكن أن تكون نسيت هذا؟

الرئيس ومَنْ لا يذكر هذا؟

مدير البلاط إن الأميرة أماليا، في حميّة الرقص، كانت قد أضاعت ربطة ا لساق، وإذا بالجميع في اضطراب، كما هو مفهوم طبعا. فون بو ك وأنا كنا لا نزال بعد برتبة وصيف. فرحنا نفتش في كل القاعة عن ربطة الساق. وأخيرا شاهدتها، ولمحها فون بوك الذي وثب مسرعا وانتزعها من يدي -اصبر عليّ قليلا- وحملها إلى الأميرة، وهكذا استلب مني الشكر. ما رأيك في هذا؟

الرئيس : ياله من وقح!

مدير البلاط نعم استلب مني الشكر. شعرت حينئذ بتوعك. مثل هذا العمل الخبيث لم يشاهد مثله من قبل. وأخيرا استرددت عافيتي. واقتربت من صاحبة السمو وقلت لها: ياسيدتي! إن فون بوك كان من حسن حظه أن يحمل إليك ربطة الساق، لكن أول من شاهد هذه الربطة يستطيع أن يستمتع بذلك في صمت وأن يسكت*

الرئيس برافو، يامدير البلاط، برافو جدا.

مدير البلاط «. . . وأن يسكت». لكنني سأحمل موجدة لفون بوك على فعلته هذه حتى يوم الحساب. ياله من متملق حقير وزاحف! وليس هذا كل شيء. فإننا حين ارتمينا معا على هذه الربطة من أجل التقاطها، انتزع فون بوك كل الدزور (البودره) في الجانب الأيمن من شعري، وهكذا أفسد عليّ كل حفلة الرقص.

الرئيس إذن هذا الرجل هو الذي سيتزوج ليدي ملفورد وتكون له المرتبة الأولى في البلاط!

مدير البلاط لكنك تغرس خنجرا في قلبي. نعم المرتبة الأولى! المرتبة الأولى! ولماذا هذا، وما الضرورة في هذا؟

الرئيس لأن ابني فردنيند لا يريد، ولأنه لم يتقدم أي شخص آخر.

---

* شلر يسخر هنا أشد السخرية من تفاهة رجال البلاط في قصور الملوك والدوقات.

مدير البلاط لكن، ألا تعرف وسيلة لإرغام الرائد، حتى لو كانت هذه الوسيلة شاذة ويائسة؟

الرئيس لا أعرف إلا وسيلة واحدة، وتتوقف عليك أنت.

مدير البلاط وتتوقف عليّ أنا؟ ماهي هذه الوسيلة؟

الرئيس هي أن تفسد مابين الرائد ومحبوبته.

مدير البلاط أفسد بينهما؟ ماذا تعني بهذا؟ وماذا أستطيع أن أفعل؟

الرئيس سيكتسب كل شيء، إذا بثثنا فيه الشكوك حول هذه الفتاة.

مدير البلاط الشكوك في أنها تسرقه، أليس كذلك؟

الرئيس كلا، أنّى له أن يصدق ذلك؟ بل الشكوك في أنها على علاقة مع شخص آخر.

مدير البلاط وهذا الآخر من هو؟

الرئيس لابد أن يكون هو أنت، يا بارون.

مدير البلاط إنه أنا؟ أنا؟ هل هي نبيلة؟

الرئيس ولماذا هذا؟ ما هذه الفكرة؟ إنها بنت عازف موسيقى.

مدير البلاط إنها برجوازية؟ هذا لا يمكن أن يتم. كيف؟

الرئيس هذا لا يمكن أن يتم؟ ما هذا الجنون؟ مَنْ من الناس تحت الشمس خطر بباله أن يسأل الوجه الجميل عن نسبه وحسبه؟

مدير البلاط : لكن رجلا ذو شرف مثلي! وسمعتي في البلاط؟

الرئيس هذه مسألة أخرى. سامحني، أنا لم أكن بعد أعرف أن سمعتك أن تكون ذا أخلاق لا تثريب عليها هي أهم عندك من أن يكون لك نفوذ ومكانة. لنقطع الكلام إذن عند هذا.

مدير البلاط : كن عاقلا، يابارون، أنا لم أقصد هذا.

الرئيس (بجفاء) لا، لا! أنت على حق تماما. وأنا ضقت ذرعا بكل هذا.

أترك العمل عند هذا. وسأهنىء فون بوك بكونه سيصبح رئيسا للوزراء. الحياة ليست هذا فقط! سأقدم استقالتي إلى الدوق.

مدير البلاط وأنا؟ أنت تتكلم باستخفاف. كما يحلو لك. أنت رجل متعلم، أما أنا، فيا إلهي! ماذا سأكون، إذا كان صاحب السمو لا يريدني؟

الرئيس : نكتة بالأمس، و«موضة» السنة الماضية.

مدير البلاط أستحلفك، ياعزيزي، أن تترك مثل هذه الأفكار، سأفعل كل ما يطلب مني.

الرئيس هل توافق على أن تعير اسمك من أجل موعد (غرامي) تعطيك إياه هذه البنت ملر بواسطة بطاقة (غرامية تكتبها إليك)؟

مدير البلاط مؤكد، أنا أوافق على إعارة اسمي .

الرئيس وتعمل في أن تقع هذه البطاقة تحت نظر الرائد؟

مدير البلاط مثلا، عند الاستعراض، سأجعلها تسقط دون انتباه، عندما أسحب منديلي .

الرئيس وستلعب دور العاشق في مواجهة الرائد؟

مدير البلاط موت حياتي! سأغسل رأسه، وسأعلم هذا السيد الصغير ألا يكون مولعا هكذا بغرامياتي .

الرئيس هذا ممتاز جدا . ستكتب البطاقة هذا اليوم . وستمر مساء لأخذها ولتدبير موقفك معي .

مدير البلاط بعد أن أكون قد قمت بست عشرة زيارة ذات أهمية قصوى . ومعذرة إذا كنت أتركك بسرعة هكذا [يخرج] .

الرئيس (يدق الجرس) إني أعتمد على براعتك، يامدير!

مدير البلاط (وقد عاد أدراكه) آه! يا إلهي ! أنت تعرفني .

المنظر الثالث

الرئيس وفورم

فورم : العازف وزوجته أودعا السجن بكل هدوء وبدون ضوضاء. هل تريد معاليك أن تتصفح البطاقة؟

الرئيس (بعد أن قرأها) تمام، تمام، ياسكرتيري الغث. إن مدير القصر قد بلع الخطة بجرعة سم حضرت جيدا هكذا، يمكن الإصابة بأنسب طاعون. اذهب بسرعة ورتب الشروط مع الأب، ثم اذهب فورا إلى الفتاة. (يخرجان من بابين متقابلين).

المنظر الرابع

بيت ملر

لويزة، وفردنيند

لويزة أرجوك، اتركني! إني لم أعد أؤمن بالسعادة. كل آمالي تبخرت.

فردنيند أما آمالي أنا فإنها في أوج ازدهارها. إن أبي غاضب، وأبي سيوجه ضدنا كل مدافعه، وسيرغمني على أن أكون ولدا عاقا. إنني لم أعد مسئولا عن واجبي البنوي. والغضب واليأس سينزعان مني السر الأسود لجريمته. الابن سيسلم الأب إلى أيدي الجلاد. والخطر بالغ أقصاه، ولابد للخطر أن يبلغ أقصاه كيما يجرؤ حبي على أن يخطو هذه الخطوة الهائلة. اسمعي يا لويزة! إن فكرة كبيرة تتجاوز المقدار مثل وجداني. تبهظ روحي. أنت والحب وأنا ـ هل ثم شيء آخر تحت قبة السماء؟ هل تعرفين شيئا آخر غير ذلك؟

لويزة : توقف، لا تكمّل، إني أرتعد مما ستقوله.

فرذنيند : هل لنا أن نطلب من العالم شيئا؟ لماذا نستجدي منه رضاه؟ لماذا نفكر قي مكان فيه نخسر كل شيء

ولا نكسب شيئا؟ هـل عيناك ستكونان أقـل سحرا حين تلمعان على شـواطىء نهر الراين، أو بحـر البلطيق؟ إن وطنـي هـو في الأماكـن التـي فيهـا لـويزة تحبنـي، وأثـر خطواتك على رمـل صحراء موحشة هو أهـم عندي من معابد بلدي. سننسى تـــرف المدن. وأينـما سنكـــون، يا لويزة، ستكون هناك شمس نشاهد إشراقها وغروبها، وهذا المنظـر سيتجلى أعظم من محاولات الفن البـاطلة. نحـن لم نعـد نمجـد الله في المعـابـد، وإنما الليـل ينشر حـوالينا رعيـه الـديني، والقمـر بتغيراتـه سيـدعونـا إلى التوبـة، والنجوم من عليـائها التقية ستضـم دعواتها إلى دعـواتنا. إن ابتسـامـة من حبيبتـي لـويـزة تكفي لقـرن كامل، وحلم الحياة سينتهي قبل أن أستنفد دمعة واحدة من دموعها.

لويزة أليست لديك واجبات أخرى غير حبي؟

فردنيند (وهو يحتضنهـا بين ذراعيه) إن أقدس شيء هـو راحتك أنت.

لويزة (بلهجة جـادة) إذن اسكت، واتـركني. إن لي أبـا ليس لديه مال غير ابنته الوحيدة؟ وغدا سيبلغ من العمر سن الستين، وهو متأكد من انتقام الرئيس.

فردنيند (مقـاطعا إيـاها بشـدة) إنـه سيصحبنا. لا اعتراضـات بعد، يا حبيبتـي. سأحول ماهـو ثمين لدي إلى ذهب،

وسأستولي على بعض المبالغ من مال أبي، أوليس من المسموح به تجريد اللصوص من أموالهم؟ أليست كنوزه هي من ثمن دم الوطن؟ بعد منتصف الليل بساعة ستحضر هنا عربة، وسترمين بنفسك فيها وسنهرب!

لويزة : ولعنة أبيك ستطاردنا؟ لعنة ـ ألا تفكر في هذا ـ لعنة لا ينطق بها حتى القاتل نفسه دون أن تُلبى، لعنة ينفذها انتقام السماء، حتى لو كانت آخر صيحة للص وهو على عجلة التعذيب، لعنة تلتصق بنا، في هروبنا، كشبح لا يرحم، وتهددنا من بحر إلى آخر. لا، ياحبيبي! إذا كانت الجريمة هي وحدها التي تستطيع أن تحفظك لي، فلا يزال عندي القوة الكافية لاحتمال فقدانك.

فردنيند : (لا يتحرك، ويتلعثم بوجه كئيب) صحيح؟

لويزة : فقدانك! أوه! هذه فكرة مروعة ترويعا، لا حد له، مخيفة إلى درجة أن تنفذ وتقتل نفسا خالدة، وتطبع الشحوب على خد السرور المتجسد. أن أفقدك يا فردنيند، لكن ماذا أقول؟ إن المرء لا يفقد إلا ما يملك، وقلبك ينتسب إلى مرتبته. إن ادعائي كان تجديفا، وأتخلى عنه وأنا أقشعر.

فردنيند : (منقبض الوجه، وهو يعض على شفته) هل تتخلين عني.

لويزة : كلا! انظر إليّ، يا عزيزي فون فالتر! لا تحرّق الأرم بمرارة هكذا! تعال! دعني الآن أنعش بشجاعتي شجاعتك

المتخاذلة. دعني أكن بطلة هذه الأزمة، دعني أعد إلى الأب ابنه الذي يفرّ منه. دعني أتخل عن رابطة تعكر العلاقات الاجتماعية وتنتهك القوانين الثابتة للنظام العام. إني أنا الجانية الآثمة. إن قلبي تولع بأماناتي المتهورة المجنونة. وشقائي هو عقابي، لكن دع لي على الأقل اليوم الوهم العذب بأن هذه تضحية مرة. هل تحسدني على هذه المتعة؟

فردنيند (في ذهوله وغضبه أمسك بكمنجة وحاول العزف عليها. وفجأة انتزع أوتارها، وحطم الآلة على الأرض، وغادر المكان وهو يضحك ضحكة صاخبة)

لويزة فون فالتر! يا لرب السماء! ماذا تفعل؟ تشجع! هذه اللحظة تحتاج إلى الثبات. إنها لحظة الانفصال! إن لديك قلبا، ياعزيزي فالتر! وأنا أعرفه. وحبك مشبوب كالحياة، ولا حدود له كالعالم الفسيح. هبه لفتاة نبيلة، أجدر مني، ولن تحسد على ذلك أسعد فتيات جنسها (وهي تخنق عبراتها). أما أنا فلن تراني عوضا! على الفتاة المعزورة المخدوعة أن تستهلك حزنها في الدموع، وهي قابعة بين جدران متوحدة وهذه الدموع لن يحفل بها أحد. إن مستقبلي خاو وميت. ومع ذلك فإني سأستروح أحيانا بُعد أزهار الماضي اليابسة. (تبسط إليه يدا مرتعشة وهي مشيحة بوجهها) وداعا ياسيد فون فالتر.

فردنيند (يرتعش ويضيق من ذهوله) سأهرب، يا لويزة. أحق أنك لن تأتي معي؟

لويزة : (تجلس في زاوية الغرفة وتستر وجهها بيديها) إن واجبي يأمرني بالبقاء ومعاناة الآلام.

فردنيند أنتِ تخدعينني، يا أفعى! إن دافعا آخر هو الذي يجعلك تبقين هاهنا.

لويزة (بلهجة ملؤها بالغ الألم) تمسك بهذا الشك، فلعله أن يجعلك أقل شقاء؟

فردنيند تضعين الواجب البارد في مقابل الحب المشبوب، وتريدين أن تبهريني بهذا القدر التافه؟ إن عاشقا آخر هو الذي يجعلك تبقين هاهنا، والويل لك إن صدق ظني هذا! (يخرج بسرعة ولهفة)

المنظر الخامس

لويزة (وحدها)

(تبقـى وقتـا طويـلا دون أن تتكلـم أو تتحـرك على كـرسيها، ثـم تقـف وتتقدم، وتتطلع حواليها بفزع)

لويزة أين يمكن أن يكـون أبواي؟ إن أبي قد وعد بـالعودة بعد دقائق قليلة، لكنه غائب منذ خمس ساعات رهيبة. هل حـــدث لـه شيء؟ مـــاذا أستشعـر؟ لماذا يصعـــب عليّ التنفـس؟ (في هـذه اللحظـة يدخـل فـورم في الغـرفـة، ويتوقـف في الزاويـة دون أن تلمحه لـويزة). هـذا ليس بالحقيقـي، إنها مجرد أوهام مـروعة لقلـب مضطرب. إن النفس حين تسكـر من اليأس، فـإن عيوننا تتصـور كل شيء شبحا.

المنظر السادس

(لويزة والسكرتير فورم)

فورم (مقتربا منها) صباح الخير، يا آنسة!

لويزة يا الله! من الذي يتكلم هاهنا؟ (تتلفت، تلحظ فورم وتتراجع مرتاعة) آه! يا للهول! يا للهول! إن توقعي الأليم قد تحول إلى واقع مروع أكبر ترويع! (مخاطبة فورم، بنظرة مليئة بالاحتقار): لعلك تبحث عن الرئيس؟ إنه لم يعد هاهنا.

فورم إني أبحث عنك أنتِ يا آنسة.

فورم أنا مندهشة من كونك لم تذهب لتبحث عني في ميدان السوق؟

فورم :- لماذا في ميدان السوق؟

لويزة لنزع خطيبتك من عود المشنقة.

فورم يا آنسة ملر، إن لديك ظنونا ظالمة.

لويزة (تريد أن تجيب، لكنها تتوقف ثم تستأنف الكلام) هل تريد شيئا؟

فورم لقد جئت مبعوثا من ناحية أبيك .

لويزة (وهي مرتاعة) من ناحية أبي؟ وأين أبي؟

فورم في وضع سيىء .

لويزة باسم السماء! تكلّم . إن لديّ هواجس محزنة . أين أبي؟

فورم إنه في السجن ، مادمت تريدين أن تعرفي .

لويزة (ترفع عينيها نحو السماء) وهذا أيضا! وهذا أيضا لماذا هو في السجن؟

فورم بأمر من الدوق .

لويزة من الدوق؟

فورم بسبب جريمة إهانة صاحب الجلالة التي ارتكبها ضد شخص ممثله . . .

لويزة : كيف! كيف! يا إلهي يا قوي!

فورم فإن الدوق قرر أن يعاقبه عقابا شديدا جدا .

لويزة هذا هو ما كان ينقصني ، من غير شك ، إن قلبي كان لديه أيضا ــ ماعدا الرائد ــ شيء عزيز . لم يكن من الممكن أن أعفى من هذا! جريمة إهانة صاحب الجلالة! آه! أيتها العناية السماوية! ثبتي ، ثبتي إيماني المترنح! وفردنيند؟

فورم	سيختار بين ليدي ملفورد وبين لعنة أبيه الذي يحرمه من الميراث .

لويزة	يالـه من اختيار مخيف! ومـع ذلك ، مع ذلك هـو أسعد مني ، إنه ليس له أب يفقده . صحيح أن كون أن ليس له أب هـو شقـاء جهنمـي ، أبي مـرتكب جـريمـة إهـانـة صاحب الجلالة ، وحبيبـي إما ملعون ومحروم من الميراث أو زوج لليدي . حقا هذا رائع . إن السفالـة الكاملة هي أيضـا كمال مثـل سائر الكمالات . كمال؟ كـلا ، لا يـزال ينقص شيء آخر . وأين أمي؟

فورم	في دار الشغل .

لويزة	(وهـي تضحـك ضحكـة اليـأس) الآن طفـح الكيـل ، واكتمـل كل شيء ، اكتمـل كـل شيء! إننـي حرة ، قـد تخلصت من كل واجب ، من كل دمعة ، من كل سرور . لم أعد في حاجة إلى أي شيء (بعد صمت مروع) ربما كان عنـدك أخبـار أخـرى تقـولها لي؟ تكلـم دائما . . . إني أستطيع سماع كل شيء الآن .

فورم	أنتِ تعلمين كل ماحدث .

لويزة	لكني لا أعلم ماذا سيحـدث أيضا . (تسكت ، وتتطلع فيه مـن رأسه إلى قدميه) يـالك من رجـل مسكين! إنك تقـوم بوظيفـة بائسـة ، ومن المستحيـل عليك أن تسعـد وترقى . إن صنع بائسين أمـر مخيف ، لكن إعلان البؤس

لهم أمر أشد ترويعا : أن تأتي تنشد لهم نشيد الجوقة ، وتقف هناك بينما قلبهم الدامي يعاني وقد انغرس فيه سهم الضرورة الصلب ، وبينما المسيحي التقي يشك في إلهه . ليحفظني الله من أن أكون يوما في مكانك ، حتى لو كانت كل دمعة تراها تسقط يدفع لك فيها طن من الذهب . وماذا يمكن أن يحدث أيضا؟

فورم : لا أدري .

لويزة : أنت لا تريد أن تعرف ذلك . إن الكلام يتقهقر أمام الرسالة الكريهة التي كلفت أنت بها ، لكن من خلال هذا الصمت الرهيب يتراءى لي في عينيك شبح . ماذا بقي بعد؟ أنت قلت إن الدوق يريد أن يقسو جدا في العقاب . ماذا تعني بقولك : يقسو جدا؟

فورم : لا تطلبي مني أكثر من هذا .

لويزة : اسمع ، يارجل : لقد كنت في مدرسة الجلاد ، فكيف قدرت ببراعة أن تدع عمود الحديد يسقط ببطء على الأعضاء التي تتحطم ، وأن تتلاعب كأن تمسك بالضربة القاضية معلقة فوق القلب النابض؟ أي مصير يهدد أبي؟ إن الموت يبدو أن ابتسامتك تعلن عنه؟ لكن لابد أن ما تخفيه في نفسك هو أمر مرّوع؟ تكلم ، دعني أتلقى على الفور كل العبء الذي لابد أنه سيسحقني سحقا . أي مصير يهدد أبي؟

فورم		قضية جنائية .

لويزة		ماهي القضيـة الجنائيـة؟ إنني فتاة ساذجـة جاهـلة، ولا أفهم كلماتكم اللاتينية الر هيبـة . ماذا تعني بالقضية الجنائية؟

فورم		قضية فيها إماالحياة و إما الموت .

لويزة		(بثبات) أشكر لك . (تهرع إلى الغرفة المجاورة) .

فورم		إلى أين، هي ذاهبة؟ ماذا تفعل هذه المجنونة! إنها ليست ذاهبة! سأعـدو وراءها، إني مسئول عن حيـاتها . (يريد اللحاق بها) .

لويزة		(تعـود، وقـد وضعـت طـرحـة على كتفيهـا) : اعـذرني ياسيدي السكرتير. لابد لي من أن أغلق الباب ورائي .

فورم		وإلى أين أنتِ ذاهبة هكذا بسرعة؟

لويزة	:	إلى الدوق . (تريد الخروج) .

فورم		أين؟ وكيف؟ (يمسك بها وهو خائف جدا) .

لويزة		أنـا ذاهبـة إلى الـدوق، ألم تفهمنـي؟ إلى الـدوق الـذي سينطق بقرار الحياة أو الموت على أبي . كلا، إنه لا يريد، إنه سيدع غيره ينطق، لأن بعض الأوغاد يريدون ذلك، عنـد هذا الـدوق الذي لـن يشترك في كـل هذه القضيـة المتعلقة بـإهانـة صاحب الجلالـة . إلا بمقدار مـا يضع توقيعه بوصفه الأمير.

فورم : (يضحك بصوت عال) إلى الدوق؟

لويزة أعلم أنك تستطيع أن تضحك على هذا. لن أجد أقل رحمة. يا إله الرحمة! لن أجد إلا الاحتقار، الاحتقار لزفراتي. لقد قيل لي إن العظماء على هذه الأرض لا يعرفون ماهو الشقاء، ولا يريدون أن يعرفوه، ولكني سأقول له ماهو معنى الشقاء. سأرسم له بكل سكرات الموت ماهو معنى الشقاء. سأصرخ فيه صرخات تسحق عظامه حتى النخاع كي يفهم معنى الشقاء. وحينما يقف شعره على رأسه من هول هذه الصورة سأتوقف صائحة في أذنيه إنه في ساعة الموت تبدأ رئات آلهة الأرض في النزع أيضا، وأنه في يوم الحساب سيحاسب الملوك والشحاذون بنفس الميزان. (تريد أن تخرج).

فورم (بتعاطف غدار) اذهبي، اذهبي، لا تملكين أن تفعلي شيئا أكثر حكمة من هذا: إني أنصحك أن تذهبي، وأنا أتعهد لك بأن الدوق سيحسن استقبالك.

لويزة (تتوقف فجأة) ماذا تقول؟ أنت تنصحني بذلك؟ (تتراجع فجأة) ها! ماذا أفعل إذن؟ لابد أنه أمر مخيف لأن هذا الرجل يدعو إليه. من أين تعلم أن الدوق سيستجيب لرغبتي؟

فورم لأنه لن يفعل ذلك مجانا.

لويزة ليس مجانا؟ أي سعر يجب دفعه في مقابل عمل إنساني؟

فورم		صاحبة الطلب الجميلة هي ثمن كاف.

لويزة		(تقف كأنها تحجرت، ثم تصيح بصوت متكسر) يا إلهي العادل!

فورم		ومن أجل سلامة الأب لن تجدي ـ بحسب ما أرجو ـ أن هذه الضريبة اللطيفة مبالغ فيها.

لويزة		(تعدو وتروح، وهي خارجة عن طورها) نعم، نعم! هذا صحيح. إن عظماءك متحصنون ضد الحقيقة برذائلهم هم، كما لو كانوا محميين بسيوف الملائكة الكروبيين. كان الله القدير في عونك يا أبي! إن ابنتك تستطيع أن تموت، ولكنها لا تستطيع أن ترتكب خطيئة من أجلك.

فورم		هذا خبر يمكن أن يدهشه، هذا الرجل المسكين المهجور «لويزتي» هكذا قال لي «قد صرعتني ولويزتي ستنقذني». وهأنذا أسارع، يا آنسة، كي أحمل إليه جوابك. (يتظاهر بالرحيل).

لويزة		(تعدو خلفه وتمسك به) ابق! ابق! صبرا! كم هذا الشيطان نشيط متى ما تعلق الأمر بإيقاع الناس في اليأس! أنا صرعته. ويجب عليّ أن أنقذه. تكلم! انصح! ماذا أستطيع! ماذا يجب عليّ أن أفعل؟

فورم		لا توجد إلا وسيلة واحدة.

لويزة وما هذه الوسيلة الوحيدة؟

فورم وأبوك يريد أيضا . . .

لويزة أبي أيضا؟ ماهذه الوسيلة؟

فورم هذا سهل عليك.

لويزة لا أعرف شيئا أصعب من العار.

فورم إذا أردت أن تخلصي الرائد.

لويزة من حبه، أتسخر مني؟ أآتك لحريتي ما أرغمت عليه؟

فورم ليس هذا ما أفكر فيه، يا آنستي العزيزة. لابد أن ينسحب الرائد من تلقاء نفسه وبمحض إرادته.

لويزة لن يفعل ذلك.

فورم هكذا يبدو لك الأمر لكن هل تعتقدين أنه كان سيلجأ إليك، إن لم تكن لديك، أنتِ وحدك، الوسيلة لجعله يفعل ذلك؟

لويزة هل أقدر أن أرغمه على أن يكرهني؟

فورم سنحاول. اجلسي!

لويزة (مندهشة جدا) أيها الرجل ماذا تدبر؟

فورم اجلسي! اكتبي! هذا قلم، وورق، وحبر.

لويزة (تجلس، وهـي في غايـة الاضطراب) مـاذا يجب عليّ أن أكتب؟ وإلى من يجب عليّ أن أكتب؟

فورم إلى جلاد أبيك.

لويزة : آه! أنت خبير في تعذيب النفوس. (تمسك بالقلم).

فورم (يملي عليها) «سيدي الفاضل...

لويزة (تكتب بيد مرتعشة)

فورم «مـرت ثـلاثـة أيـام لا تحتمـل... مـرّت... دون أن نلتقي».

لويزة (تتردد وتضع القلم) إلى من تتوجه هذه الرسالة؟

فورم إلى جلاد أبيك.

لويزة يا إلهي!

فورم «حمل الرائد المسئـولية، نعم الـرائد الذي يراقبنـي بعيون أرجوس*»

لويزة : (تقف بوثبة) هذه سفالة لم يشاهد مثلها من قبل! إلى من تتوجه هذه الرسالة؟

فورم : إلى جلاد أبيك.

---

* Argus : في الأساطير اليونانية: مارد كان لـه مائة عين، ويضرب به المثل على المراقب أو الجلوس الساهر باستمرار والذي يصعب خداعه.

لويزة (تلـوي يديها من اليـأس) لا! لا! لا! هـذا طغيـان. يا إلهي! عـاقب الإنسان بطـريقة إنسانيـة إذا أغضبك. لكـن لماذا تضعنـي بين هذيـن الأمـريـن المخيفين؟ لماذا تؤرجحني بين الموت والعار؟ لماذا تسلم قلبي إلى عضات هذه الأفعى اللعينة؟ افعل ماشئـت، فإني لن أكتب هذا أبدا.

فورم (وقد أخـذ قبعته) كما تشـائين، يا آنستـي، كما تريـدين أنت تماما.

لويزة كما أريد ـ أنت تقول هـذا؟ كما أريد؟ آه! أيها المتوحش! أنت تعلقـه بائسا فوق هـوة الجحيم، مطالبـا إياه بشيء معين، وبعد هـذا تسأله هـل هذا يتـوقف على إرادة! آه أنت تعلـم كل العلـم أن قلبنا مرتبـط بعواطـف طبيعية كأنها سلاسل لا يمكن التخلـص منها. . . والآن، أنا لا أكترث لـك. أمْل عليّ مـا شئـت، لم أعد أفكـر، إني أستسلم لمكايد الجحيم. [تعود للجلوس]

فورم «. . الذي يراقبني بعيون أرجوس. . . » هل كتبت؟

لويزة استمر، استمر.

فورم : «بالأمس زارنا الرئيس. كان ذلك شيئا مضحكا مشاهدة هذا الرائد الطيب يتشنج للدفاع عن شرفي».

لويزة : هذا حسن حسن! رائع! استمر.

فورم «قررت أن أكون مغفلا حتى لا أنفجر في الضحك».

لويزة يا للسماء!

فورم «لكن هذه الألوان من الاستخفاء والتنكر بدأت تبطرني ذرعي، نعم تبطرني ذرعي . . . آه لو استطعت فقط أن أتخلص!»

لويزة (تتوقف، وتنهض، وتخطو بضع خطوات، مخفضة رأسها وعيناها مسمرتين في الأرض، ثم تعود للجلوس، وتستمر في الكتابة) «أن أتخلص . . .»

فورم «غدا سيكون في نوبة العمل . . ترصد اللحظة التي يتركني فيها، وتعال إلى المكان الذي تعرفه . . .» هل كتبت: «الذي تعرفه»؟

لويزة كتبت كل شيء.

فورم « . . . إلى المكان الذي تعرفه لتلقى . . . عزيزتك . . . لويزة».

لويزة لا ينقص إلا العنوان.

فورم «إلى السيد مدير البلاط فون كلب».

لويزة يا للعناية الإلهية! هذا اسم غريب على أذني بمقدار ما هذه السطور السافلة غريبة على قلبي! (تقف، وتحدّق طويلا بعينيها في الرسالة، وأخيرا تعطيه للسكرتير، وتقول بصوت منهوك شبه ميت): خذ، ياسيدي، هذه سمعتي الطيبة ـ إنه فردنيند! ـ إنها كل سعادة حياتي أسلمها الآن بين يديك. لم يبق لي شيء.

فورم كـلا! لا تيأسي. إن عنـدي شفقـة مخلصة عليـك. . .
ربما! . . . من يدري؟ . . . ربما أستطيـع أن أتجاوز عن
بعض الأمور. حقا! وحق السماء! إني أحمل شفقة مخلصة
عليك.

لويزة (ملقية عليه نظرة نافذة) لا تنه كلامك ياسيدي، فأنت
على وشك أن ترجو لنفسك شيئا مخيفا.

فورم (يمسك بيدها ويريد أن يقبلها) أيكون ذلك الشيء هو
هذه اليد الجميلة؟ أهذا شيء مخيف، يا آنستي؟.

لويزة (بكبرياء) نعم، لأنني سأخنقك حينئذ في ليلة الزفاف،
وسأجلـس بعد ذلـك على عجلة التعذيـب وأنا في غـاية
الاستمتاع. (تـريد أن تخرج، لكنهـا سرعان مـا تعود):
هل انتهينا ياسيدي، أتستطيع الحمامة أن تطير؟

فورم بقـي شيء تافـه بسيط، يـا آنستـي يجب عليك أن تـأتي
لتقسمي على الخبز المقدس بأنك تقرين بأنك كتبت هذه
الرسالة بمحض إرادتك.

لويزة : يا إلهي! يا إلهي! وعليك أنت أن تختـم بالختم على عمل
الجحيم!

(فورم يقتادها)

الفصل الرابع

المنظر الأول

صالون عند الرئيس

(فردنيند فـون فالتر، وفي يده رسالة مفتـوحة، يندفع في الصـالون . خادم يدخل من باب آخر)

فردنيند هل لم يأت مدير البلاط إلى هنا؟

الخادم ياسيدي الرائد، إن السيد الرئيس يطلبك .

فردنيند إلى الشيطان! أنا أسأل هل مدير البلاط لم يأت إلى هنا .

الخادم إن صاحـب المعالي موجـود في أعلى، جالسـا إلى منضدة فرعون* .

فردنيند إلى الجحيم! يجب على صاحب المعالي أن ينزل إلى هنا .

---

* منضدة تلعـب عليها لعبة ورق تسمـى «فرعون»، وقـد جاءها هـذا الاسم من كـون إحدى أوراق اللعب رسم عليها صورة فرعون مصري .

المنظر الثاني

فردنيند (وحده)

(يتصفح الرسالة، وهو لا يتحرك من الدهشة حينا، وحينا آخر يتجول في الصالون بغضب)

فردنيند هذا غير ممكن، غير ممكن! هذه الصورة السماوية لا يمكن أن تستر في داخلها قلبا جهنميا هكذا. ومع ذلك، مع ذلك، لو نزلت كل الملائكة لضمان براءتها، ولو أقرت السماء والأرض وكل المخلوقات وخالقها كي يكونوا ضمانا لبراءتها فإن هذا هو خطها! خيانة لا مثيل لها، فظيعة لم يشاهد الجنس البشري لها مثيلا. أمن أجل هذا إذن قاومت بعناد شديد خطتي في الهرب، أمن أجل هذا! يا إلهي! الآن أفيق، الآن يفسر كل شيء. من أجل هذا إذن تخلت بكل بساطة عن دعوى حبي! وهكذا، وهكذا خدعتني تحت هذا القناع السامي! (يتجول في الصالون بخطوات واسعة واضطراب، ثم يتوقف مفكرا) أن تنفذ بعمق في قلبي! وتتجاوب مع كل عاطفة من عواطفي الجموح، ومع كل انطباعاتي المستترة الخجول، مع كل اضطراب من اضطراباتي المشبوبة، وأن تدرك كل ذبذبة منسجمة في نفسي بما فيها من لطافة لا يبلغ مداها التعبير، أن تتكهن بما في نفسي عند كل دمعة، أن تتبعني

حتى الذروة الوعرة لوجـدي، وتصاحبني على حافة كل هاوية. . . يا إلهي! يا إلهي! وكل هذا لم يكن إلا تمويها، تمويها! أوه! لو كان في استطاعـة الكذب أن يصبغ نفسه بصبغـة ثابتـة هكذا، فكيـف حـدث أنه لم يستطـع أي شيطـان بعد أن ينفـذ -غـدرا- في ملكوت السمـوات؟ حينما أخبرتها بالأخطار التي تهدد حبنا، بأي مظهر مقنع شحبـت هـذه الغـادرة! وبـأية كـرامـة رائعـة قـوضـت الإهانـات الوقحـة التي تفـوه بها أبي! وفي هذه اللحظـة شعرت هذه المرأة بـأنها مذنبة؟ كيف؟ ألم تعـان آخر محنة للحقيقة؟ هذه المنافقة ألم يُغم عليها؟ ماذا ستكون لغتك من الآن فصاعدا، ياشاعر القلب، مادامت ذوات الدل تسقـط دون وعـي؟ أنى لـك أن تبرري نفسـك، أيتهـا البراءة المخلصـة، مادامـت المومسات تعـرف هي أيضـا كيف تسقط دون وعي؟ إنها تعلـم كيف أنها استولت على نفسي، وقـد شـاهـدت كل قلبـي. وعلى نـار القبـلات الأولى، تجلت نفسي في عينـيّ وفي حمرة جبيني. وهـي لم تشعر بشيء! ربما هـي لم تشعر إلا بانتصـار فنها* وفي هذياني السعيد اعتقدت أنني فيها أملك السماء نفسها، وشهواتي الشـديدة العرامـة سكتت، ولم يخطـر ببالي غير الخلود وهي. يا إلهي! وهي لم تستشعر شيئا! لم تستشعر إلا نجاح مكائدها، وسلطان مفاتنها. الموت والانتقام! لا شيء، إلا أنني خُدعت!

* فنها في التمويه والخداع.

المنظر الثالث

(مدير البلاط وفردنيند)

مدير البلاط (يدخل الغرفة بخطى بطيئة) أنت أبديت رغبتك، ياعزيزي جدا . . .

فردنيند : (وهو يمشي على حده) كسر رقبة شخص عجيب. (بصوت عال) يا مدير البلاط، لابد أن هذه الرسالة سقطت من جيبك أثناء الاستعراض. (بضحكة مرة) ولحسن الحظ أنني أنا الذي عثرت عليها.

مدير البلاط أنت؟

فردنيند عن طريق صدفة مضحكة. رتب هذا على العليّ القدير.

مدير البلاط أنت ترى كم أنا مرتاع من هذا، يابارون.

فردنيند اقرأ! اقرأ! (مبتعدا عنه) إذا لم أكن صالحا للعب دور العاشق، فربما أكون أصلح للعب دور القواد. (بينما مدير البلاط يقرأ، يقترب فردنيند من الجدار وينتزع منه مسدسين).

مدير البلاط (يلقي بالرسالة على المنضدة ويهم للابتعاد) يا للعنة!

فردنيند (يشده من ذراعه) جدا، يـاعزيزي المدير! إن الخبر يبدو لي سـارا. أريـد أجـرا على العثـور على الرسـالـة (يـريـه المسدسين).

مدير البلاط (يتراجع مذهولا) ستكون متعقلا، ياعزيزي جدا.

فردنيند (بصوت قوي مخيف) أكثر مما يجب من أجل إرسال وغد مثلك إلى العـالم الآخر (يـرغمه على أخـذ مسدس، وفي نفس الوقت يسحب منديله) خذ! خذ هذا المنديل! لقد حصلت عليه من الجميلة!

مدير البلاط أن أمسـك بطرف هـذا المنديـل! هل أنـت مجنون؟ فيـم تفكر؟

فردنيند خذ طـرف هذا المنـديل، أقـول لك، يـاجبان! كـم هو يرتعد، هـذا الجبان! عليك أن تحمد اللـه، ياجبان، إذ لأول مـرة يدخـل شيء في مخك. (مـديـر البلاط يـريـد الهرب). مهـلا! سيحدث مـا قلـت لـك. (يمسك بـه ويذهب لإغلاق الباب).

مدير البلاط في هذا الصالون، يابارون؟

فردنيند وهل يستحق الأمر أن نقوم معـا بنزهة على المتاريس؟ إن الأمر يستحق أن يحدث المزيد من الضجة، هذه هي المرة الأولى التي يتـاح لك فيها أن تحدث ضجـة بين الناس. صوّب!

مدير البلاط (وهو يمسح جبينه) أتريد إذن أن تخاطر بحياة ثمينة كهذه؟ أنت شاب ينبىء بآمال جميلة!

فردنيند صوب، أقول لك، ليس عندي ما أفعله في هذا العالم.

مدير البلاط أنا لا أقول هذا، ياعزيزي جدا.

فردنيند أنت، أيها الرجل العجيب! أنت! وماذا لديك لتفعله؟ أن تكون طرطورا حيث لا يوجد أحد من الناس؟ أن تجعل نفسك سبع مرات كبيرا أو صغيرا في دقيقة واحدة، مثل الفراشة المعلقة بدبوس، أن تسجل ملابس سيدك، أن تكون مثيرا للبهجة في نفسه؟ هذا حسن. أريد أن آخذك معي كدابة عجيبة، ستكون هناك كنسناس علامة، سترقص على نشيد المحكوم عليهم بالإعدام، سيحملونك ويعبرون بك، بكل آداب البلاط، وستشيع الفرح في اليأس الأبدي.

مدير البلاط : كل ما تريده، يا سيدي، وكما تريد، لكن لا مسدسات!

فردنيند هاهو ذا، ابن الناس! أليس عارا في اليوم السادس من الخلق؟ يبدو كان مزيفا قد زيف خلق العلي القدير! لكن من المؤلم، بل المؤلم جدا أن هذه الأوقية من المخ قد وضعت في هذه الجمجمة البائسة، هذه الأوقية من المخ كانت كافية لرفع نسناس إلى مرتبة إنسان، لكن بدلا من ذلك، لا تفيد إلا أن تكون سُبة للعقل. أمعه قد تقاسمت قلبها؟ آه! هذا فظيع! هذا لا يغتفر. شخص عجيب جُبل لأن يكرّه في الرذيلة لا لأن يجر إليها.

مدير البلاط الحمد لله! بدأ يتعقل.

فردنيند أريد أن أتركه يعيش. إن التسامح الذي يبقي على الدودة ينبغي أن يفيده أيضا. سيلقاه الناس به وسيهزون أكتافهم، وربما سيعجبون بتدبير العناية الإلهية، الحكيم الذي يجد وسيلة لإطعام مخلوقات في السماء، وفي القاذورات، ويهيىء مأدبة للغربان ذوات المشانق، ولرجال البلاط في نفايات الملوك. وأخيرا سيدهش الناس من براعة الخالق الرائعة الذي وضع في العالم الأخلاقي (المعنوي) أفاعي وعقارب لإسالة السم. (يعود غضبه) لكن لا يحق للحشرة الزاحفة أن تتعلق بزهرتي العزيزة (يمسك بالمدير ويهزه بعنف)، وإلا لسحقته ألف مرة.

مدير البلاط (على حدة، وهو يتنفس بصعوبة): آه! يا إلهي! كم أتمنى أن أكون بعيدا عن هنا، حتى لو كان ذلك في بيستر بالقرب من باريس، لكن ليس هاهنا خصوصا.

فردنيند يا حقير! أنت قد دنست طهارتها، يا حقير! أنت تملكتها، بينما أنا عبدتها (بغضب شديد) أنت ارتكبت الفسق هناك حيث استشعرت أنا أنني إله! (يسكت، ثم يستأنف الكلام بصوت مروع). الأحسن لك أيها الحقير أن تلجأ إلى الجحيم، أولى من أن ألقاك في السماء مع غضبي. إلى أي حد وصلت معها؟ أجب.

مدير البلاط دعني قليلا، وسأقول لك كل شيء.

فردنيند حتى الغزل لابد أنه معها ألذ مع الوجد السماوي مع

غيرها . هـل قدرت على الفسـاد؟ هل قـدرت على الحط من مكانة روحها؟ هـل قدرت على أن تضحي بالفضيلة لمتع تجلب العار؟ (يخاطب المدير وهو يضع المسدس على صدره) إلى أي حـد وصلت معهـا؟ أجب، وإلا فـأنت مقتول .

مدير البلاط لا شيء، لا شيء أبـــدا . دقيقــة صبر واحـــدة . إنهم يخدعونك .

فردنيند وتجرؤ على أن تذكـرني بذلـك، أيها السافـل! إلى أي حد وصلت؟ أنت مقتول إذا لم تجب .

مدير البلاط يـا إلهي! يا إلهي! سـأقـول لـك . استمع إليّ فقـط . فيما الأب، الأب نفسه* . . .

فردنيند (في هياج) هل باع لك ابنته؟ وإلى أي حد وصلت معها أجب، وإلا قتلتك .

مدير البلاط أنت مجنون . أنـت لا تصغي إليّ . إنني لم أرها أبـدا ، وأنا لا أعرفها ، وليست عندي أقل معرفة بها .

فردنيند (يتراجع، مـذهولا) أنـت لم ترها أبـدا؟ أنت لا تعـرفها؟ أنت قضيـت على هذه الفتـاة البائسـة، وأنت تتنكـر لها ثلاث مـرات في الدقيقـة . اذهب أيها البـائس العجيب (يدفعـه بمقبض المسدس، ويطـرده من الصـالون . إن البارود لم يخترع لأمثالك .

---

* يقصد والد لويزة .

المنظر الرابع

فردنيند (بعـد صمـت طـويل في خـلالـه اتخذت مـلامحه تعبيرا مخيفا) قُضي عليّ، نعم، أيتها البائسة! نعم، قُضي عليّ، وعليك أنت أيضـا. نعم، يا إلهي العظيم! إذا كنـت قد قضي علي، فقـد قضي عليـك أنـت أيضـا. يـا حـاكـم الكون! لا تسألني عن هذا. هـذه الفتاة هي لي أنا. من أجلها تـركت كـل كونـك، تخليت عـن سائر خليقتـك البديعة. اتـركها لي، ياحاكم الكـون. . ملايين النفوس تتضرع إليك، نظرة رحمة منك إلى هـذا الجانب. اترك لي هذه (الفتـاة) وحدهـا، يا حـاكم الكـون! (يضـم يـديه بشكل متشنـج) أيها الخالق! أنـت غني، وقـدير، هـل تحسدني على نفس واحدة، قد صارت أبأس المخلوقات؟ هذه الفتاة لي أنـا، كنت في الماضي بمثابة إلـه في نظرها، معبودها، أما الآن فإنني ملاكها الشرير (تتحجر نظرته) أبدية تمضي معهـا على عجلة المحكوم عليهم بـالإعدام، عيوني مغـروسة في عيونها، شعـري واقف أمام شعـرها، زفراتنـا الخاصة ممزوجة في زفـرة واحدة، وأنا أكـرر عليها مـلاطفـاتي، ومكـررا إيمانها! يـا إلهي! سيكـون اقترانـا مروعا، لكنه أبدي. (يهم بالخروج فيلتقي بالرئيس)

المنظر الخامس

(الرئيس وفردنيند)

فردنيند (يتراجع) آه! أبي!

الرئيس نحن نلتقي في وقت مناسب جدا، يا بنيّ! لدي شيء سار جدا أريد أن أخبرك به، يابني العزيز، وهو سيدهشك قطعا. هل نجلس؟

فردنيند (بعد أن حدّق في وجهه بقوة) أبي! (يقترب منه، ويمسك يده بانفعال كبير) أبي! (يقبل يده، ويرتمي على قدميه) أوه يا أبي!

الرئيس ماذا بك يا بنيّ؟ إن يدك مشتعلة، أنت ترتعد؟

فردنيند (بحساسية مشبوبة ومندفعة) اغفر لي عقدتي يا أبي! أنا آثم، لم أقر بإحساسك، لقد كنت عطوفا أبويا عليّ! أوه! كنت حكيما حكمة نبوية. والآن الأمر متأخر جدا. المغفرة! المغفرة! بركتك، يا أبي.

الرئيس (متظاهرا بسيماء البساطة) انهض، ابني. احذر، إنك تكلمني بألغاز.

فردنيند هذه الفتاة ملر، يا أبي! آه! أنت تعرف الناس جيدا! لقد كانت غضبتك عادلة جـدا، ونبيلة جدا، وأبوية جدا، ورحيمة جدا! إن حميتك كوالد لم تخطىء إلا في الطريقة. هذه الفتاة ملر. . .

الرئيس لا تـوجه إليّ أي لـوم، يا بنـي، إني ألعـن قسوتي، وقـد جئت أطلب منك الصفح عن قسوتي.

فردنيند الصفح عن قسوتك؟ اللعنة عليّ أنا! لقد كان لومك هو الحكمة، وقسوتـك كانت طيبة سماويـة. . . هذه الفتاة ملر، يا أبي. . .

الرئيس إنها فتـاة نبيلـة خليقة بـالمحبـة! وأنـا أسحب شكـوكـي المجازفة، إنها كسبت احترامي.

فردنيند (وهو في غاية الاضطراب) ماذا! وأنت أيضا؟ أنت أيضا يا أبي أليست، يا أبي، مخلوقة بـريئة؟ أليس من الطبيعي أن يحبها المرء؟

الرئيس بل قل إن عدم حبها سيكون جريمة.

فردنيند هذا عجيب، رائع أنت يامن تقرأ جيدا في القلوب، أنت يامن كنت تنظـر إليها بعيون الكراهية! يالـه مـن نفـاق لا نظير له! هذه الفتاة ملر، يا أبي. . . .

الرئيس إنها جديرة بأن تكون ابنتي، ففضيلتها تقوم مقام نسبها وأجدادها، وجمالها يقوم مقام الثراء. إن مبادئي تسلم لحبك. لتكن لك!

فردنيند (مندفعا خارج الصالون في يأس) كان هذا ينقصني أيضا! وداعا، يا أبي!

الرئيس (يتبعه) توقف، توقف! إلى أين تذهب؟

(يخرج)

المنظر السادس

صالون فاخر عند الليدي

الليدي وصوفي تدخلان

الليدي هل رأيتها إذن؟ هل ستأتي؟

صوفي حالا. إنها تلبس ثيابها وستأتي حالا.

الليدي لا تقولي لي شيئا عنها، اسكتي. إنني أرتعش مثل مجرمة من رؤية هذه الفتاة السقيمة، التي قلبها في انسجام بائس مع قلبي. وكيف تلقت هذه الدعوة؟

صوفي ظهر عليها الاضطراب أولا، ثم صارت تفكر، لقد تطلعت إلي بعيون واسعة، وسكتت. وكنت على وشك الاستعداد لقبول اعتذارها، حينما أجابتني -وبنظرة نفذت في كياني- «إن سيدتك تأمرني اليوم بما كنت سأتوسل إليه غدا».

الليدي (وهي قلقة جدا) دعيني، ياصوفي. اعذريني: إذا كانت هي امرأة عاتية، فيجب أن أخجل، وإذا كانت أكثر منك، فإني يائسة.

صوفي لكن، ياسيدتي! ليس هذا هو الاستعداد النفسي لاستقبال منافسة لك: تذكرني من أنت. استنجدي بميلادك، بمكانتك، بسلطتك. لابد لكبرياء القلب من أن تسمو بالفخامة التعساء لاحترامك.

الليدي (بغير انتباه) بماذا تهدف الحمقاء؟

صوفي (بخبث) أو ربما كان من قبيل الصدفة أن الماسات الثمينة جدا ترف عليك اليوم؟ ومن قبيل الصدفة أنك تلبسين أفخر الملابس، وأن الخدم والحشم يزدحمون في غرفة انتظارك وأن الفتاة البرجوازية ستستقبل في الصالون الأميري لقصرك.

الليدي (تغدو وتروح وهي مليئة بالمرارة) عليها اللعنة! لا يمكن احتمالها! أن يكون للنساء مثل نظرات الضبع هذه! لكن ما أعمق انحطاطي إذا كان لمثل هذه المخلوقة أن تسبر غوري!

خادم (يدخل) الآنسة ملر.

الليدي (تخاطب صوفي) اذهبي أنت! ابعدي! (بلهجة التهديد، لما رأت صوفي مترددة) اذهبي! آمرك بهذا! تخرج صوفي. (الليدي تتمشى في القاعة) حسن! حسن جدا، أنني صرت في حالة اهتياج. إنني كما أود أن أكون. (مخاطبة الخادم) تستطيع الآنسة أن تدخل.

(الخادم يذهب. تلقي بنفسها على الأريكة، وتتخذ مظهرا يغلب عليه عدم الاكتراث).

المنظر السابع

(لويـزة ملر تدخـل على استحياء وتبقى واقفـة على مسافة واسعـة من الليدي، الليدي تدير لها ظهرها وتتـأملها وقتا طويلا في المرآة المواجهة لها. بعد برهة:)

لويزة ياسيدتي الفاضلة، إني في انتظار أوامرك.

الليدي (تلتفت نحو لويزة وتحييها بـرأسها فقط، وتعاملها ببرود وتحفظ) آه! أأنـت هاهنـا؟ لا شك أن الآنسـة هي . . . آه! بماذا يسمونك؟

لويزة (بنوع من الانفعال) أبي اسمه ملر وعصمتك أرسلت في طلب ابنته.

الليدي صحيـح! صحيـح! أنـا أتذكـر ابنـة عـازف الكمنجـة المسكينة، التي جرى الكلام حولها مؤخرا. (بعد لحظة، تخاطـب نفسها) شـائقة جـدا، ولكنهـا ليست جميلـة، (بصوت عـال تخاطب لويـزة): اقتربي مني، يـاطفلتي! (من جديد تخاطب نفسهـا): عيون تمرست في الدموع. كـم أحب هـذه العيـون! (بصوت عـال مـن جديـد): اقتربي، اقتربي جـدا، أيتها الطفلـة الطيبة. هـل تخافين مني؟

لويزة (بكبرياء وبلهجة قاطعة) كلا، ياسيدتي. إني أحتقر حكم الجمهور *

الليدي (تخاطب نفسها) انظري إن هذا الخلق الجموح جاءها منه**. (بصوت عال) لقد أوصوني بك، يا آنسة. لابد أنك تعلمت شيئا وتعرفين أيضا كيف تتصرفين. والآن أريد أن أصدق ذلك. ولهذا أنا لا أكذّب كل العالم في دفاعه الحار عنك.

لويزة لكنني لا أعرف أحدا - ياسيدتي - يهتم بأن يبحث لي عن مولاة حامية.

الليدي (متضايقة) يهتم بالبحث عن مولاة أو حامية.

لويزة هذا أمر فوق مستواي، ياسيدتي الفاضلة.

الليدي إن خبثا أكبر من هذه التربية الصريحة يمكن افتراضه فيك. إن اسمك هو لويزة؟ ولكن، كم عمرك إن جاز لي أن أسأل هذا السؤال؟

لويزة ست عشرة سنة كاملة.

الليدي (تقف فجأة) الآن نطقت بالكلمة! ست عشرة سنة! النبضة الأولى لهذا الوجد! النغمة الفضية المكرسة الأولى على بيانو لم يمسسه أحد من قبل! اجلسي، يا آنسة، إني أريد الإحسان إليك. وهو أيضا يحدث لأول مرة. ما أعجب أشعة الفجر! (بتلطف كبير وممسكة بيدها)

---

* الحكم الموسوم بالرهبة من الليدي ذات النفوذ الكبير.

** أي من عشيقها فردنيند.

اتفقنا على أن أصنع سعـادتك ياعزيزتي. لا شـيء، لا شيء إلا الأحلام العـذبة المبكرة الطائرة. (تربّت على خد لـويزة) خادمتـي صوفي ستتـزوج. وعليك أن تحتلي مكانها. ست عشرة سنة! هذا لا يمكن أن يدوم.

لويزة (تقبل يـدهـا شكـرا لها) أشكـر لـك هـذا الفضـل، ياسيدتي، كما لو كان عليّ أن أقبله.

الليدي (وقـد عادت إلى الغضـب والضيق) المرء يشـاهد سيـدة كبيرة! ومع ذلك فإن الفتيات اللواتي من طبقتك* يشعرن أنهن سعيـدات إذا وجـدن أسرا مـن السـادة (يعملـن عندها) إلى ماذا تطمحين إذن، يا فتاتي الثمينة**؟ هل هذه الأصابع أرق من أن تشتغل؟ وهل وجهك اللطيف هو الذي يجعلك هكذا أبية؟

لويزة يا سيدتي الفاضلة، لست أنا التي صنعت وجهي ولا أنا التي صنعت أصلي.

الليدي أو ربما تعتقـديـن أن هـذا ربما ينتهـي إلى نهايـة؟ أيتهـا المخلوقـة المسكينة؟ من وضع ذلـك في رأسك ـ أيـا من كان هو وأيا ما أراد بـه ـ قد سخر منكما. إن هذه الخدود لم تُطلَ بالذهب بواسطة النار*** إن ما تبيحه لك، المرآة على أنه سبيكة من الذهب الخالص الدائم ماهو إلا رغوة من الذهب الرقيق الزائل الذي يبقى في يد العاشق لك مدة تطول أو تقصر فماذا نفعل إذن بعد ذلك؟

---

* أي البرجوازية.
** بلهجة فيها تهكم.
*** أي لا تبقى هكذا نضرة وقتا طويلا.

لويزة نرثـي للعاشـق الذي اشترى مـاسة، لأنها بـدت له أنها مصنوعة من الذهب*.

الليدي (دون أن تهتم بهذا) إن فتـاة في مثل عمـرك لها مرآتـان في وقت واحد: مرآة حقيقية، ومـرآة أخرى هي من يعجب بها. والمرونـة المهائلـة للمـرآة التابعـة تصحـح الصراحـة الحسنة. للمـرآة الأولى. إحداهما تبرز علامة قبيحـة من أثر الجديـري، أما الأخـرى فتقول: كـلا، بل هـي فقرة لطـافـة. وأنتـن أيتها الفتـيات الطيبـات: أنتـن لا تصدقـن من المرآة الأولى إلا ما تقـوله لكن المرآة الثـانية، وأنتـن تقفـزن مـن الواحـدة إلى الأخـرى، إلى أن تنتهـي شهادتهما بأن تمتزجا في عيونكن. لماذا تتطلعين في وجهي هكذا، فأنت مدهوشة!

لويزة اسمحي لي، ياسيدتي الفاضلة كنـت مشغولة بتأمل هذا اليـاقـوت الـلامع الـرائع الـذي يجب أن يخفـى عنـه أن صاحبته تخطو بقسوة ضد الغرور.

الليدي (وقد احمرت خجلا) لا تبتعدي عن الموضـوع، ياماكرة! إذا لم تكـن الآمـال المؤسسـة على شخصـك هـي التـي تحتجـزك، فأي بـاعث في العـالم يمكـن أن يمنعك مـن اختيار وضـع هو الـوحيد الـذي فيه يمكنـك أن تكيفي نفسك مع الدنيا ومع السلـوك الحسن، الذي فيه وحده تستطيعين التخلص من أحكامك السابقة البرجوازية؟

---

* تعني: لأنه راعى الإطار الذهبي، ولم يراع الحجـر الكريم النفيس (الماس)، أو بعبارة أبسط: لأنه عشق المظهر الخارجي الجميل، لا الجوهر الحقيقي.

لويزة وكذلك أيضا من البراءة البرجوازية، ياسيدتي.

الليدي هذا اعتراض هزيل! إن أفجر الخبثاء لا يتجاسر على أن يقترح علميا اقتراحا شائنا إلا إذا نحن شجعناه على ذلك. اظهري نفسك على جليتها وكما هي، واتسمي بالشرف والكرامة، وأنا أضمن فضيلتك فوق كل المحن.

لويزة اسمحي لي، ياسيدتي، أن أشك في هذا. إن قصور بعض السيدات غالبا ما تكون ملاجىء لأفحش اللذات، من ذا الذي سيصدق في ابنة عازف مسكين وجود فضيلة فيها من البطولة ما يجعلها تلقي بنفسها في وسط الطاعون وتحتفظ فيها بالفزع من العدوى؟ ومن ذا الذي يستطيع أن يتصور أن ليدي ملفورد تغذي دائما دودة قارضة لضميرها، وأنها تنفق الذهب من أجل أن تحصل لنفسها على ميزة في كل لحظة! أنا صريحة، ياسيدتي! هل سيكون مظهرا مرضيا عنك حينما تسافرين من أجل بعض ألوان اللهو؟ وهل تستطيعين احتماله عند عودتك؟ أوه! إن الأفضل جدا هو أن تفصل بيننا بلاد واسعة وأن تجري البحار فيها بيننا. كوني متبصرة بالعواقب، ياسيدتي، فساعات التأمل، ولحظات الحلال يمكن أن تفاجئك. وأفاعي الندم يمكن أن تحاصر قلبك، وحينئذ أي عذاب تصلين حين تقرئين في ملامح خادمتك هذا الجو الهادىء، الذي هو جزاء البراءة وطهارة القلب؟ (تتراجع قليلا). مرة أخرى، ياسيدتي، أرجو أن تسامحيني.

الليدي (في اضطراب شديد، ماشية هنا وهناك) لا يمكن احتمال أن تتكلمي هكذا، ولا يمكن احتمال أن تكوني على حق. (تقترب من لويزة، وتحدق فيها بشدة) يا ابنتي، لن تفلحي في خداعي، إن آراء بسيطة كهذه لا يعبر عنها بكل هذه الحرارة: إن وراء هذه الأقوال القاسية يستتر اهتمام قوي، يجعلك تنظرين إلى خدمتي بفزع، ويسري في لغتك، وهذا الاهتمام (مهددة)، أنا سأكتشفه.

لويزة (بصراحة ونبل) وحين تكتشفيه، وحين تهيجين الدودة المقهورة بندم مزور، ألم يعطها الخالق حكمة لتدافع بها عن نفسها ضد الإهانة! إني لا أخشى انتقامك، ياسيدتي. إن المحكوم عليه بالإعدام حين يوضع على المشنقة، يبتسم لخراب العالم وشقائي قد وصل إلى حد أن وقاحة لهجتي لا تستطيع أن تزيده. (بعد صمت وبلهجة جادة). أنتِ تريدين أن تنتزعيني من تراب أصلي: وأنا لا أريد تحليل هذه النعمة المتهمة، سأسأل فقط عن السبب الذي حمل سيدتي على اعتقاد أنني من الجنون بحيث إني أخجل من أصلي، وماذا خوّل لها أن تصبح العناية التي تعمل على إصلاح شئوني، قبل أن أعرف هل أردت أن أتلقى النعمة من يديها؟ لقد مزقت كل مؤهلاتي الخالدة للحظوة بالنعيم في هذه الدنيا، ولقد غفرت للقدر تحيزه ضدي، فلماذا إذن أفكر في شئون النعيم في الدنيا؟ إذا كان الإله هو نفسه قد حجب

أشعته عن عيون المخلوقات حتى لا يفزع أسمى الملائكة من ظلمته، فلماذا يريـد الناس إذن أن يكونوا رحماء على هذا النحو الوحشي؟ وكيف تأتي، ياسيدتي، أنه في وسط رفـاهيتك الصـاخبـة أنـت تتسولين الإعجـاب والحسـد للبـائس؟ آه! لا تحسدينـي على مـن يستطيع وحـده أن يوفق بيني وبين قسوة قدري، وافهمي أن الحشرة سعيدة في داخـل قطـرة النـدى كما لـو أنها كـانـت في ملكـوت السماء، فلتعش مائة فرحة إلى أن يـأتي أحد ويحدثها عن الأوقيـانـوس العظيـم الـذي فيـه تمخـر الأسـاطيـل والقياطس. لكن أأنت تريـدين أن تريني سعيدة؟ (بعد لحظة صمـت، تقترب من الليدي وتسألها فجـأة:) هل أنت سعيدة، يـاسيدتي؟ (الليدي وهي في غايـة الدهشة تبتعد بسرعـة، لويزة تتبعهـا، وتضع يدهـا على قلبها:) هل ينعـم هذا القلب بمسرات لماعـة قبل مـركزك؟ وإذا كـان لنـا الآن أن نتبـادل قلبينـا، ومصيرينـا، وإذا أنـا توجهـت إلى ضميرك، ببراءة الطفل وإذا سألتـك كأم : فهل تنصحينني بهذه المبادلة؟

الليدي (في غاية الانفعال، تلقي بنفسهـا على الأريكة) هذا أمر في غاية الغرابة! لا يمكن تصـوره! كلا، يا ابنتي، كلا! هذه العظمة أنتِ لم تأت بها إلى الدنيا، وهي أكثر حداثة من أن تأتي من أبيك. لا تكذبي، إن معلما آخر هو الذي ينطق بلسانك.

لويزة (محدقة فيها برقة) إني مندهشة، يا سيدتي، من أن فكرة هذا المعلم لم تخطر ببالك إلا الآن، حينما وجدت مركزا لي.

الليدي : (تقفز بوثبة واحدة) هذا لا يمكن احتماله. نعم، مادمت لا أستطيع أن أخفي عنك شيئا، أنا أعرفه، أعرف كل شيء، أنا أعرف عنه أكثر مما أود أن أعرف (تتوقف فجأة، ثم تقول بحدة تتزايد حتى التوهان) لكن تجاسري أيتها البائسة، تجاسري من الآن فصاعدا على أن تحبيه، وتجاسري على أن تكوني محبوبة من جانبه. ماذا أقول؟ تجاسري على أن تفكري فيه أو أن تكوني خاطرا من خواطره. إني قوية، رهيبة، هذا حق بقدر ما أن الله موجود. لقد قضي عليك.

لويزة (بحزم) بلا معين، يا سيدتي، متى ما أرغمته على وجوب أن يحبك أنت.

الليدي أنا أفهمك. إنه لن يحبني! إني أريد أن أتغلب على هذا الحب الشائن، وأن أسحق حبك أنتِ. سأقيم بينهما جبالا. سأنفذ إلى داخل جنتكما، واسمي سيضع نفسه بين قبلاتكما كأنه شبح يهدد مجرمين، وجمالك الشاب الزاهر سيذبل ويصير بين ذراعيه كأنه مومياء جافة. إني لا أستطيع أن أكون سعيدة معه، لكنك أنت أيضا لن تكوني سعيدة معه. اعلمي هذا جيدا، أيتها الشقية! إن تدمير السعادة هو أيضا ضرب من السعادة.

لويزة سعادة قد انتزعت منك من قبل، ياسيدتي. لا تهيني قلبك أنت. أنت غير قادرة على تنفيذ التهديدات التي نطقت بها ضدي، أنتِ غير قادرة أبدا على أن تعذبي مخلوقة لم تفعل ضدك شيئا في حياتها غير أن تشعر بما شعرت أنت به. لكني أحب فيك هذه الغضبة.

الليدي (بعد أن هدأت ثائرتها قليلا) أين أنا؟ ماذا قلت؟ عماذا أفصحت؟ لمن كشفت عن نفسي؟ يا لويزة! أيتها الروح النبيلة، الكبيرة، الإلهية! اغفري لمجنونة. لن أنتزع شعرة واحدة من فوق رأسك، يا ابنتي. تمني، اطلبي، أريد أن أحملك بين ذراعيّ، أن أكون صديقتك، أن أكون قلبك. أنتِ مسكينة. انظري (تنتزع بعض ماساتها): أريد أن أبيع هذه الحُلي، أريد أن أبيع خيولي، وعرباتي، وفساتيني، وليكن لك كل شيء، لكن تخلي عنه*

لويزة (تتراجع مندهشة) هل هي تسخر من يأسي، أو هي حقا لم تشارك في أية فظاعة وحشية؟ وهكذا أستطيع أن أظهر بمظهر البطلة، وأن يكون لي شرف التضحية، الآن وقد جردت هكذا! (تبقى لحظة في تفكير، ثم تقترب من الليدي، وتمسك يدها وتتأملها بسيماء معبرة) خذيه** إذن ياسيدتي إني أتنازل لك بحرية عن رجل قد انتزعته من قلبي الدامي بكماشات الجحيم. ربما لا تعرفين

---

* الإشارة هي دائما إلى فردنيند.

** الضمير يعود إلى فردنيند.

ذلك، يـاسيدتي، لكنـك سرقت السماء مـن عاشقين، وفصلت بين قلبين ربط الله بينهما، لقـد سحقت مخلوقة أحبته مثلـك أنت، وأودعت فيـه سرورها مثلـك أنت، وقـدرتـه مثلـك أنـت. لــن تستطيـع بعـد أن تملكـه. ياسيـدتي، إن التشنج الشديـد للدودة التي ديـس عليها باحترام ترتفع إلى مسامـع العلي القدير، وهو لا يمكن أن يكون غير مكترث بتدمير النفوس التي سواها بيده. الآن هـو لك أنـت، الآن، ياسيـدتي، خـذيه، واجـري بين ذراعيـه، اقتـــاديه إلى المذبـح، لكـن لا تنسي أنه عنـد القبلة سينقض بينكما شبح منتحرة. سيكون الله رحيما، ولا ملاذ لي غيره.

(تخرج باندفاع)

المنظر الثامن

الليدي وحدها

الليدي (تبقى مرتجفة خارجـة عن طورها، عيناهـا محدقتـان في الباب الـذي خرجت منـه لويزة ملـر، وأخيرا تستيقظ من ذهولها) ما هذا؟ ماذا حـدث؟ ماذا قالت المسكينة؟ يـا للسماء! إنها لا تـزال تـدوّي في أذني هـذه الكلمات الرهيبة التي تمزق القلوب: «خذيه!» ماذا أيتها البائسة؟ هبة سكرات موت، الوصية الرهيبة. . ليأسك؟ يا إلهي! يا إلهي! هـل سقطت أنا إلى هـذا العمق؟ هـل سقطت حقا من عرش كبريائي إلى درجة أنني صرت أنتظر بشهوة أن تلقـي بي شحـاذة بـائسـة في آخـر سكـرات الموت؟ «خذيه» بأية نبرة قالت هذه الكلمة لي! وبأية نظرة! آه يا إميليا! أمن أجل هذا اجتزت حدود جنسك؟ أيليق هذا بانتمائك إلى الاسـم الفخم للإنجليـزية العظيمـة، ومن أجـل أن ينهـار الصرح الفخـم لمجـدك أمـام الفضيلـة السامية لبرجوازية صغيرة بدون تربية؟ كلا، أيتها البائسة المتكبرة! يمكن إخجـال إميليا ملفـورد، لكن لا يمكـن تحقيرها. وأنا أيضا عنـدي القدرة على التخلي والعزوف. (تغدو وتروح بخطوات جليلـة) اختفي الآن، أيتها المرأة الرقيقة المتألمة! اختفي أيتهـا الرؤى الحلوة، أحلام الحب

الذهبيـة. . ولتكن عظمـة النفس هـي الآن مرشـدي.
هذان العـاشقان قضي عليهما، أو ينبغـي على ملفورد أن تتخلى عن ادعاءاتها وأن تنطفىء في قلـب الدوق. (بعد وقفة، بحـرارة تقول:) تم الأمر، ازيحت العقبـة المروّعة! كـل الروابـط بينـي وبين الـدوق قد قطعـت هـذا الحب العـرم، قـد انتـزع مـن قلبـي. إننـي ألقـي بنفسي بين ذراعيك، أيتها الفضيلـة! تقبليها. هذه البنت التـائبة: إميليا! آه! كـم أشعر بـالراحـة! كم أشعـر فجأة بـأنني خفيفـة مـرفـوعـة! عظيمــة مثـل شمـس تسقـط مـن السمـوات، أريـد اليـوم أن أهبـط مـن ذروة سعـادتي.
وكتمت عظمتـي مع حبي، وليصحبني قلبـي وحده إلى منفاي (تـذهب، بعزم، إلى منضـدة للكتابـة). لابد أن يحدث هذا في هـذه اللحظة عينها، فـورا، قبل أن يجدد سحر هذا الشاب المعبود النضال الدامي في قلبي.

(تجلس وتشرع في الكتابة)

المنظر التاسع

(الليدي، خادم، صوفي، وبعد ذلك مدير البلاط، وأخيرا خدم)

خادم : سيادة المدير فون كلب موجود في غرفة الانتظار، وهو يحمل رسالة من الدوق.

الليدي : (وهي منهمكة في الكتابة)العروسة الدمية الأميرية سترنح! حقا! إن الفكرة* مضحكة فعلا أن تشتت جمجمة صاحب السيادة على هذا النحو. إن رجال الحاشية سيدورون في دوقياته، والبلاد كلها ستصير في غليان.

الخادم وصوفي مدير البلاط، ياسيدتي!

الليدي (تتلفت حولها) مَنْ؟ ماذا؟ هذا أحسن! إن هذا النوع من المخلوقات خلق لحمل الزكائب** في هذه الدنيا. إنه يفيدني الآن، فمرحبا به.

(الخادم يذهب)

صوفي (تقترب وهي في قلق) لولا خوفي، ياسيدتي. لكان من التجاسر الوقح***.

---

* وهي أن عليها أن تتخلى عن الأمير.

** أي أنه مثل الحمار.

*** أن أسألك ماذا تنوين.

(الليـدي تستمـر في الكتـابة بحميـة). إن الآنسـة ملـر اندفعـت خارج طـورها، خـلال قاعـة الانتظار. أنـت محمومة. أنت تتكلمين مـع نفسك (الليدي تستمر دائما في الكتابة) إني أرتعش ماذا عسى أن يكون قد حدث؟

مدير البلاط يدخل، ينحني آلاف الانحناءات، خلف ظهر الليـدي، ولما كانت لم تنتبـه إليه، فـإنه يقترب، ويقف خلف كرسيهـا، ويحاول الإمساك بطرف ثوبها ويطبع فيه قبلـة، ثم يقول بصوت خـائف: صاحب السمو. . .

الليدي (تـرش رملا على الـورق وتتصفح مـا كتبت) سيتهمنـي بأبشع ألوان نكران الجميل. كنت مهجورة، وهو انتزعني من البؤس. من البؤس! يـا لها من صفقة خسيسة! مزق حسـابك، أيها المغـرر! إن عاري الأبـدي سيـدفع ثمـن ذلك.

مدير البلاط (بعدما دار حول الليدي عبثا) تبدو سيدتي ساهية بعض السهـو. ينبغـي عليّ أن أتجاسر(بصــوت عـال جـدا)، صاحب السمو، يا سيدتي، أرسلنـي كي أسألك هل في هذا المساء سيكون هناك فوكسهول* أو كوميديا ألمانية.

الليدي (تقف وهي تضحك) أيهما كان، يـاعزيزي! واحمل هذه

---

* Vauxhall: حفلة ترفيهية في الحديقة، وتجرى في المساء. والاسم جاء مـن اسم قرية بنواحي لندن كان فيهـا يجرى هذا النـوع من الحفلات في حـدائق في المدة من سنـة ١٦٦٠ واستمرت حتـى سنة ١٨٣٥ . وفي ألمانيا كان هذا اللفظ يدل على حفلات راقصة، وكانت هذه شائعة.

الـرسالـة إلى سيدك الـدوق ليتخذ منـه حلوى (مخاطبـة صوفي) وأنت ياصوفي، مـري بتجهيز العربة، وليتجمع كل رجالي في هذا الصالون.

صوفي (تخرج وهي في غاية الفزع) يا للسماء! ما معنى هذا كله؟ إلى ماذا سيؤول كل هذا؟

مدير البلاط وهل أنت مهتاجه، ياسيدتي؟

الليدي هيا، يـا مدير البـلاط، هاهـو ذا مكان قد خـلا. هذه فرصة جيدة للقوادين! (مدير البلاط يلقي نظرة قلقة على الرسالة). اقرأها، اقرأها! أود ألا يبقى مضمونها محصورا بين أربع عيون.

مدير البلاط (يقـرأ، وفي هـذه الأثنـاء رجـال الليـدي يـدخلـون ويصطفـون في زاوية مـن الصـالـون).. «ياصـاحـب السمو! إن عقدا قـد فسخته أنت بكل سهـولة لا يمكن بعد أن يربطني. إن سعادة بـلادك كانت الشرط لحبي. وقد استمر الخطأ ثلاث سنوات. لقـد سقط الرباط عن عيني. إني أكره علائم النعمـة التي روتها دموع رعيتك. هذا الحب، الذي لم يعـد في طاقتي أن أشعر بـه نحوك، اشمـل به وطنـك البـائس، وتعلـم من أميرة إنجليـزيـة التعاطف مع بـلايا شعب ألماني. بعد ساعة سـأكون قد اجتزت الحد ود.»

حنةنورفولك*

* توقع هنا باسمها الحقيقي، وليس باسمها المستعار وهو: إميليا ملفورد.

الخدم : (يكررون بصوت خافت، مع دهشة) اجتزت الحدود؟

مدير البلاط (مرتاعا، يضع الرسالة على المنضدة) اللهم احفظنا، ياسيدتي العزيزة! إن حامل الرسالة وكاتبتها يمكن أن يخاطرا بغرقهما!

الليدي هذا يقلقك، أيها الرجل الممتاز! يُخشى أنك أنت وأمثالك سيختنقون، لمجرد رواية ما فعله شخص آخر. من رأيي أن توضع الرسالة في فطيرة، حتى يجدها سموه على صحنه.

مدير البلاط يا للسماء! أي تهور! هل فكرت جيدا فيما ستقعين فيه من محنة، ياسيدتي؟

الليدي (تلتفت إلى رجالها وتقول لهم بانفعال شديد) أنتم مذهولون، يا أصحابي الطيبين، أنتم تنتظرون بقلق مفتاح هذا اللغز: لقد خدمتموني بحماسة وأمانة، ونشدتم المكافأة من عيوني أو من كيس نقودي، وطاعتكم كانت عن عاطفة: ورضاي كان مصدر فخار لكم، إن ذكرى إخلاصكم ستقترن -ويا للأسف- بفكرة انحطاطي. إن المصير قد جعل من أيام هنائكم أبأس أيامي. (تغرورق عيناها بالدموع). أنا أترككم، يا أولادي. إن ليدي ملفورد قد انتهت، وحنه نورفولك أفقر من أن تستطيع تسديد ديونها. وكاتب حساباتي سيوزع بينكم صندوقي. إن هذا القصر ملك للدوق.

وأفقر فرد بينكم سيخرج من هنا أغنى من سيدته (تمد إليهم يدها، والجميع يقبلون يدها بانفعال). أنا أفهمكم يا أصحابي الطيبين. وداعا! وداعا إلى الأبد! (تخنق زفراتها). إني أسمع صوت العربة (تتخلص وتريد الخروج، مدير البلاط يضع نفسه أمامها) أيها المسكين، ألا تزال هاهنا.

مدير البلاط (وكان طوال هذا الوقت يحدّق في الرسالة وعليه سيماء الانهيار) وهل يجب عليّ أن أضع هذه الرسالة في اليد السامية لصاحب السمو.

الليدي أيها الرجل المسكين! نعم، في يده السامية، وستقول لأذنيه الساميتين إنني لما كنت لا أستطيع الذهاب ماشية بقدمين عاريتين للحج إلى كنيسة نوتردام دي لورت*، فإنني سأشتغل بالأجر اليومي من أجل أن أغسل عارا، كوني كنت أتحكم فيه. (تخرج، الآخرون يتفرقون، والكل في تأثر بالغ).

* كانت لورت مقصدا للحج، وتقع بالقرب من مدينة أنكونا. وكان الحج إليها للتكفير عن خطيئة كبيرة، ويتم بالسير على أقدام عارية.

الفصل الخامس

المنظر الأول

غرفة عازف الموسيقى. الوقت ليل

لويزة وملر

(لويـزة جالسة في ركـن مظلم من الغـرفة، لا تنطق ولا تتحـرك، ورأسها مستند إلى يدها. بعد صمت طويل. يدخل ملر ومعه مصباح ثقيل، ويتطلع بقلق في كـل نواحـي الغرفـة دون أن يلمح لـويزة، يضـع المصباح بعـد ذلك والقبعة على منضدة)

ملر إنها ليست هـاهنا أيضا، ليسـت هاهنا! لقـد تجولت في كل الشوارع، وذهبت إلى كل المعارف، وسألت عند كل الأبواب. لم يشاهد أحد ابنتي المسكينة في أي مكان.

(بعد لحظة صمت) صبرا أيها الأب المسكين! انتظر حتى صباح الغد. ربما وجدوا حينئذ كنزك الوحيد طافيا قرب الساحل. يا إلهي! يا إلهي! هـل تعلق قلبي بهذه البنت أكثر مما تريد؟ إن العقاب يبـدو قاسـيا، قاسـيا جدا. يا أيها الأب القدير.

(يرتمي يائسا على كرسي)

لويزة (دون أن تتحرك من مكانها) أحسنت، أيها الشيخ المسكين! تعوّد في الوقت الحالي على أن تفقد ماهو أكثر.

ملر (يقفز نحوها) أنتِ هاهنا، يابنتي. أأنت هنا؟ لكن لماذا تجلسين وحدك بدون نور؟

لويزة لست وحدي، حينما يكون كل شيء حولي مظلما، فإني أستقبل أحسن زواري.

ملر كان الله في عونك! الدودة القارضة للضمير هي وحدها التي تسهر على طيور الليل، وليس إلا الخطيئة وروح الشر هما اللتان تهربان من النور.

لويزة إن الأبدية أيضا، يا أبي، تتحدث إلى الأرواح في الوحدة.

ملر يا ابنتي، يا ابنتي! ما هذه الأقوال؟

لويزة (تقف وتتقدم نحوه) إنني خضت معركة قاسية، كما تعرف، يا أبي. والله وهبني القوة، وقد انتهت المعركة يا أبي! من المعتاد أن يوصف جنسي بأنه الجنس الضعيف الهش، لكن لا تصدق هذا. إن عنكبوتة تجعلنا نرتعد، لكننا نضغط برقة بين أذرعنا على الشبح الأسود للتدمير. نبأ سار يا أبي، إن ابنتك لويزة مسرورة.

ملر اسمعي، يا ابنتي! أريد أن أسمعك تنتحبين، فهذا يرضيني أكثر.

لويزة كم سأخدعه*، يا أبي! كم سأخدع الطاغية! إن الحب أبرع من الفساد، وأكثر منه جسارة. إنه لا يعلم هذا، هذا الرجل ذو الحبل المنحوس. أوه! إنهم بارعون جدا حين يتعلق الأمر بالرأس (العقل)، لكن متى ما تعلق الأمر بالقلب فإن الأشرار يصيرون أغبياء. لقد ظن أنه بقسم، قد قهر خداعه! إن القسم، يا أبي، يربط الأحياء، لكن السلاسل الحديدية التي للوعد المقدس تحطمت بالموت. فردنيند سيعرف لويزته؟ هل تتفضل بحمل هذه الرسالة، يا أبي؟ هل تتفضل عليّ بهذا؟

ملر إلى مَنْ، يا ابنتي؟

لويزة سؤال غريب! إن اللامتناهي وقلبي ليس بينهما مكان كاف لاحتواء فكرة أخرى غيره هو. وإلى من عساني أن أكتب إن لم يكن إليه هو؟

ملر (بقلق) اسمعي، يا لويزة: سأفتح هذه الرسالة.

لويزة كما تريد، يا أبي، لكنك لن تعرف منها شيئا، أن هذه الأسطر ليست مكونة إلا من حروف ميتة، إنها ليست حية إلا في عين الحب.

ملر (وهو يقرأ) «أنت خُنت، يا فردنيند. إن خديعة لا نظير لها قد حطمت الرابطة التي تربط بين قلبينا، إن قسما رهيبا قد عقد لساني، وأبوك له جواسيس في كل مكان. ومع ذلك، فإن كنت شجاعا، يا حبيبي، فإني أعرف

---

* أو: سأخونه . . . سأخون الطاغية.

مكانا لم يعد يقيدني فيه أي قسم، ولا ينفذ إليه أي جاسوس».

(ملر يتوقف ويتطلع في ابنته وهو حزين)

لويزة — لماذا تتطلع فيّ هكذا؟ اقرأ كل شيء، يا أبي.

ملر — «لكن إذا كانت لديك الشجاعة للانخراط في طريق مظلم، لا يضيء لك فيه إلا لويزتك، وفيه تكون حبا خالصا، تاركا وراءك كل آمالك، وكل رغباتك الصاخبة، ولا يكون فيه شيء ضروري عندك إلا قلبك، إذا أردت ذلك، فاسلك في الطريق حينما تدق ساعة كنيسة الكرمليات منتصف الليل. لكن إذا كانت هذه الفكرة تفزعك، فإن الوصف بـ «قوي» لا تناسب جنسك، لأن فتاة قد أذلتك» (ملر يدع الرسالة تسقط من يده، وينظر أمامه طويلا بعين ثابتة متألمة، وأخيرا يلتفت إليها، ويقول بصوت متقطع): وهذا المكان، يا ابنتي؟

لويزة — ألا تعرفه يا أبي أصحيح حقا أنك لا تعرفه، هذا أمر غريب، إن هذا المكان مرسوم بوضوح كاف للعثور عليه. إن فردنيند سيعثر عليه.

ملر — وا أسفاه! تكلمي بوضوح.

لويزة — لا أستطيع أن أسميه باسم سارّ. لا تفزع، إن أطلقت عليه اسما كريها. هذا المكان... آه! لماذا ليس الحب هو الذي اختار اسمه؛ إذن لكان قد سماه باسم أجمل.

هذا المكان، يا أبي العزيز. . . دعني أتم. . هذا المكان هو القبر.

ملر (ينهار فوق كرسي) يا إلهي!

لويزة (تذهب إليه وتسنده) لا، يا أبي، إنه الخوف فقط هو الذي يرتبط بهذه الكلمة. تعلم كيف تزيح هذا الانطباع، هنالك ترى أنه فراش الزواج، حيث ينشر الفجر غلائله الرهيبة، وينشر الربيع باقاته العطرة، الخاطىء وحده، في ساعة النزع الأخير هو الذي استطاع أن يسمي الموت: هيكلا عظيما. إن الموت طفل لطيف عذب، ذو لون وردي، مثلما يرسم إله الحب، لكنه أقل خداعا وخيانة. إنه جني رقيق وخدوم، يقدم إلى النفس المتعبة يد المعونة ابتغاء صعود درجات الزمان، ويفتح لها باب المجد الأبدي، ويحييها بمودة، ثم يختفي.

ملر فيم تفكرين يا ابنتي؟ هل تريدين أن تنتحري؟

لويزة لا تسمي هذا هكذا يا أبي. هل ترك مجتمع لا ينظر إلي فيه بنظرة حسنة، والقفز إلى مكان لا أستطيع الإفلات منه، هل هذا خطيئة؟

ملر يا ابنتي، ليس هناك ماهو أشد ترويعا من الانتحار. إنه الأمر الوحيد الذي لا يستطيع الإنسان أن يتوب عنه، إذ فيه يقترن الموت بالجريمة.

لويزة هذا مخيف! لكن هذا لن يتم بسرعة. سألقي بنفسي في النهر، يا أبي، وأثناء سقوطي سأدعو رحمة الله العليّ القدير.

ملر أنت على هـذا النحو تريديـن أن تتوبي عن السرقـة حالما تضعين ناتج السرقة في مكان أمين. يـا ابنتي، يا ابنتي! احذري مـن السخرية بـالله، وأنت في أشـد الحاجة إلى إحسانه. أوه! لقـد ذهبت بعيدا جدا! لقد تـوقفت عن الصلاة، والرحيم سحب يده عنك.

لويزة هل الحب إذن جريمة، يا أبي؟

ملر : لو كنـت تحبين الله، فإن حبك لـن يذهب أبـدا إلى حد ارتكاب جريمة. أنت حنيتنـي إلى أسفل جدا، يا ابنتي الـوحيـدة! إلى أسفـل، إلى أسفـل جـدا، ربما حتـى إلى أعماق القبر بيد أني لا أريد أن أرهق قلبك أكثر من هذا. يا ابنتي! لقد تكلمت منذ قليـل، وقد ظننت أنني كنت وحـدي. لكنـك سمعتنـي، ولماذا يجب عليّ أن أخفـي عليـك الأمـر بعد؟ لقد كـنت معبـودتي. اسمعي، يا لويزة، إذا كان لا يـزال في قلبك مكان لعواطف أب. لقد كنـت بالنسبة إليّ كـل شيء. والآن ليس مالـك هو الذي تبـددينه، بـل أنا أيضـا سأخسر كـل شيء. أنت ترين أن شعري بدأ في التلون بالبياض. إنه يعلن لي شيئا فشيئا قرب ذلك الوقت الـذي فيه نقطف، نحن الآباء، رأس المال الذي استثمرناه في قلوب أبنـائنا. أتريدين أن تحرميني منه، يا لـويزة؟ أتريدين أن تفرّى حـاملة معك من هنا كل الثروة وأموال أبيك؟

لويزة (تقبّل يده وهي في أشد الانفعال والتأثر) كلا، يا أبي! إني أخرج من هذه الد نيا حاملة دينا هائلا نحوك، وسأدفعه مضاعفا في الأبدية.

ملر احذري أن تخطئي الحساب، يا ابنتي! (بلهجة ملؤها الجد والصرامة): هل سنلتقي في هذا المكان الآخر؟ انظري كم أنت تشحبين! إن ابنتي لويزة تفهم هي نفسها أنني لن أستطيع أن أصل إليها في ذلك العالم الآخر، لأنني لن ألقي بنفسي فيه عاجلا مثلها. (لويزة تلقي بنفسها بين ذراعيه، وقد استولت عليها القشعريرة - يضمها بحرارة إلى صدره، ويستمر بصوت ضارع:) أوه! يا ابنتي يا ابنتي! ابنته سقطت، وربما قضي عليها! زني في قلبك كلمات أبيك المليئة بالجد. إنني لا أستطيع السهر عليك. في استطاعتي أن أنتزع منك السكاكين، لكنك تستطيعين أن تقتلي نفسك بإبرة التريكو. وفي وسعي أن أحرسك من السم، لكنك تستطيعين أن تخنقي نفسك بعقد من اللؤلؤ يا لويزة، يا لويزة! لا أملك إلا أن أحذّرك. أو تريدين أن تخاطري برؤية وهمك الغدار يهرب بعيدا، في هذه النقطة الرهيبة التي تربط الزمان بالأبدية، أتريدين أن تخاطري بنفسك أمام عرش من يعلم كل شيء بواسطة هذه الأكذوبة. «من أجلك أتيت هاهنا» بينما عيناك الآثمتان تبحثان عن معبودهما الفاني؟ وإذا كذّب هذا الإله الهش الموجود في مخك، إبان لحظة القلق، ثقتك الفاسقة، والتوى عند أقدام حاكمك، وأرسل آمالك المخدوعة إلى الرحمة

الأبـدية التـي لا يكـاد هـذا البائس أن يجتـذبها لخلاص نفسه. فماذا سيكون حينئذ؟ (بتعبير أقوى وصوت أعلى، مـاذا سيكـون، أيتهـا الشقيـة (يمسـك بها بقـوة أكبر، ويتطلع فيهـا لبعض الـوقت بعيـن ثابتـة نفـاذة، ثم يتركها فجأة) إنني لم أعد مسئولا عن هذه الروح، يا إلهي يـا أحكم الحاكمين! افعلي مـا شئـت. قـدّمي تضحيـة سيتقبلها جنيك الشرير بصيحـات الفرح وتجعل جنيك الطيب يرتد فزعا. اذهبي! ارحلي! احملي على كاهلك كل خطاياك، دون أن تنسي هذه وهي آخرها وأبشعها جميعا، وإذا كان الحمل لا يزال خفيفا فلتزده لعنتي ثقلا. هاهي ذي سكين، فشقي قلبـك بها (يتنهد ويريـد أن يقفز إلى الخارج) وقلب أبيك!

لويزة (تندفع وراءه) تـوقف أبي! توقف! إن الحنان قـاهر أشد وحشية من غضب الطغـاة، ! ماذا ينبغي عليّ أن أفعل؟ لا أستطيع. ماذا ينبغي عليّ أن أفعل؟

ملر إذا كانـت قبلات صاحبك الـرائد أشد حرارة مـن دموع أبيك، فموتي!

لويزة (بعد معـركة قـاسية مع نفسهـا، تقول بحـزم) أبي! هذه يدي! أريد، يـا إلهي، يا إلهي، ماذا أفعل؟ مـاذا أريد؟ أبي، إني أقسم، ويلي! الويـل! أنا مجرمة. إلى أية نـاحية التفت! أبي، ليكن! فردنيند يـا الله يرى من عليائه؟ إني أقضي هكذا على آخر ذكراه [تمزق الرسالة].

ملر (يرتمي على عنقها وهو سكــــران من الفرح) هكذا هو يا ابنتي! ارفعي عينيك! أنت تحرمين نفسك من عاشق، لكنك تردين السعادة إلى أبيك (يعانقها ضاحكا باكيا في نفس الوقت). طفلتي، طفلتي التي لم أستخفها بحياتي! الله يعلم كيف أن رجلا هو لا شيء مثلي أنا قد استطاع أن يكون له مثل هذا الملك! يالويزتي، يا جنتي، يا إلهي! إني لا أفهم كثيرا في الحب، لكنني أعلم أن الكف عن الحب عذاب. أوه! هذا أمر لا أزال أفهمه.

لويزة لكن نترك هذه البلاد، يا أبي! نترك هذه المدينة التي فيها تسخر صواحبي مني، وفيها ضاعت سمعتي الشريفة إلى الأبد. لنهرب بعيدا، بعيدا جدا عن هذا المكان حيث كثير من بقايا السعادة المفقودة يتحدث إلى قلبي. أوه! بعيدا عن هنا، متى كان ذلك ممكنا.

ملر حينما تريدين، يا ابنتي. إن خبز الله رحيم ينبت في كل مكان، وسيجعلني أجد آذانا صاغية إلى كمنجتي. نعم! حينما نفقد كل شيء، سألحن على القيثارة قصة مأساتك، وسأتغنى بشكاة البنت التي مزقت قلبها ابتغاء إرضاء أبيها. سنتسول من باب إلى باب، بهذه القصيدة، وستكون الصدقة عذبة من يد أولئك الذين سيبكون لدى سماعها.

المنظر الثاني

فردنيند، وملر، ولويزة

لويزة (تلمحه أولا، وتلقي بنفسها على رقبة ملر وهي تصيح صيحة عالية) يا إلهي! هاهو ذا! لقد ضعت.

ملر أين؟ منْ؟

لويزة (تشير إلى الرائد بيدها، وقد أشاحت بوجهها، وتلتصق بأبيها أكثر فأكثر) هو! هو بنفسه! ما عليك إلا أن تلتفت بعينيك، يا أبي. إنه هنا كي يقتلني!

ملر (يلمحه ويتراجع بشدة) ماذا؟ أنت هنا، ياباورن!

فردنيند (يقترب ببطء، ويتوقف أمام لويزة، ويحدق فيها بنظرة فاحصة. بعد لحظة) ياصرخة الضمير المضطرب! إني أشكر لك. إن اعترافك مخيف، لكنه حاسم، وهو ينجيني من كثير من ألوان العذاب... مساء الخير، ياملر!

ملر لكن، بحق السماء ماذا تريد، ياباورن؟ ماذا ساقك إلى هنا! ولماذا تفاجئنا على هذا النحو؟

فردنيند: لقد عرفت زمانا كانت تعد فيه كل دقائق اليوم، وفيه

كانت الحماسة لرؤيتي تجعل السير البطيء لعقارب الساعة يسرع، وحيث كان فيه يترصد النبض المعلن عن وصولي، فكيف تأتّى الآن أن زيارتي تدهشكما؟

ملر اخرج يا بارون، اخرج، إن كان قد بقي في قلبك شرارة من الإنسانية، وإن كنت لا تريد أن تذبح تلك التي تدعي أنك تحبها. اهرب، لاتمكث لحظة واحدة هنا. إن البركة قد هربت من بيتي منذ اللحظة التي وضعت قدمك فيه لقد جلبت الشقاء إلى بيتي بينما كان الرضا يسود فيه من قبل. ألست راضيا بعد؟ أتريد إذن أن تمزق الجراح، التي جلبها سوء الحظ من جراء معرفتك إلى قلب ابنتي الوحيدة؟

فردنيند أيها الأب الممتاز، إني قدمت الآن لأقدم خبرا طيبا إلى ابنتك.

ملر : آمال جديدة، ويأس جديد. اهرب، يارسول الشقاء، وجهك يسيء إلى بضاعتك.

فردنيند أخيرا أشاهد أمام عينيّ نهاية أمانيّ. إن ليدي ملفورد، أبشع عقبة أمام حبنا، قد هربت الآن من هذه البلاد، وأبي يوافق على اختياري، والقدر توقف عن اضطهادي، وطوالع أسعد ترعانا. لقد أتيت لتنفيذ وعدي واقتياد عروستي إلى المذبح*.

---

* أي للزفاف في الكنيسة.

ملر أسمعتِـه، يا ابنتـي، أسمعتِه وهـو يلعـب لعبة الآمـال المخدوعة؟ آه! حقا يا بـارون! ليس جميلا أن يُرى المغّرر يأتي أيضا ليتسلى بجريمته.

فردنيند أتظن أننـي أمزح؟ كلا، وشرفي! كـلامي صـادق، مثل حب لويزة، سأنفذ ما تعهدت به بكل صدق مثلما تنفذ هي ما أقسمت به. إني لا أرى أمرا أكبر قداسة من هذا. ألا تـزال تشـك؟ إني لا أرى بعد الحمـرة تلـوّن خـديّ زوجتي الفاتنة: هذا أمر غـريب. يبدو أن الكذب هو العملة المستعملة هنا، وأن الصـدق لا ينفق هنا. أنت لا تثق بكـلامي! ربما تصـدق هذه الشهـادة المكتوبـة! (يلقي إلى لويزة بالرسالة الموجهة إلى مدير البلاط، لويزة تفتحها ويغمى عليها).

ملر (دون أن يلتفت إلى لويـزة) مامعنى هذا، يـا بارون؟ إني لا أفهمك.

فردنيند (مشيرا إلى لويزة) هذه فهمت أحسن.

ملر (يسقط بالقرب من لويزة) يا إلهي! ابنتي!

فردنيند شاحبـة مثل الموت! الآن ابنتـك تسرني، لم أرها مـن قبل جميلة هكذا، هـذه البنت التقية الشريفة، إن نفخـة يوم الحساب، التي ستذرو دهان كل الأكاذيب، قد بددت هذا التمويـه للفضيلة المصطنعة التي كـان من شأنها أن تخدع حتى مـلائكة النـور. إنه وجـهها بكل جمالـه، إنه وجهها الحقيقي، أريد أن أغمره بالقبلات.

(يتقدم نحوها)

ملر اذهب، اذهب! أيها الفتى، لا تهاجم قلب أب، إني لم أستطع حمايتهامن ملاطفاتك، لكنني سأحميها من إهاناتك.

فردنيند ماذا تريد، أيهاالشيخ العجوز؟ إني لا شأن لي معك. لا تحشر نفسك في لعبة الدورفيها خاسر. ربما تعرف منها ما لم أعتقده أنا؟ هل أقرضت حكمة سنواتك الستين إلى المغامرات الغرامية لابنتك، وهل دنست هذا الشعر الأبيض المحترم بأن قمت بمهنة القواد؟ إذا لم يكن هذا هو ما حدث، أيها العجوز البائس، فارقد هناك، ومت، فلا يزال هناك وقت وفي وسعك بعد أن تنام وأن تحلم حلما لذيذا، وأنت تقول: لقد كنت أبا سعيدا. وبعد ذلك بلحظة، سيكون عليك أن تنبذ الأفعى* السامة في وطنها الجهنمي، وسيكون عليك أن تلعن الهدية التي تلقيتها ومَنْ صنعها، وستنزل إلى القبر وأنت تجدّف على الألوهية. (مخاطبا لويزة) تكلمي، أيتها الشقية، هل كتبت هذه الرسالة؟

ملر (مخاطبا لويزة) بحق السماء يا ابنتي! لا تنسي، لا تنسي..

لويزة أوه! هذه الرسالة، يا أبي!...

---

* يقصد لويزة.

فردنيند آه! لو كانت سقطت في أيد شريرة! . . . شكرا للصدفة، إنها فعلت أحسن من أكثر العقول حكمة، وصنعت أحسن مما تصنع حكمة أبرع البارعين. الصدفة، أقول؟ آه، إذاكانت العناية الإلهية هناك حين يسقط طائر، فلماذا لا تكون هي التي كشفت عن روح الجحيم؟ هل تجيبين؟من كتب هذه الرسالة؟

ملر (يخاطب لويزة بلهجة ضارعة) كوني ثابتة، يا ابنتي، قولي فقط: نعم، وينتهي كل شيء.

فردنيند هذا مضحك، مضحك جدا! الأب هو الآخر كان مخدوعا، الكل مخدوعون! وانظر إلى سيماء هذه الفاسقة: فمها نفسه يأبى أن يطيعها لتتفوه بهذه الكذبة الأخيرة اقسمي بإلهك، اقسمي بالحقيقة الأبدية: هل كتبت هذه الرسالة؟

لويزة (بعد معركة أليمة مع نفسها، كانت نظرات أبيها تسندها فيها، تجيب بثبات وتوكيد)نعم أنا التي كتبتها.

فردنيند (يظل متجمدا من الفزع): لويزة! كلا، أحلف بنفسي، أنت تكذبين. أو لاتعترف البراءة، وهي على منصة المشنقة بالجريمة التي لم ترتكبها؟ لقد طالبتك بكثير من العنف، أليس كذلك يالويزة؟ إنك لم تعترفي إلا بسبب عنفي؟

لويزة إني اعترفت بما هو حق.

فردنيند كلا، أقول لك، كلا، كلا، أنتِ لم تكتبيها هذا ليس خطك. وحتى لو كان خطك، فهل تزييف الخطوط أسهل من إفساد القلوب؟ قولي لي الحقيقة؟ أولا تفعلي ذلك. ما عليك إلا أن تقولي نعم، وسأضيع أنا. كذبة، يا لويزة، كذبة! أوه! لو تخيلت الآن كذبة، وقلبتها بهذه السيماء الملائكية، الصريحة، ولو أقنعت فقط أذني وعينيّ، حتى لو اضطررت إلى خداع هذا القلب على أبشع نحو. أوه! يا لويزة! لتخرج حينئذ على صوتك، إني موافق على هذا، كل حقيقة من الخليقة، وليخضع الحق الصحيح رأسها الشامخ لانحناءات رجال البلاط المتملقين (بصوت حيّ مرتجف) هل كتبت هذه الرسالة؟

لويزة قسما بالله واسم الله الرهيب، إله الحق: نعم!

فردنيند (بعد وقفة، وبتعبير ينم عن أشد التألم) يا امرأة! يا امرأة! هذا الوجه الذي أمامي الآن يضيف إلى فتنته سعادة الفردوس، وحتى في ملكوت الجحيم لن يجد له مشتريا. أتعلمين ماذا كنت بالنسبة إليّ، يا لويزة؟ هذا مستحيل، كلا، أنتِ لا تعلمين أنك كنت كل شيء بالنسبة إليّ «كل شيء» ماهذه إلا كلمة، كلمة بائسة، لكن الأبدية يصعب عليها أن تحتويها، إنها تشتمل في داخلها على عوالم! «كل شيء»! وكان في استطاعتك أن تنعمي بها على هذا النحو الإجرامي؟ أوه! هذا رهيب.

لويزة : هذا هو إقـراري، ياسيد فون فالتر، وأنـا قد أدنت نفسي بنفسي. فاذهب إذن، واترك بيتاكنت فيه بائسا هكذا.

فردنيند هذا حســن، هذا حسن، أنـا هادئ تمامـا! هادئ! ألا توصـف بهذا الوصف البـلاد التي أبـادها الطاعـون؟ أنا هادئ. (بعـد لحظة مـن التفكير) رجاء آخـر، يا لـويزة! رجـاء هو الأخير! إن رأسي مشتعـل مـن الحمى، أنـا في حـاجـة إلى الانتعـاش، هـل تتفضلين عليّ بكـوب مـن عصير الليمون؟

(لويزة تخرج)

المنظر الثالث

فردنيند وملر

(كلاهما يتجول في الغرفة. وأخيرا يتوقف ملر، وبعد أن يتطلع في الرائد بحزن، يخاطبه فيقول:)

ملر ياعزيزي البارون! إذا كان هذا يخفف من حزنك فإني أقول لك إنني أرثي لك من أعماق فؤادي.

فردنيند هذا حسن، يامل. (يخطو بضع خطوات) يصعب عليّ أن أتذكر كيف أتيت عندك. بأية مناسبة كان ذلك؟

ملر بأية مناسبة، ياسيدي الرائد؟ أنت قد أردت تلقي بعض دروس في العزف على الفلوت. ألا تتذكر ذلك؟

فردنيند (فجأة) ورأيت ابنتك (ثم لحظة صمت). إنك لم تنفذ وعدك، يا صديقي، وكان عليك أن تمنحني السكون في ساعات الوحدة وأنت خدعتني، أنت بعت لي عقارب (يلاحظ تأثر ملر). كلا، لا تنزعج، أيها الشيخ العجوز، (يعانقه) أنت لم ترتكب ذنبا.

ملر (ماسحا عينيه) هذا أمر يعلمه الله العليم بكل شيء.

فردنيند (متجولا في الغرفة وهو مستغرق في تأملات كئيبة) كم هي غريبة، وكم هي غير قابلة للتصور الكيفية التي بها يتصرف فينا! وبحبال دقيقة غير ملاحظة كثيرا ما تتعلق أثقال رهيبة. هل عرف الإنسان أنه لابد له أن يأكل الموت مع هذه التفاحة* هل عرف ذلك؟ (يتحول بعنف أكبر رائحا غاديا، ثم يمسك بيد ملر بحركة قوية أيها الرجل! إني أدفع لك عن القليل من الدروس في عزف الفلوت شيئا غاليا جدا، وأنت لا تكسب مع ذلك شيئا، بل بالعكس أنت تخسر، وربما تخسر كل شيء (يذهب متضايقا منه) عزف على الفلوت منحوس، كان من الواجب ألا يخطر ببالي.

ملر يحاول أن يخفي (اضطرابه) إن عصير الليمون قد تأخر كثيرا. أرى أن أتجلّى الأمر، إذا لم تسيء فهم ذلك...

فردنيند لا داعي للاستعجال، يا عزيزي ملر (يتمتم لنفسه) خصوصا بالنسبة إلى الأب. ابق هنا. ماذا كان علي أن أسأل عنه؟ نعم، هل لويزة هي ابنتك الوحيدة؟ أليس لك أبناء آخرون؟

ملر (بحرارة) ليس لديّ غيرها ـ ولا أتمنى أن يكون لي غيرها.

---

* إشارة إلى ما ورد في سفر «التكوين» عن أكل آدم من ثمرة التفاح في الجنة مما أدى إلى هبوطه إلى الأرض، وما تبع ذلك للإنسان من شقاء، و«الحبال الدقيقة» هي هنا دروس العزف على الفلوت، و«الأثقال الرهبية» هي النتائج الرهيبة التي ترتبت على تعرفه على بيت ملر.

إن الفتاة كافية لأن تملأ قلب أبيها ـ إن كل أموالي السائلة قد استثمرتها في حب ابنتي.

فردنيند (يهتز بعنف) هـا! الأفضل أن يذهب ملر الطيـب لمعرفة ماذا جرى بالنسبة إلى الشراب (عصير الليمون)!

(ملر يذهب)

المنظر الرابع

(فردنيند وحده)

ابنته الوحيدة! أتحس بهذا، أيها القاتل! الوحيدة، أيها القاتل؟ أسمعت كلمة: الوحيدة؟ وهذا الرجل ليس له في الكون الفسيح الذي خلقه الله، ليس له إلا آلته الموسيقية وهذه البنت الوحيدة أتريد أن تسلبها إياه؟ تسلبها؟ تسلب آخر دانق عند شحاذ؟ تريد أن تلقي عند قدمي الأعرج بعكازته المكسورة؟ كيف؟ وهل لديّ الجرأة على فعل هذا؟ و إذا هرع، وهو متلهف ليحسب على وجه ابنته كل مجموع مسرّاته، وحين يدخل يشاهد هذه الزهرة مجندلة عند قدميه، ذابلة، ميتة، مسحوقة عن طيب خاطر، أمله الأخير، الوحيد، الذي لا نظير له... آه! وإذا كان هناك، أمامها، والطبيعة كلها ليس فيها بالنسبة إليه نسمة حياة، ونظرته المتجمدة تتجول عبثا في الفضاء الواسع الخالي من السكان، وهو ينشد الله ولا يستطيع أن يعثر عليه، ويعوذ إليه في غير طائل وهو يائس! يا الله! يا الله! لكن أبي أيضا ليس له غير هذا الابن الوحيد! هذا الابن الوحيد، ولكن ليست هذه الدرة الوحيدة (بعد وقفة) ومع ذلك، فماذا يفقد إذن؟ الفتاة الوحيدة التي لم تكن أقدس عواطف الحب عندها غير ألاعيب، هل تستطيع أن تجعل والدها سعيدا؟ كلا، إنها لا تستطيع ذلك! بل أنا أستحق الشكر إذا سحقت الأفعى قبل أن تجرح أباها أيضا.

المنظر الخامس

ملر (وقد عاد) وفردنيند

ملر سيحضر لك الشراب حالا، ياباورن. إن البنت المسكينة جالسة هناك في الخارج وتبكي بكاء يؤدي إلى الموت. إنها ستعطيك دموعا لتشربها مع عصير الليمون.

فردنيند وسيكون حسنا ألا يكون هناك إلا الدموع. مادمنا قد تكلمنا عن الموسيقى، يا ملر (مخرجا كيس نقوده) فإني لا أزال مدينا لك.

ملر كيف؟ ماذا! لا، يابارون. من تظنني إذن؟ اعتبرها وصلتني. لا تهنّي هذه الإهانة، إن شاء الله لن تكون هذه هي المرة الأخيرة التي نلتقي فيها.

فردنيند من يدري؟ خذ، لا أحد يعلم من سيموت ومن سيحيا.

ملر : (ضاحكا) أوه! ! ما هذا، يا بارون، إنه مخاطرة يمكن أن أقع فيها معك، فيما أظن.

فردنيند هذه مخاطرة دائما. أولم تشاهد شبابا يموتون، شبابا وشابات وأطفالا هم أمل آبائهم الذين بنوا على هذا الوهم آمالا عريضة؟ إن ما لا يستطيع السن أو الحزن أن يفعله، قد يحدث مرارا أن ضربة صاعقة قد تفعله. وابنتك لويزة ليست هي الأخرى خالدة.

ملر | لقد وهبني الله إياها.

فردنيند | اسمع. أقول لك إنها ليست خالدة. إنك تحب هذه البنت مثلما تحب إنسان عينيك، وقلبك وروحك متعلقان بهذه البنت وحدها. تبصر الأمور، يا ملر، إن المقامر اليائس هو وحده الذي يضع كل رهانه على ضربة واحدة من ضربات النرد. ويعد متهورا التاجر الذي يحمّل كل ما يملك على سفينة واحدة. استمع إليّ، وفكر في هذا التحذير. لكن، لماذا لا تأخذ نقودك؟

ملر : كيف، ياسيدي؟ كل هذا الكيس الملآن؟ فيم يفكر البارون؟

فردنيند | في تسديد ديو ني. (يرمي بكيس النقود على المنضدة، فتسقط منه قطع من الذهب) هيا، إني لا أستطيع أن أحتفظ بهذا المبلغ الزهيد بين يدي.

ملر | (مندهشا) كيف، يا إلهي! ليس هذا صوت فضة (يقترب من المنضدة ويصبح مرتاعا) كيف؟ باسم كل السماء! يا بارون! يا بارون! ماذا جرى لك؟ ماذا تفعل يا بارون؟ هذا هو ما أسميه سهوا! (يشد يديه بقوة) لكني أرى أمامي اللهم إلا إن كنت مسحورا، أو ليلعني الله! إني ألمس ذهبا أصفر حقيقيا، ذهب الله الطيب. كلا، يا شيطان، أنت لن توقعني في هذه المصيدة.

فردنيند | هل شربت خمرا معتقة أو خمرا جيدة، يا ملر؟

ملر (بلهجة خشنة) الرعد والعاصفة! لكن انظر، إنه ذهب!

فردنيند ثم ماذا؟

ملر باسم الشيطان أهذا لك . . . أرجوك باسم يسوع المسيح المقدس . . إنه ذهب!

فردنيند هذا أمر مدهش حقا!

ملر (بعد لحظة من الصمت، يذهب إليه ويقول بشعور من الإحساس الجريح) يا سيدي، أنا رجل بسيط ومستقيم. اللهم إلا إذا كنت تريد أن تكلفني بمهمة سافلة، لأن مقدارا من النقود مثل هذا لا يمكن المرء أن يكسبه ـ علم الله ـ بطرق شريفة.

فردنيند (متأثرا) كن مطمئنا تماما، يا عزيزي ملر. إنك كسبت هذه النقود منذ زمان طويل، وليحفظني الله من أن أريد أن أشتري منك ضميرك الطيب بهذه النقود.

ملر (واثبا في الهواء، وكأنه نصف مجنون) لي أنا، لي أنا! برضا تام من الله الطيب، لي أنا! (يهرع نحو الباب ويصيح): يا زوجتي! يا ابنتي! النصر! اهرعوا! (يعود) لكن يا لجود السماء! كيف صرت فجأة مالكا لكل هذه الثروة المخيفة؟ كيف كسبتها؟ كيف أستحقها؟ ها؟

فردنيند ليس بدروس الموسيقى، يا ملر! إني بهذه النقود إنما أدفع لك . . . (يتوقف وهو يرتعد) إني أدفع لك . . . (بعد وقفة، يقول بحزن عميق) ثمن الحلم البائس لابنتك طوال ثلاثة أشهر.

ملر (يمسك يده ويضغط عليها بقوة) يا سيدي؟ لو كنت مجرد برجوازي . . . (باحتداد) ولم تكن ابنتي قد أحبتك، لكنت قادرا على أن أذبحها وهي ابنتي. (يعود إلى النقود، ثم يقول وهو حائر) لكن هكذا يكون لي كل شيء، ولا يكون لك شيء، وعليّ الآن أن أتقيأ وأرد كل كنزي؟ ماذا؟

فردنيند لا تدع هذا يضايقك، ياصاحبي! إني راحل، وفي البلاد التي أقدر الإقامة بها، هذه القطع غير متداولة.

ملر (الذي في هذه الأثناء لم يصرف عيونه عن هذه النقود، يقول وهو في غاية الابتهاج) هي إذن باقية لي أنا؟ هي باقية لي؟ لكنني حزين لرحيلك. انتظر قليلا حتى ترى الحال التي سأكون عليها من الآن فصاعدا، وكيف أن خدودي ستمتلىء صحة وحيوية! (يلبس قبعته ويقفز خلال الغرفة) ودروسي في الموسيقى سأقوم بتأديتها في السوق، وسأدخن تبغ الثلاثة ملوك، نمرة ٥، وليأخذني الشيطان إذا جلست بعد في صالة الكوميديا في الأماكن التي ثمنها اثنا عشر مليما (يريد أن يخرج).

فردنيند ابق، اسكت، وخذ نقودك. (بلهجة معبرة) اسكت هذا المساء فقط، وأشع السرور في نفسي بألا تعطي من الآن فصاعدا دروسا في الموسيقى.

ملر (بنشوة أكبر، وفي نشوته يمسك بفردنيند من ثيابه) آه، ياسيدي! وابنتي (يترك ثيابه) إن النقود لا تصنع الإنسان. . . قطعا. . . سواء لديّ أأكلت بطاطس أم أكلت الفجل فإنني حين أتعشى لا أشعر بالجوع. وهذا الثوب سيظل دائما حسنا، طالما لم يشاهد لحمي من ثقوب كمي، والأسمال حسنة بالنسبة إليّ، أما ابنتي، فلأجلها تأتي هذه البركة*، فكل ما أراه في عينيها أنها تريده، لابد أن آتيها به في الحال.

فردنيند (يقاطعه فجأة) كفى كفى!

ملر (وقد ازداد حماسة أكثر فأكثر) وستتعلم اللغة الفرنسية بعمق، وسترقص رقصة «المنويت»، وستغني غناءً جيدا بحيث تتحدث عنها الصحف، وستلبس قبعة مثلما تلبس بنات المستشار، و«كي دي باري»**، كما يسمى، وسيتكلم الناس عن بنت عازف الموسيقى في دائرة قطرها «أربعة فراسخ» بهذه النواحي.

فردنيند (يمسك يده بتعبير مخيف) كفى، كفى! بحق السماء، اسكت! اسكت اليوم فقط، هذا هو عرفان الجميل الوحيد الذي أطالبك به.

---

* النقود.

** Que de Paris: تحشية تشبه الكرينولين. توضع في ظهر الثوب لتعطيه انتفاخا، كان هو البدع السائد آنذاك.

المنظر السادس

لويزة (تدخل حاملة عصير الليمون) ملر، فردنيند

لويزة (وعيناها محمرّتان من الدموع، وبصوت مرتجف تقول) إن لم يكن عصير الليمون قويا بدرجة كافية، فأخبرني.

فردنيند (يأخذ الكوب من الصحن، ويجلس ثم يلتفت فجأة إلى ملر) آه! كدت أن أنسى! هل أتجاسر على أن أطلب منك أمرا، يا عزيزي ملر؟

أتريد أن تسدي إليّ خدمة بسيطة؟

ملر ألف خدمة، وليس واحدة فقط. ماذا تريد؟

فردنيند إنهم سينتظروني لتناول الطعام، ولكني ويا لسوء الحظ حزين المزاج إلى درجة أن من المستحيل عليّ أن أظهر بين الجماعة، هل تتفضل وتذهب إلى أبي وتخبره باعتذاري؟

لويزة (مرتاعة، تقاطعه بشدة) في استطاعتي القيام بهذا المشوار.

ملر أأقول هذا للرئيس نفسه؟

فردنيند ليس له هو نفسه. بل تكلف بهذه المهمة أحد الرجال الذين في قاعة الانتظار. وهاهي ذي ساعتي لتدلّل على أنك جئت من طرفي. وسأكون هنا حتى تعود. وأنتظر الجواب.

لويزة (بقلق) ألا أستطيع أنا أن أقوم بهذه المهمة كلها؟

فردنيند (مخاطبا ملر الذي يهم بالذهاب)انتظر، هناك شيء آخر. هذه رسالة تخص أبي، وقد وصلتني هذا المساء في مظروف، وربما كانت تتعلق بمسألة عاجلة. وستقوم بهذه المهمة في نفس الوقت.

ملر هذا حسن، يا بارون.

لويزة (تمسكه وتحتجزه بقلق) لكني أستطيع أن أقل هذا كله، يا أبي.

ملر أنتِ وحدك، والليل مظلم، يا ابنتي. (يخرج).

فردنيند أضيئي لأبيك، يا لويزة. (بينما هي تصحب أباها حاملة النور) يقترب من المنضدة، ويضع سما في عصير الليمون، نعم، لابد أن تموت... لابد... القوى العليا تشير إليّ بانتفاضات الرأس، ناطقة بالكلمة الرهيبة: «نعم»، وانتقام السماء يصادق على الحكم، إن ملاكها الطيب قد تخلى عنها.

المنظر السابع

فردنيند ولويزة

(تعـود لويـزة ببطء حـاملـة المصباح، وتضعـه على المنضدة، وتجلـس في مواجهة الرائد، وعيناها خفيضتان نحو الأرض، وبين الحين والحين تلقي إليه نظرة مسترقة مـرتاعة. أما فـردنيند فيجلس في الجانب المواجـه، ويحدق بثبات أمامه. صمت طويل عميق يعلن عن هذا المنظر)

لويزة هل تريد، يا سيد فون فالتر، أن تصاحبني في العزف على البيـانـو؟ (تفتـح البيـانـو. فـردنيـنـد لا يجيـب بشيء، صمت): أنـت مدين لي بـدور في الشطرنج، أتـريد أن تلعب دورا، يا سيد فـون فـالتر؟ (صمت من جديد). يا سيد فـون فالتر، كيس النقود الذي وعـدت بأن أطرزه لك قـد بدأت العمل فيه، ألا تـريد أن تشاهد الـرسم؟ (صمت آخر) آه! كم أنا بائسة!

فردنيند (دون أن يغير موقفه) هذا يمكن أن يكون حقيقيا.

لويزة ليس الذنب ذنبي، ياسيـد فون فالتر، إذا كانت حجتي الآن تضايقك.

فردنيند (على حـدة، وبابتسـامـة مُرّة) مـاذا تستطيعين أن تفعلى لتحفظي الشديد!

لويزة لقد اعتقدت أنه ليس لدينا الآن ما نقوله، الواحد للآخر. لقد انتابني الجزع حينما أرسلت أبي في مهمة إلى الخارج. يا سيد فون فالتر، لقد توقعت جيدا أن هذه اللحظة لن تكون محتملة فيما بيننا. . إذا سمحت، سأذهب للإتيان ببعض معارفي.

فردنيند أوه! نعم، افعلي هذا. وأنا أيضا سأذهب للإتيان ببعض معارفي.

لويزة (تتطلع فيه بسيماء متحرجة) يا سيد فون فالتر!

فردنيند (بلهجة ساخرة) بشرفي، هذه أحسن فكرة يمكن العمل بها في مثل هذه المناسبة. فيها نحيل إلى تسلية هذا اللقاء المنفرد الممل، وننتقم لأنفسنا من شجون الحب ببعض الملاطفات.

لويزة أنت طيب المزاج، يا سيد فون فالتر.

فردنيند نعم، تماما، إلى درجة أنني أجعل الأطفال يجرون ورائي في الشوارع! لا! الحقيقة، يا لويزة، هي أنني أقتدي بالقدرة التي صنعتِها أنت، ستكونين معلمتي. المجانين وحدهم هم الذين يتمسكون بالحب الأبدي. إن الرتوب الدائم ينفّر، والتغيير هو وحده ملح اللذة. هاك رأيي، يا لويزة! سنجري من قصة إلى قصة، وسنمضي من مأزق إلى مأزق: أنت من جانب، وأنا من جانب آخر، وربما سأسترد راحتي في مكان سيىء، راحتي المدمرة.

وربما نلتقي معا في حفلة ترفيهية فيما بعد، في مفاجأة لذيذة جدا، وقد رد كل واحد منا إلى الآخر بعد عشرين مغامرة، وهنالك سيتعرف هذان الهيكلان العظميان كلاهما الآخر، كما في خاتمة مسرحية كوميدية، مع شعور بالألفة لا يستطيع أي ابن لهذا الجنس الفاسد أن ينكره، وسنكتشف أنه يمكن أن يقوم بين الغثيان والعار انسجام لم يستطع الحب الحنون أن يصل إليه.

لويزة يا أيها الشاب! يا أيها الشاب! ها أنت بائس، أو تريد أيضا أن تكون مستحقا لهذا البؤس؟

فردنيند (غاضبا، يقول من بين أسنانه) أنا بائس؟ من قال لك هذا؟ أنت انحططت إلى درجة تكفي لتجعلك لا تشعرين، فأنّى لك أن تحكمي على شعور الآخرين؟ أنا بائس، تقولين أنت؟ آه! هذه الكلمة يمكن أن توقظ غضبي، حتى لو كنت في قبري. لابد أنني بائس: إنها تعرف ذلك، موت و إدانة، إنها تعرف ذلك، ولكنها مع ذلك خانتني! ألا ترين، يا غادرة؟ لقد كانت هذه فرصتك الوحيدة للصفح عنك. هذا الاعتراف هو الذي ينطق بالحكم عليك. حتى الآن كان في وسعي أن أعزو هذه الخطيئة إلى جهلك، لقد كان في وسعك حينئذ أن تفلتي تقريبا من انتقامي، بواسطة الاحتقار. . . (فجأة يمسك بالكوب) لم يكن ذلك إذن نزقا، لم يكن حماقة، لقد كنت إذن روحا من أرواح الجحيم. . . (يشرب) إن عصير الليمون هذا ماسخ مثل روحك« تذوقيه».

لويزة يا للسماء! لم يكن بغير سبب كوني قد خشيت من هذا المنظر.

فردنيند (بلهجة قاطعة آمرة) تذوقيه!

(لويزة تأخذ الكوب آسفة وتشرب. فردنيند يشيح بوجهه حين ترفع هي الكوب إلى شفتيها، يشحب لونه، وينسحب فجأة إلى ركن الغرفة).

لويزة عصير الليمون جيد.

فردنيند (دون أن يلتفت، وهو يرتجف) هنيئا!

لويزة (بعد أن وضعت الكوب على المنضدة) آه! لو عرفت، يا فالتر، كم أنت تهين قلبي!

فردنيند ماذا؟

لويزة سيأتي زمان، يا فالتر. . .

فردنيند (عائدا إلى مقدمة المسرح) لم يعد لنا شأن بالزمان، هكذا يلوح لي.

لويزة في مساء هذا اليوم يمكن أن يكون ثقيلا على قلبك.

فردنيند يبدأ في المشي بخطوات واسعة ويصير أكثر قلقا، يرمي بعيدا بإيشاربه وسيفه): وداعا يا خدمة الأمراء![*]

لويزة يا إلهي! ماذا بك؟

---

* إنه برميه للإيشارب والسيف يعلن استقالته من خدمة الدوق، بوصفه ضابطا في جيشه . وكان الإيشارب يربط على الذراع كعلامة على الضباط الذين في خدمة الدوق.

فردنيند إني ألتهب وأختنق. أريد أن أستريح.

لويزة اشرب! اشرب! هذا الشراب سينعشك.

فردنيند نعم، بدون شك. إن للمومس قلبا طيبا. لكنهن جميعا سواء.

لويزة (ترمي بنفسها بين ذراعيه، وفيها تعبير عن الحب) أهكذا تخاطب (حبيبتك) لويزة، يا فردنيند؟

فردنيند (يدفعها عنه) اذهبي! اذهبي! سحقا لهذه النظرات الحنونة! إني أترنح. تعالي في رعبك المخيف، أيتها الأفعى! اقفزي أمامي، يا زاحفة! أديري رأس عقدك المروعة! صوّبي حلقاتك نحو السماء؟ متوحشة كما تجليت لهاوية الجحيم، لكني لا أريد أن أرى الملاك. لا ملاك الآن. فات الأوان، لابد لي أن أسحقك مثل أفعى، وإلا سقطت في هاوية اليأس. رحماك!

لويزة أوه! أوصلنا إلى هذا الحد!

فردنيند (متطلعا فيها عن عرض) هذا العمل الجميل الذي نحته نحات سماوي! من ذا يستطيع أن يصدق هذا؟ من يجب عليه أن يصدق هذا؟

(يمسك يدها ويرفعها نحو السماء) لا أريد أن أستدعيك إلى محكمتي، يا إلهي! لكن لماذا تضع سُمك في إناء جميل كهذا؟ هل يمكن الرذيلة أن تنمو وترعرع في جو جميل مثل هذا؟ أوه! هذا غريب.

لويزة أنا أسمع هذا وأنا مضطرة إلى السكوت!

فردنيند وهذا الصوت الحلو الموسيقي! أنّى للأوتار المكسورة أن تصدر عنها نغمات جميلة كهذه؟ (يتأملها بعين سكرى من الحب) كل شيء فيها جميل، حسن التناسب، كامل كمالا إلهيا! لا شيء فيها ليس علامة على تفضيل الخالق لها! بحق السماء! لكن هذا الكون الفسيح لم ينشأ إلا من أجل أن يستطيب العلي القدير تكوين هذا العمل الرائع العظيم! وكأن الله لم يخطىء إلا بالنسبة إلى الروح؟ هل من الممكن أن يكون وحش فظيع قد دخل في هذا الجسم الخالي من كل عيب؟ (يبتعد عنها فجأة) أو هل رأى أن ملاكا قد تولّد تحت إزميله، وبسرعة شديدة صحح خطأه، بأن أعطاها قلبا أشد سوءا؟

لويزة أوه! ياله من عناد آثم! بدلا من أن يعترف بأنه مخطىء في إصدار حكم متسرع متهور، يفضل أن يتطاول على السماء.

فردنيند : (يرتمي على جيدها وهو يبكي بكاء مُرّا) مرة أخرى يا لويزة! مرة أخرى، كما في يوم أول قبلة، حينما تمتمت باسم فردنيند وجاء على شفتيك المشبوبتين أول نطق بالضمير أنت* أوه! لقد لاح أن تلك اللحظة احتوت على بؤرة مسرات لا نهاية لها ولا يبلغ مداها التعبير مثلما

* في صيغة المفرد المخاطب، وهو مايحدث حين ترتفع التكاليف بين الحبيب والحبيبة.

يحتوي البرعم على الزهرة! إن الأبدية كانت ماثلة هناك أمام عيوننا كيوم جميل في شهر أيار، إن قرونا ذهبية قد مرت آنذاك أمام روحينا، كجوقة من العرائس الشابات. حينئذ كنت سعيدا بين السعداء! أوه! يا لويزة، يا لويزة! لماذا فعلت هذا معي؟

لويزة ابكِ، ابكِ يا فالتر! إن ألمك سيكون أعدل نحوي من غضبك.

فردنيند أنتِ مخطئة هذه ليست دموع ألم. إنها ليست ذلك الندى الشهواني الذي يسيل كبلسم على جراح القلب ويحرك العجلات المتحجرة للنفس الحساسة. إنها قطرات باردة تسّاقط الواحدة بعد الأخرى. إنها الوداع الرهيب الأبدي لقلبي (بجدّ مروّع تاركا يده تسقط على رأس لويزة). إنها دموع أسفحها على روحك، يا لويزة! على الألوهية التي جاء إحسانها اللامتناهي وسقط هنا وسلب منه عن طيب خاطر أجمل أعماله. أوه! يلوّح لي أنه يجب على كل الخليقة أن تلبس ثوب الحداد وتصاب بالذهول من هذا المثل المعطى بينها. إنه لأمر عادي أن يسقط الناس، وأن تفقد فراديس، لكن حينما يطغى الطاعون بين الملائكة، فلابد من إعلان الحداد في كل الطبيعة.

لويزة لا تدفعني إلى النهاية، يا فالتر! عندي من قوة النفس بمقدار ما عندك، ينبغي أن تكون المحنة ذات طابع إنساني. يا فالتر، كلمة أخرى وبعد ذلك فلنفترق. إن

مصيرا مروعا قد ألقى بالتشويش في لغة القلوب. لو سُمِح لي بفتح فمي يا فالتر، لاستطعت أن أقول لك أشياء. إن هذا في وسعي، لكن القدر القاسي المحتوم قد عقد لساني كما قيد حبي، ولابد لي أن أحتمل، أن تعاملني كما لو كنت أحسن المخلوقات.

فردنيند كيف حالك، . يا لويزة؟

لويزة لماذا هذا السؤال؟

فردنيند لأني سأحزن لحالك لو أن عليك أن ترحلي من هنا وعلى ضميرك أكذوبة.

لويزة أستحلفك يا فالتر. . .

فردنيند (تظهر عليه علامات اضطراب عنيف) لا، لا! هذا الانتقام سيكون ذا شيطانية زانية! لا! اللهم احفظني من هذا، لا أريد أن أسوق الانتقام حتى العالم الآخر. . يا لويزة، هل أحببت مدير البلاط؟ لن تخرجي من هذه الغرفة.

لويزة اسأل ما بدا لك: أنني لن أجيب بعد. (تجلس)

فردنيند (بلهجة أكثر جدية) فكري في روحك الخالدة يا لويزة! هل أحببت مدير البلاط؟ لن تخرجي من هذه الغرفة.

لويزة لن أجيب.

فردنيند (في حال من الاضطــراب الرهيب، يرتمي على قـدميها) يا لويزة! هل أحببت مدير البلاط؟ قبل أن ينطفىء هذا النور، ستمثلين أمام الله!

لويزة (تقف واثبة وهي في غاية الخوف) يا يسوع! ماهذا؟ إنني أشعـر بأني في حـالـة سيئـة جدا (تسقـط إلى الـوراء على كرسيها)

فردنيند لقـد حدث؟ أوه! النسـاء! يـا لهن مـن لغز أبـدي! إن أعصابهن الـرقيقة تقاوم، دون أن تتحطم، جـرائم تنخر في الإنسانيـة حتى جـذورها، ومـع ذلك فـإن حبة مـن الزرنيخ تجند لهن.

لويزة سم! سم! ياربي، يا إلهي!

فردنيند هذا ما أخشاه. إن عصير ليمونك قد تتوبل في الجحيم. إنه نخب أنت شربتيه في صحة الموت.

لويزة الموت! الموت! يـا إلهي، رحمتك الـلا متنـاهية! سـم في عصير الليمـــون ومـوت! أوه! ارحـــم روحـــي يـا إلـــه الرحمة!

فردنيند : تلـك هـي النقطة الـرئيسيـة. وأنـا أسـأله أيضـا نفـس الرحمة.

لويزة ثم أمـي، وأبي. . . يا منجـي العالم! أبي المسكين، لقـد قُضي عليه! ألا سبيـل للنجـــاة؟، حيـاتي الشـابة. . . ولا أمل في النجاة؟ وهل يجب الرحيل في هذه السن؟

فردنيند : لا أمل في النجاة، لابد من الرحيل. لكن كوني مطمئنة. سنسلك نفس السبيل معا.

لويزة وأنت أيضا، يا فردنيند! السم، يا فردنيند! منك أنت! يا إلهي، سامحه، يا إله الخير، اغفر له هذه الخطيئة.

فردنيند فكري في حسابك أنت. أخشى أن يكون في حالة سيئة.

لويزة فردنيند، فردنيند! أوه! الآن لا أستطيع السكوت. الموت... الموت يبدد الأقسام* فردنيند! ليس في السماء وعلى الأرض من هو أبأس منك. إني أموت بريئة يا فردنيند!

فردنيند (مرتاعا) ماذا تقول؟ ليس من العادة أن يحمل المرء أكذوبة لهذه الرحلة!

لويزة إني لا أكذب، إني لا أكذب. إني لم أكذب في حياتي إلا كذبة واحدة! آه! أية قشعريرة باردة تسري في عروقي! حينما كتبت تلك الرسالة إلى مدير البلاط...

فردنيند : آه! هذه الرسالة! الحمد لله! إني أستعيد كل ثباتي.

لويزة (بثقل لسانها، وتأخذ أصابعها في الاهتزاز بعنف) هذه الرسالة... استعد لسماع كلمة رهيبة. إن يدي كتبت ما كان يستنكره قلبي... إن أباك هو الذي أملاها.

---

* جمع قَسم، أي حلف أو يمين.

فردنيند (بلا حراك كأنه تمثال، يبقى مغروسا في الأرض، وبعد صمت طويل كصمت الموت، يسقط فجأة كما لو كانت نزلت عليه صاعقة).

لويزة أوه! الغلطة الفادحة! يا فردنيند! لقد أرغموني سامحني إن لويزتك كانت تفضل الموت، لكن أبي. . . والخطر. . . لقد أتقنوا المؤامرة.

فردنيند (ينهض غاضبا) الحمد لله! إنني لا أحس بعد بالسم. (يستل سيفه بعنف).

لويزة (تخور أكثر فأكثر) يا للهول! ماذا تريد أن تفعل؟ إنه أبوك. . .

فردنيند (وعلى وجهه سيما أشد الغضب) قاتل ووالد قاتل! لابد أن يأتي معنا، كيلا يمارس حاكم العالم غضبه إلا على الجاني (يريد أن يخرج)

لويزة إن مخلّصي* قد غفر وهو يموت. عفا (الله) عنك وعنه

(تموت)

فردنيند (يتلفت بسرعة، فيلمح الحركة الأخيرة في نزعها الأخير، ويسقط وقد أبهظه الألم بالقرب من المتوفية) توقفي! توقفي! لا تفلتي مني يا ملاك السماء! (يمسك يدها ثم

---

* السيد المسيح الذي قال وهو على الصليب: «يا أبي! اغفر لي فإنهم لا يعلمون ماذا يفعلون» (إنجيل لوقا ٢٣ : ٣٤).

يدعها تسقط بسرعة) بـاردة، باردة، ورطبة! لقد طارت روحها! (ينهـض واثبا) يا إلـه لويزتي! اللطـف! ألطف بأبغض القاتلين! كان هذا دعـاءها الأخير! كم هي فاتنة وجميلة، حتى في الموت! إن مـلاك الموت، وقد رثى لها، قد مر بهدوء على هذه الخدود المحبوبـة. هذه العذوبة لم تكن قنـاعا، لقد قاومـت الموت نفسه (بعد وقفـة) لكن كيف؟

لماذا لم أشعر أنا بشيء؟ هل أرادت قوة شبابي أن تنقذني؟ تعب لا فائدة منه! ليس هذا رأيي.

(يمسك بالكوب)

المنظر الثامن

فـردنيند، الـرئيس، فـورم، والخدم (وقد تـدافعـوا جميعا إلى الغـرفة وهـم مملوءون فـزعا، وبعـد ذلك) ملـر وناس من عـامة الشعـب، وضباط عـدالة (يتجمعون في الزاوية)

الرئيس (وفي يـده الـرســالـة) يـا بنـي، مــاهـذا؟ لا أريـد أن أصدق . . .

فردنيند (يرمي بالكوب عند قدميه) كما ترى، أنا قاتل!

الرئيس (يتراجع وهـو يترنح؛ الكـل في غايـة الذهـول، صمت رهيب) يابني! لماذا فعلت هذا؟

فردنيند : (دون أن ينظر إليه)نعـم! لا شك في هذا. لقد كـان من الواجب عليّ أن أستمع إلى رجل الـدولة، كيما أعلم هل هـذه الضربة تتـوافق مـع لعبتـه؟ وإني أعترف بأن هـذه كانت حيلـة بارعة رائعة لقطـع الرابطة التي تـربط قلبينا عن طريـق الغيرة. والحساب كان صنعة معلـم. لكن، من الأسـف أن الحب وهو غاضـب لم يستجب بسهـولة لخيوطك كما تستجيب دمية الخشب*.

الرئيس (يجيل نظراته المرتاعة في كـل الحاضرين) أليس هنا أحد يبكي على والد لا يمكن تعزيته؟

---

* تشبيه بلعبة العرائس (الماريونيت).

ملر (صارخا وراء خشبة المسرح) دعوني أدخل، إن كنتم تحبون الله! دعوني أدخل!

فردنيند هذه الفتاة قديسة! لغيري أن يدافع عنها. (يفتح الباب لملر الذي يندفع في الغرفة هو والناس ورجال العدالة).

ملر (وهو في أشد حالات الجزع) يا بنتي، يا بنتي! سُمّ، يصرخون أنه حدث تناول سم هنا. يابنتي، أين أنت؟

فردنيند (يقتاده إلى مابين الرئيس وجثة لويزة) إني بريء. اشكروا لهذا.

ملر (يسقط بالقرب من الجثة) آه! يايسوع!

فردنيند سأقول كلمات قليلة، يا أبي. لقد بدأت الكلمات تكتسب ثمنا عندي. إن الحياة قد سُلِبَت مني على نحو شرير، سلبت بواسطتك أنت! كيف سأمثل أمام الله؟ إني أرتعد من هذا. ومع ذلك فإني لم أكن أبدا شريرا، ومهما يكن حكم الأبدية عليّ فأرجو ألا تسقط عليك أنت. لكني ارتكبت جريمة قتل (بصوت قوي مخيف) جريمة قتل لن تطالب من أجلها أن أمثل أمام قاضي العالم! إني ألقي عليك أنت المسئولية عن الشطر الأكبر والأبشع فيها، كيف تبرىء نفسك منها، هذا ما عليك أن تقوم به. (يقتاده نحو جثة لويزة) تعال، أيها المتوحش، تعال واستمتع بالثمرة المروعة لبراعتك. إن سكرات الموت قد كتبت اسمك على هذا الجبين،

والملائكة الموكلون بالتعذيب سيعرفون جيدا. أن يقرؤوه. وإن شبحا على صورتها سيأتي حين تنام ويسحب ستائر سريرك ويريك يدها المتجمدة. وشبح على صورتها سيقف أمام روحك حينما تموت وينبذ من السماء آخر دعواتك، وشبح على صورتها سيقف على قبرك حين تقوم منه، وسيكون بالقرب من الله حين يحاسبك.

(يغمى عليه والخدم يسندونه)

الرئيس (بتأثر بالغ، يرفع يديه نحو السماء) يا قاضي العالم، لا تسألني أنا عن هذه الأرواح، بل اسأل هذا الرجل (يشير إلى فورم)

فورم (مقاطعا) أنا؟

الرئيس نعم أنت، أيها الملعون، أنت أيها الشيطان! أنت الذي أعطيتني نصائح الأفعى، أنت المسئول. وأنا أغسل يدي منها.

فورم أنا؟ (يأخذ في الضحك ضحكا مخيفا) هذا مضحك، مضحك حقا! الآن عرفت كيف أن الشياطين تشهد بعرفانها للجميل؟ أنا؟ أيها السافل الأحمق، هل هو ابني؟ هل كنت معلّمه، أعليّ أنا تقع المسئولية! من هذه الفكرة أحس بأن نخاع عظامي يتجمد، أنا المسئول عن هذا؟ ليكن، أريد أن أهلك، ولكن وأنت معي. هيا! هيا! لينادي المنادي في كل الشوارع بحدوث جريمة

قتـل، وليـوقـظ القضـاة. يارجـال العـدالـة، قيـدوني بالسلاسـل، واقتادوني إليهم، سأكشـف لهم عن أسرار إذا سمعوها وقفت شعورهـم على رءوسهم.

الرئيس (يحجزه) لن تفعل هذا يا فورم؟

فورم (مربتـا على كتفه) سأفعـل هذا يـا صاحبي، سـأفعله. صحيح أن هـذا جنون، لكـن الذنـب ذنبك أنـت، إذا كنـت الآن أتصرف تصرف إنسـان مجنـون سنـذهـب إلى المشنقـة وذراعـانـا متعانقتـان، وإلى الجحيـم وذراعـانـا متعانقتـان، هذا سيسلينـي، أيها الوغـد، أن يحكم عليّ بالإعدام معك. (يقتادونه)

ملر (الذي كان طوال هذا الوقت حـانيا رأسه على جثة لويزة وهو مستغرق في ألم صامت، ينهض فجأة ويرمي بكيس النقود عنـد قدمـي الرائد) يـا من دسسـت السم، خـذ ذهبك اللعين. أأردت أن تشتري مني دم ابنتي؟ (يندفع خارج الغرفة).

فردنيند (بصوت يعالج سكرات الموت) إنه يائس، اتبعوه واعطوه هذا الذهـب. هذا دين رهيب! يـا لويزة! يا لـويزة! أنا آت. وداعا، دعوني أمت بالقرب من هذا المذبح.

الرئيس (وهو يخرج مـن الغرفـة مذهـولا) يا بنـي، فردنينـد، ألا تلقي بنظرة على والد مصعوق؟

(يوضع فردنيند بالقرب من لويزة)

فردنيند هذه النظرة الأخيرة هي من حق الله الرحيم.

الرئيس (يسقط على قدميه وعليه سيماء ألم بالغ) الخالق والمخلوقات كلهم يتخلون عني! ألا أحصل على نظرة لعزائي الأخير؟ (فردنيند يمد إليه يدا في النزع الأخير. الرئيس ينهض واقفا. لقد غفر لي! (مخاطبا الآخرين:) والآن أنا مسجونكم.

(يخرج مصحوبا برجال العدالة)

«النهاية»

لا مزاح في الحب

تأليـــــف : ألفريد دي موسيه
ترجمة وتقديم : نـــور الدين خضـــور
مراجعـــــة : د. جــلال حــافــظ

العنوان الأصلي للمسرحية

On ne badine pas avec l'amour

By

Alfred Musset

تقديم*

فن صالوني: المثل المسرحي

نشأته في القرن السابع عشر

تفسر الحياة الاجتماعية الزاهية، في نهاية فترة حكم الملك الفرنسي، لويس الثالث عشر، ولادة المثل المسرحي الذي لم يكن، في الأصل، سوى تسلية من تسليات منتديات الطبقة الراقية، على شكل مسرحية قصيرة مرتجلة، وهي في الغالب ملهاة بطبيعة الحال تمثل في الصالون نفسه، وتقوم حبكتها البسيطة عامة على قول مأثور. وهناك سببان ساهما في نجاح هذا اللون الخفيف. فمن جهة، كانت الكوميديا ذات حظوة عند رجال الصالونات من علية القوم. ومن جهة أخرى، فإن الأمثال السائرة والحكم كانت رائجة جداً، وتقترن موضتها بموضة ألعاب المجتمع من أحجيات وألغاز، حيث يفترض بالمرء أن يكتشف (الكلمة). وهنا تستمر الحزورة (الفزورة) غالبا فصلا، والكلمة مثل سائر. بيد أن الأهمية التي أخذها البلاط إبان فترة حكم لويس الرابع عشر، وروعة التسليات الملكية قد أضرت بعض الشيء بالحياة الاجتماعية الباريسية بحيث لم تعد الألعاب تنظم، ولا الأمثال تمثل على وجه الخصوص إلا في الريف.

* عن المقدمة المصاحبة للنص الأصلي (طبعة بورداس)

تطوره في القرن الثامن عشر

على الرغم من أن الملهاة كانت تمثل على بعض المسارح الخاصة في مطلع القرن الثامن عشر، فإن المثل المسرحي يبدو لنا قد فقد بعضا من مكانته. إلا أن المسارح الخاصة أخذت في التكاثر في النصف الثاني من ذلك القرن حتى الثورة الفرنسية. إنها لم تعد مقصورة على القضاة وأرباب المال فحسب، بل أصبحت ملكا مشاعا للأدباء والبرجوازية الكبيرة والصغيرة، حتى صار لكل واحد منهم مسرحه الصغير.

من أشهر كاتبي الأمثال المسرحية، في هذه الفترة كارمونتيل. وقد لاقت أمثاله، رغم هزيل أحداثها وتافه لغتها رواجا كبيرا حث العديد على تقليده، نذكر منهم في روسيا الإمبراطورة كاترين التي ألفت بعض الأمثال. لكن المثل المسرحي أخذ يفقد أصالته كمسرحية قصيرة تمثل في الصالونات إذ أدرج في قائمة مسارح الجادات، لما كانت في أوج شهرتها. وبينما هو يتخلى عن طابعه الارتجالي الخفيف والسريع، قامت الثورة الفرنسية فأوقفت تطوره.

في القرن التاسع عشر قبل موسيه

بين عامي ١٨٢٠ و١٨٣٠ تشيع أمثال تيودور لوكلارك، وهو رجل فطن اجتماعي، على حد قول سانت بوف الذي أبرز في مقالة كتبها لإحدى الصحف الجوانب الهامة للمؤلف، وهي أولا اتساع إطار المثل المسرحي، وثانيا الهدف النقدي إذ يشن الكاتب حربا جذلة، ساخرة، لاذعة على المرائين، والدجالين، والواعظين. هل يمكن أن يطمح المثل إلى أبعد من ذلك؟ نعم، في نظر ألفريد دي فينيي. إلا أنه ما لبث أن أدرك خطأه حين عرض مثله

المسرحي «مجرد خوف» في دار الأوبرا، فالجمهـور لم يفهم النقد الفلسفي الذي تنطوي عليه المسرحيـة، ولا القضية الاجتماعية التي تطرحها، عـلى كل حال، تثبت لنا هذه المحاولة رواج المثل المسرحي في تلك الحقبة. وقد استخدم موسيه عبارة المثل للمـرة الأولى عام ١٨٣٤، عندما نشر «لا مـزاح في الحب» في مجلة «العالمان». وهو بهذا كما تقـول ماجوري شو إنما يساير الموضـة، فهذه الكلمة تعنـي للقارىء مسرحيـة قصيرة، خفيفة، مسليـة، سهلـة الفهم، حيـث إن المغزى الأخلاقي يتجلى بوضوح في المثل.

موسيه

إن المثل المسرحي، كما كـان يراه كارمونتيل أو لوكـلارك، لم يتحقق عند موسيه إلا بعـد مسرحية «لورانزاتشيو». أما بـالنسبة إلى «لا مزاح في الحب» فلا يسعنا إلا أن نقبـل برأي مارجوري شـو: «لا شيء هاهنا يذكـرنا بمثل كارمـونتيل ولـوكلارك. فثمـة العديـد من الشخصيـات، وهناك مـواقف يصعـب تمثيلهـا على مسرح مرتجل، وتغييرات في الـديكـور يقـدر المرء أن يتصورها بسهـولة عند القراءة، لكنها قـد تحتاج إلى إخراج أكثر تنـوعا من ركن صالون. إضـافة إلى كل هذه الاعتبارات التقنية، هنـاك، في الواقع، ذلـك الجو لعالم خيـالي. . . ثـم إن النهايـة المأسـاويـة المعبر عنها ببضـع كلمات. . . تفصل المسرحية نهائيا عن المثل».

في الواقـع، وحتى دون أن نختـار «لايجب التكهن بشيء» حيـث وجد المثـل المسرحي، بـلا ريب رائعتـه إذ تحول إلى ملهاة حقيقيـة، يكفي كـي نبـدي رأينـا في أصالـة وتفـوق مـوسيـه، أن نقرأ نـص مثـل قصير يقترب باقتضابه ذاته وبساطة إخراجه، من المفهوم الأول لهذا الفن الخفيف، وهو

«يجب أن يكون البـاب إما مفتوحا أو مغلقـا» . هذا المثل يمكـن أن يمثله هواة في الصالـون نفسه ، ولقد مُثِّل هكـذا مرات عديدة : شخصـان قرب النار. . . مكاشفة بالحب. . . طلب زواج يتأخر أوانه. . . وباب يفتح أو يغلق حسب الظروف . إن فصـل موسيه هذا ينبض بروح شـاعر، وهنا يكمن الخلاف بينه وبين كارمونتيل ، ولوكلارك .

من هو موسيه؟

الابن الضال للرومانسيين

ولـد ألفريـد دي مـوسيه في بـاريس عـام ١٨١٠ ، وكان لا يـزال على مقاعد الدراسة حين بدأ يكتب الشعر. وإن كان قد باشر دراسة الحقوق ، والطب ، والموسيقى ، والـرسم ، فلم يلبث أن تخلى عنهـا لأن الأدب وحده كان يثير اهتمامه . حتـى إذا كان عام ١٨٢٨ انضم إلى الندوة الـرومانسية ، فنشأت علاقة صـداقة بينه وبين الشاعر فينيي والناقد سـانت بوف ، وقد أعجب ببراعة فيكتور هوغو، وسرعان مـا أصبح بفضل فيض موهبته الابن العبقري للـرومانسيين . بيـد أن مؤلفـه «حكايـات من إسبـانيا و إيطـاليا» (١٨٣٠) يكشف عن فنتـازية* مفرطة سـاخرة ، مما أثار قلـق أصدقائه . ففي الـواقع أن هـذا الإعجاب بالفـن الكلاسيكي ، وهـذه السخريـة من شطـط الـرومـانسيين اللذيـن نشـاهـدهما في قصـائده (١٨٣٠-١٨٣٢) يضعانه على هامش المدرسة الجديدة .

في عام ١٨٣٢ توفي والـده وقد كان لذلـك وقع أليم في نفسه ، هـذا إلى أنه أصبح مضطرا لتحصيل رزقه ، فنشر «مشهد في مقعد» الذي يضم ، بالإضافة

* فنتازية : وهي مستعملة في العامية وتعني هنا «مخيلة مبدعة متحررة من كل القيود» .

إلى «نامونا» ، دراما «الكأس والشفتان» ، وملهاة «ما تحلم به الفتيات» . وكلها مسرحيات نشرت ولم تمثل ، فالحقيقة أن موسيه منذ فشل مسرحيته «ليل البندقية» . (١٨٣٠) أصبح يكتب من أجل القراءة وليس من أجل المسرح . وقد نشرت له مجلة «العالمان» عام ١٨٣٣ ، « آندريه دلسارتو»و «نزوات ماريان» ، وفي عام ١٨٣٤ نشر «فنتازيو» ، و«لا مزاح في الحب» ، و«لورانزا تشيو» وهي إحدى روائع الدراما .

شاعر الآلام العظيمة

كان موسيه قد حقق لتوه نجاحاً باهراً عقب نشره لقصيدته «رولا» حين أغرم بالأديبة جورج صاند (١٨٣٣) . وبعد فترة من تساقي كؤوس الهوى في قصر فونتانبلو ، أرادا أن يكرسا حبهما الرومانسي برحلة إلى إيطاليا . بيد أن خيبة الأمل كانت سريعة . ففي البندقية عام ١٨٣٤ ، أصيب الشاعر بمرض شديد ، فاعتنت به جورج صاند كل العناية ، غير أنها خانته مع طبيبه باجيلّو . وقد عاد موسيه وحيداً إلى باريس ، ومن هناك راح يتبادل معها رسائل يلوح فيها أنه يسامحها على فعلتها . وبعد أربعة أشهر تعود جورج صاند بدورها : ومن آب ١٨٣٤ حتى آذار ١٨٣٥ تشهد حياتهما سلسلة متتابعة من الصلح والخصام الشديد حيث يبدو لنا أن غيرة موسيه العصبية ، التي أججها إفراطه في تعاطي الخمر ، قد لعبت دوراً كبيراً . هذه المغامرة ، وهذا القلق الذي يعتمل في نفس موسيه المضطربة سيظهران في رواية «اعترافات فتى العصر» (١٨٣٦) .

لقد أدرك موسيه منذ البدء أن منبع الوجدانية الحق يكمن في ميول القلب ، لكن حبه الشقي لجورج صاند أسهم في إنضاج عبقريته . وإن لم يكن الدافع

المباشر لجميع روائعه، فإننا مدينون لهذا الحزن العظيم على الأقل بصدق «الليالي» و«رسالة إلى لا مارتين» و«ذكرى».

وما بين عامي ١٨٣٥-١٨٤٠، وهي فترة من أخصب فترات حياته، نشر موسيه أيضا عددا من الكوميديات: «باربرين» (١٨٣٥)، «الشمعدان»(١٨٣٥)، «لا يجب التكهن بشيء»(١٨٣٦)، وبعض القصص والقصائد الهجائية.

السقوط

في الثلاثين من عمره أصيب موسيه، وقد هدّته المتع الحسية والخمر، بمرض القلب. بين الفينة والأخرى كان ينشر بعض القصص والكوميديات، مثل «يجب أن يكون الباب إما مفتوحا أو مغلقا» (١٨٤٥)، «كارموازين»(١٨٥٠). وقد أصبح عام ١٨٥٢ عضوا في الأكاديمية، غير أن قريحته الشعرية كانت قد نضبت منذ أمد بعيد، ومات منسيا عام ١٨٥٧. وليس أدل على مصيره التعيس من تلك القصيدة التي كتبها عن نفسه، منذ عام ١٨٤٠، ونشرت فيما بعد تحت عنوان «كآبة».

«لقد فقدت قوتي وحياتي،

وأصدقائي وبهجتي،

لقد فقدت حتى الأنفة

التي كانت تجعل الناس يؤمنون بعبقريتي

لما عرفت الحقيقة

ظننت أنها صديقة

لما فهمتها ووعيتها

اشمأزت نفسي منها .

إلا أنها أزلية

والذين صدفوا عنها

قد جهلوا كل شيء في هذه الحياة الدنيا

الله يتكلم ، يجب علينا أن نجيبه

الشيء الوحيد الذي يبقى لي في هذا العالم

هو أني بكيت أحيانا» .

مسرح موسيه

بعد فشل «ليل البندقية» لم يهجر موسيه الفن المسرحي ، بيد أن المسرحيات التي نشرها في «مشهد في مقعد» ، ثم في «كوميديات وأمثال» كانت مكتوبة من أجل القراءة وليس من أجل العرض . فـأصبح في مقدور موسيه ، وقد تحرر من قيود المسرح ، أن يطلـق العنان لفنتازيته ، ويخاطـب الخيال والحلم ، إنـه يكثر من المشاهـد المحددة بإيجاز: صالون ، غابـة ، شارع ، نبع ، ويجري الحدث في إيطاليا ، وبافاريا ، وهنغاريا ، بل «حيثما شاء المرء»! أما الحبكة فهي تستطيع ـ على هواها ـ أن تنفرج ، وتنبسط ، وتتعقد أو تتخطـى المراحل برشاقة . هذا إلى أن الكاتب يمـزج بين الأنواع ، ويصور لنا نفسـه في أعماله فيحدثنا عـن ميول قلبـه ، وتجربته المريـرة أحيـانـا ، كل شيء مبـاح لـه ، غير أنـه يتصرف بدرايـة كبيرة .

مسرحياته الدرامية

إن «المشهد» (١٨٣٣) ينفتح عن «الكأس والشفتان»، وهي قصيدة درامية من خمسة فصول تدور حول شخصية فرانك الذي يعتبر نموذجا حياً للبطل الرومانسي. ثمة يأس غامض يتملكه، وهو ناقم على المجتمع وعلى الله، مما يجعله غاية في الأنانية، تتحكم به غريزته العمياء، لا المجد ولا الغنى سيجعله سعيدا، لأنه لا يزال يحن إلى البراءة التي فقدها، وحينما يعتقد أنه سينهل من كأس السعادة، إذا بالقدر يحطمها بين يديه.

أما «لورا نزاتشيو» فهي الدراما الرومانسية الوحيدة الجديرة أن تقابل بمسرحيات شكسبير. إنها مأساة لورانزو، قاتل الطاغية ألكسندر من جهة، ولوحة كبيرة تاريخية تمثل فلورنسا في القرن السادس عشر من جهة أخرى. وهي تطالعنا عبر مشاهدها التسعة والثلاثين ـ مواقع أثرية شهيرة، حدائق، شوارع، كنائس، قصور ـ بحشد من الشخصيات من جميع الفئات، بأهوائها الوضيعة، وطموحاتها السامية. يا للإيحاء بالحياة النابضة! يا للصبغة الواقعية المتأتية من اختيار فطن وموحٍ للوثائق الهامة!

مسرحياته الكوميدية

على توتر الدراما الشديد، يفضل موسيه الكوميديا حيث تتفتح عبقريته الفياضة بأناقة ورشاقة. ونحن حيال تشكيلة جد متنوعة: أحاديث صالون عادية (نزوة، يجب أن يكون الباب إما مفتوحا أو مغلقا)، أمثال (يجب عدم التكهن بشيء)، حبكات أكثر تعقيدا (فنتازيو، باربرين، الشمعدان) مسرحيات تتراوح بين الكوميديا والدراما (نزوات ماريان، لا مزاح في الحب).

في هـذه المسرحيات تتجلى فنتـازية مـوسيـه وعاطفيتـه في أعظم صـورهما . إن شخصياته تنقسـم إلى عائلتين : الشخصيات الهزأة من جهـة ، وهي دمى تثير السخرية ببلاهتها وميولها الوضيعـة ، ومن جهة أخرى الشخصيات الرئيسية ، وهي ذكية ، كريمة الشمائل ، مرهفة الحس ، مشغولة بشؤون القلب . فالموضوع الأزلي هو قطعا الحب بألوانه المتعددة .

شعور في أول تفتحه ، عاطفة قوية وأحيانا أليمة ، أو نزوة عابرة . إن عشاق موسيه أشخاص عفـويون ، يتمتعون بمشاعـر بسيطـة لا تعـرف الغش ولا الخداع ، فـدلالهم وحتى قسـوتهم ما هما إلا رد فعـل طبيعي لحب لا يعـي ذاته ، أو يشعـر بدهشة ساذجـة حين يلقى مقاومـة . وبالإضافة إلى المشـاهد المضحكة ، تسـاهم نـزوات الحب أيضا في مزج الفنتـازية بـالعاطفـة ، بيد أن الدعابة تنقلب فجأة إلى مأساة أحيانا .

من ناحية أخـرى تتميز كوميديات موسيه بغنائيتهـا وبعدها الإنساني . إن أحداثها الخيالية غالبا ، تجري في عالم مثـالي . ومع ذلك فنحن متأثرون للغاية ، ويتولد لدينا انطباع أن ما نـراه هو عين الحقيقة . هذا لأن قلب هذه الشخوص هو قلـب موسيه نفسـه ، وأن أبطاله يـأملون ويتـألمون مثله ، وبطلاتـه يشبهن النساء اللواتي عشقهن . وإن كانوا يهيمون في تأملات في الحب ، ونفسية المرأة ، والحياة ، فهذا لأنهم يعبرون عن الحكمة المتحررة من الوهم لرجل خاض تجارب كثيرة . إن فراسة موسيه المرتبطة بتجربته الخاصة لفي غاية الدقة والتنوع .

فنتازيـة خفيفة وعاطفة قـوية ، شاعـرية وذات بعد إنساني ، وهـذا التوازن الدقيق القائم بين الخيال والحقيقة يؤمّن لملاهـي موسيه مكانا مرموقاً في المسرح الفرنسي .

أضواء على مسرحية

«لا مزاح في الحب»

الحدث والبناء الفني

إن هذا الإلهام المتنوع الذي نـراه حسب الظروف قريحة كوميديـة، أو رهافة إحسـاس، أو عـاطفـة متـأججـة، ولكنـه شـاعـري دائما، ويسر تبـديـل الديكورات، ولا مبـالاة موسيه إزاء التمهيدات الظاهـرة، وأخيرا هذا الموضوع الغني الذي يمزج الحدث بالمناقشة، كـل هذه الخصائص تعطي المسرحية بناء حراً، نابضـا بالحياة، يفتن النفس بقـدر ما يدهشها. في أطـروحته عن مسرح موسيـه يرى لافوسكاد أن أصـالة الإبداع المسرحـي تقوم على عبقرية نـزوة بناء الحدث: «يقبل مسرح الخيـال الديكورات الأكثـر تنوعـا، والأكثر شاعـرية، ويستخدم الأساليب المعـروفة من غير أن يرضخ لها تماما، ويـرضى في مزاوجته بين الهزل والجد، بأغرب التشكيـلات وأكثرها إثارة»، إن مـزج الهزل بالجد من شأنـه، في الواقع، أن يحيّر بعض المشـاهدين، «فلا مـزاح في الحب» مسرحية جادة تتحول إلى مأساة قاسية ذات نهاية مفجعة، بينما يبقى الهزل التهريجي على الهامش. وهـذا ما يعبر عنه النـاقد فان تيغـم حين يقول: «خلافـا لما فعله في فنتـازيو، فـإن مـوسيه يفصـل هنـا بوضـوح بين العنـاصر الهزلية، والعنـاصر المأسـاويـة أو الجادة. إن المشـاهـد الهزليـة مـرتبطـة بـوجـود ثـلاث أو أربـع شخصيـات، في حين يتنامـى الصراع القائم بين بـارديكـان العاشـق وكامـي المتحاملة على الحب في مشاهد تتراوح لهجتهـا بين الوقار المرح والخطابة». على

أن هذا الفصـل لا يؤثـر، في حقيقة الأمـر، على وحدة المسرحيـة. وثمة ثـلاثة أسباب وراء ذلك. الأول يكمن في تنسيق الأحداث إذ هناك علاقة بين شغب المضحكين والحدث المسرحـي الأساسي. إن قـدوم بـلازيـوس وبلوش يعلـن بشكل كاريكاتوري عن وصول بارديكان وكامي، والزواج بين الشابين قد قرره البارون، هذا إلى أن المنـافسة بين بلازيوس وبـريدان ستؤدي، بعد مفـارقات ممتعة، إلى فتـح بارديكـان لرسـالة كامـي. أما السبـب الثاني فهـو أن تعارض العنصرين يضفي بعداً آخر على المسرحية، فالاهتمامات الوضيعة للشخصيات الهزأة، وتفاهة تعليقـاتها تعزل الشخصيات الأساسيـة في صراعها المميت. إن مأسـاة الكبرياء والحب شاهـدها الوحيـد الغباء البشري. أخيرا تمثل المشـاهد الهزلية، التي تكثر في الفصلين الأولين حيـث يترابط الحدث الأساسي، وقفات ضرورية: انفراج وترقب. فالمشاهد يضحك ضحكة شبه ميكانيكية، ويتسلى للحظة بتكشيرات الـدمى، فإذا هو مستعـد ليعيش، باهتمام متجدد، حـدثا نضـج أثناء الفـواصـل الترفيهيـة. على العموم، فـإنـه شعـور بغنى المسرحيـة وتنوعها، فلاتشتت بالنسبة للذي يريد أن يسترسل إلى حركة الحدث في جملته، ولا ضجر ونفاذ صبر. وهكذا فـإن الفنتازية الساخرة للمشاهـد الهزلية تقابلها الفنتازية الرومانسية للحـدث الرئيسي، وهي لا تسيء إلى التركيز الدرامي. ألا يتوجب علينا أن نعتبر كل ذلك ضرباً من الـرومانسية؟ لنسمتع للافوسكاد إذ يقول: «إننـا نجد بعض الصبينة في لعبـة الغميضة أو الاستغماية الجميلـة التي يلعبها كل من بارديكان وابنة عمتـه. أحدهما يرقب حشائش تتحرك، والآخر يختبىء خلـف شجرة، بـارديكان يصـادر ويقرأ رسـالة كـامي... » غير أنها صبينة شاعر، ورقة ابتسامة شابة وسط قساوة المأساة. والحوادث المفاجئة التي

تطالعنا في الفصل الثالث ليست حريّة أن تزعج إلا ناقدا متزمتا لأنها ـ وهذا ينسحب أيضا على السمات الرومانسية ـ تسير ضمن خط الحدث ذي الوحدة القوية المحفورة في نفس الشخصيات منذ البدء. كامي تعود من ديرها وباردیكان من جامعته. ثمة وحدة زمن شبه كلاسيكية ستحكم مسيرة الحدث: ففي غضون الأيام الثلاثة التالية، تفارق روزات الحياة، ويفترق بارديكان وكامي إلى الأبد.

إن دراسة تطور الحدث تظهر لنا بساطته: الشخصيات تفاجأ في لحظة اختيار، رفض كامي عن سابق تصميم، يخلق المأساة، خيبة أمل بارديكان تدفعه نحو روزات، الغيرة الخفية لكامي ورغبتها في أن تقف على حقيقة مشاعرها تقودان إلى مشهد النبع: وهي مجابهة تنتهي بالفشل ويمكن أن تكون خاتمة. بيد أننا نشعر أن كل شيء لم ينته بعد، رسالة كامي ما هي إلا حيلة رومانسية، غير أنها تبدو مقنعة بعد المشهد الكبير، انتقام بارديكان يجر إلى انتقام كامي، وروزات ستكون الضحية. الحقيقة أنه لولا لعبة الغميضة الجميلة لما تيسر لكثير من الأمور أن تحدث، لقد استخدمت الحقيقة الإنسانية الأساليب الروائية، وهي وحدها ذات الأهمية.

الشخصيات

الشخصيات الهزأة: رغم أن البعض أشار إلى تأثير شيكسبير إلا أن طريقة موسيه أصيلة كل الأصالة. إنه يرسم الملامح الرئيسية لهذه الدمى بقسوة بالغة: خطوط واضحة بارزة، تكرار، تناظر. إننا حيال هندسة ساخرة ومقولة برغسون الشهيرة عن الضحك ـ «طبقة من الأفعال اللاإرادية الآلية مغلّفة للعنصر الإرادي الإنساني» ـ تنطبق بيسر على هذه الشخصيات. إن الكاتب

يأخـذ نفسه بتبسيطها، فيجردهـا من آدميتها ويحوّلها إلى دمى لكـن هذا الهزل ليس اعتباطيا إذ أن احتقار موسيه يـرافق شخصياته. ماذا يعيب عليهـا؟ أنها لا تهتم إلا بشهواتها ولا تحفل بالذين يتألمون؟

لا ريب في ذلك، لكن هناك هدفا نقـديا واضحاً نستخلصه من دورهـا. ما القاسم المشترك ـ في الواقع ـ بين هذه الدمى؟ إنه التناقض بين خمول فكرها وفخامة وتكلف لغتها، إنه أيضا غرورهـا النابع من شعور مضحك بأهميتها. ومايعطي هـذا الانتقاد أهميته هو أن هؤلاء الأشخاص «الهامين» ليسـوا كذلك إلا في نظـرهـم فقط. فـرغـم أنهم يغـالـون، في أنفسهـم، بأهميتهـم في نظـر الآخريـن، فإنها حقيقة واقعـة. قد يبدو لنا البـارون مزهواً على نحـو مضحك بلقـب محصل، إلا أن هـذا لا يغير شيئـا من كـونه سيـد المكـان، ومن جهـة أخـرى، موظفـاً ملكيـا، يستقبل في البـلاط. وتحتـه بدرجـة يتمتـع كل مـن بلازيـوس وبريـدان وهما رجلا ديـن كلاهما، والسيـدة بلوش المربيـة الورعـة لكامـي، بمكانة اجتماعية. يقـول الناقد آلان: «ثمـة انتقام جميل عن طـريق الضحك مـن الاحترام غير الواجب. . . إن الأهميـة البالغـة، دون أي أهمية، هذه هي السخريـة» من السهل على المشاهد أن يعيد مـن يدعون «الأهمية» في «لا مزاح في الحب» إلى مكانهم غير الهام.

إن هذا المغزى العام للنقد يجب ألا يمنعنا من ملاحظة نزعته المعادية لرجال الدين، لقد اضطر موسيه، مـن أجل العرض الأول لمسرحيته أن يرضى بجعل بريدان كاتب العدل بالقرية وليس خوري الكنيسة. فجميع كهنة موسيه، كما يقول هنـري لوفـافر، كـريهون وهزآت. أضـف إلى ذلك أن رسـم هذه الـدمى الكهنـوتية الثـلاث ينسجـم أي انسجـام مع الانتقـاد الـلاذع الـذي يوجهـه بارديكان إلى حياة الأديرة والذي يبرره مجرى الحدث الرئيسي.

إن بساطـة الطريقة ووحدة النقـد لا تسيئان إلى الحياة الخاصـة، الحياة الكاريكاتورية لهذه الدمى المضحكـة. الآلية هي نفسها، بيد أن كل دمية لها ألوانها وتكشيرتها، والعلامة الجسدية الفارقة يرمز إليها أثناء الحركة، على وجـه الخصـوص: ذراعـا البـارون ترتفعـان بجـلال، الكـرش المستـديـرة لبريدان أو بـلازيوس تستدير أكثـر لدى اقترابها من المائدة، أما بـالنسبة للسيـدة بلـوش، فهـي تشنجـات عضليـة لمرفقيهـا الحاديـن ولشظيتيهـا اليـابستين. إن كلاً مـن أربعتهم لـه المكـان المفضل الـذي يعطي مغـزى لحياتهم: فالبارون يلجأ إلى غرفة مكتبـه كلما صادفته مشكلة شائكة، وكل مشكلة شائكة بالنسبة له، والسيدة بلوش في الدير مع يمامتها العزيزة، أما بلازيـوس وبريدان فتجتـذبهما قاعـة الطعام على حد سـواء: إنهما يسعيان أحدهما بالآخـر عند البارون من أجـل كرسي الشرف على المائدة، والحق في الحصول على لسان السمكة الوحيـد. أخيرا تتميز لغتهم المتكلفة والمعقدة ببعض الخصائص الـذاتية، ففخامة كـلام البارون مرتبطة بغـروره، بيد أن التكـرار المعهود للعبـارة (والثانيـة تضعـف الأولى) يظهر لنـا العجز التـام للشخصية، ولاتينيـة بلا زيـوس ومعرفته المتكلفـة المرهقة تقـابلها غنـائية بريـدان المضحكة، أما مفـردات السيدة بلوش فهـي مسخ كاريكـاتوري لكتاب ديني. إن كـل واحد من هذه الدمـى المضحكة يعبر أصدق تعبير عن طبعه الخاص من خلال طريقته في الابتعاد عن البساطة الفطرية.

بارديكان: ليس ثمة خفاء في شخصية بارديكان، وهذا لا يعني أنه يفتقر إلى العمق في أول ظهـور له، نـراه يجسد الشباب الظـافر، المنفتـح على الحياة، المتأهـب للحب والسعادة. وفي ظهـوره الأخير يجسد الشباب اليـائس، الذي

يحطمه خطأ لم يتوقع نتائجه. وبين الفترتين تتكشف الملامح الرئيسية لشخصيته.

إنه يُقدّم إلينا ككائن متميز: «لا بد أنك قد تعلمت الكثير في فترة قصيرة بعقلك وقلبك هذين». هكذا تقول له كامي، وهي بهذا إنما تؤكد رأيا اشتمل عليه كلام القرويين المقرون بالاحترام، فالقرية معجبة بارديكان بقدر ما تحبه. الفكر؟ إن بارديكان عالم، بيد أن الجامعة التي منحته شهادة الدكتوراه لم تجعل منه متحذلقا، بل إن هذا العالم ذا الواحد والعشرين عاما يبدو لنا زاهدا بعض الشيء في هذه العلوم التي تلقاها، ويلتمس من الأشجار والمروج نسيان ما يعرفه. وقد منحه موسيه، بالإضافة، ذكاء ناقدا يمكنه، عند اللزوم، من أن يتحدث باعتدال ودقة، وهو حاضر الجواب، يتقن التهكم: وهذه السمة الأخيرة تفسر بلا ريب تشككه في موضوع الدين. ولا مجال لأن نهمل ملامح شخصيته هذه، فبواسطتها تتلون وتتعمق الحياة الدرامية للشخصية، إذ تبعث فيها تناقضات تقربها من الواقع.

القلب؟ غني في الحياة العاطفية، جموح في الخيال، طبع انفعالي عاطفي تلك هي السمات الثلاث الأكثر سطوعا، والأكثر خطورة... يقول شينييه: «القلب وحده شاعر» إن هذه العبارة الشائعة جداً تأخذ معناها الأدق حين نسمع حديث أبطال مسرح موسيه. ولغة بارديكان ذاتها تكشف لنا عن هذه القريحة الشعرية التي إن لم ندركها حكمنا على أنفسنا بأننا لم نفهم اللغة إلا بشكل سطحي. ففي اللحظات التي يكون فيها الانفعال في أوجه، إذا بالجملة ينساب فيها النغم، والصور تتدفق، والغنائية والخطابة تندمجان: إن حقيقة القلب تتجلى بالطريقة الوحيدة المتوافرة لها. هذه الحقيقة غذاؤها

الذكريات. فالماضي يعيش بحدة عند هذا الشاب الذي تبدو أحلامه أحيانا خلفه، لقد رأينا وطأة الحنين إلى الماضي في المسرحية، وهو حنين إنما يظهر عند بارديكان على وجه الخصوص، فيشعره رفض كامي بقسوة أشد. وإن كان صحيحا أن يغازل روزات لأن جمالها يستهويه، فليس أقل صحة أن الانعطاف الذي يشعر به نحو الفلاحة الشابة يستمد من هذه الذكريات البعيدة، التي يزوقها الخيال، بنبرته المؤثرة. بيد أن واسع الخيال يتحول بيسر إلى انفعالي. وبارديكان حينما يتألم قد يضرب. ففي نهاية مشهد النبع، فإن الغضب هو الذي يملي عليه جوابه. إنه يشتم الراهبات لأنهن سرقن منه كامي، ويشتم ـ أو يكاد ـ هذه «الفتاة التعيسة» لأنها سرقت منه الحب الذي تدين له به. وجوابه يضرب على الوتر الحساس، إلا أن عنفه ذاته يفرّق بين الشابين، فبعد قراءة الرسالة الموجهة إلى الأخت لويز، تملي عليه نزوة عمياء موعده مع روزات. قد يكون الباعث على ذلك هو رغبته في إثارة غيرة كامي، لكن يجب ألا ننظر إلى تصرفه هذا على أنه تدبير من زير نساء عديم الذمة. إن بارديكان يائس، وهو يريد أن ينتقم، وبصفة أخص للألم الذي شعر به منه للإهانة التي لحقت به. هل هو حقا متكبر؟ إن كامي تتهمه بذلك وهو نفسه يعترف بذلك في المصلى. على أنه قال لكامي في بداية الفصل الثاني: «الكبرياء ليست من شيمي، إني لا أبالي لا بحلوها، ولا بمرها» من جهة أخرى، فإن كلمة من كامي تجعله يجثو عند قدمي الفتاة الشابة. الحقيقة أن بارديكان يعاني من حساسية مفرطة أكثر مما يعاني من الكبرياء من هذا المنظور يجب أن نرى ـ ونحدد ـ مسؤوليته في الفاجعة النهائية. إن عناده في المشهد السابع من الفصل الثالث، يصدر عن معرفة ساذجة بشؤون القلب رغم الخليلات اللواتي اعترف بهن. فهو لا يفطن في الواقع إلى حقيقة أمر كامي إلا عندما تفر بعد أن نادته.

وحينما تصلي في المصلى تتضح له الحقيقة. بيد أن قراره الزواج من روزات كان صادقاً، أو، بعبارة أدق، كان يجهل أنه لم يكن كذلك. إن سلوكه يبدو منسجما مع شخصيته.

يقول جان بوميه في معرض حديثه عن موسيه وقد شرع بكتابة «لا مزاح في الحب»: «الموت الذي فكر فيه إنما هو موت العاطفة، إننا نموت على مراحل، ونسير فوق أنقاض، الحب يذوي وهو الذي كان يظن نفسه خالداً» يجب ألانبحث، في مسرحيتنا هذه عن أصداء لحادثة البندقية التي عاناها موسيه مع جورج صاند، إلا أن هذه الحادثة ما كانت حريّة ألا تؤثر على تأليفها. فبارديكان، من أكثر من جانب، يمثل موسيه في تلك الحقبة القاسية من حياته. وليس ذلك بأفكاره عن الأديرة وخلود الروح فحسب، بل بمفهومه عن الحياة وبشخصيته كلها.

كامي : إن أكثر شخصيات موسيه أصالة تدين أولا بهذه الأصالة لمفهومها الدرامي. حينما تظهر كامي على المسرح، يكون خلفها شخص غير مرئي يملي عليها سلوكها، ويحاول جاهدا أن يلقنها كلماته، وهو استلاب حقيقي يتكشف لنا في منتصف المسرحية، إلا أننا نقدر أن نستشفه منذ البداية. إن كامي في المشهد الأول جافة، متعجرفة، متحشمة، منطوية على نفسها وكأنما تطرح أكثر الارتباطات الدنيوية شرعية، ووميض صوفي في نظرتها. لكن اعتقادها الموهوم بأنها مطلعة على أهواء النفس البشرية يعمي بصيرتها، فإذا بها تجهل نفسها. فإلى جانب التأثير الشديد في الظاهر للدير تطالعنا رغبتها الخفية في التحرر منه. إنها تسعى إلى ذلك جهدها، من حيث لا تدري بلا ريب، ومشهد النبع يكتسب من هذا المنظور طابعه المؤثر للغاية. وهي تقر بهزيمتها

في المصلى. إنها لم تحتج إلى أكثر من ثلاثة أيام كي تقف على حقيقة مشاعرها، ومع ذلك فقد فات الأوان على السعادة. من وجهة نظر عامة، فإنها حكاية دافع ديني أثاره إيحاء خارجي وينتهي به الأمر إلى أن يرضخ لواقع الحب. ومن وجهة نظر خاصة، فإن حالة كامي قد وضحها فرانسيسك سارسي بدقة: إن نفسية الفتاة الشابة تشبه إحدى تلك المخطوطات التي كتبت عليها روائع العصور القديمة، والتي يقوم الرهبان بحكها لينسخوا عليها نصوصاً دينية يستشف العلم الحديث من خلالها النص القديم: إن كامي الأولى هي صنيعة الراهبات والأخت لويز، وسيمحو الحب كامي هذه، على أن النص الأول سيظهر ثانية. من غير تغيير؟ قد يكون ذلك غريبا، لأن النفس البشرية ليست مخطوطة. فكامي التي تعيش أمامنا خلال الأيام الثلاثة تطالعنا بطبع مزدوج: إنها تلميذة راهبات في الثامنة عشرة من عمرها، وامرأة محنكة (بالوكالة): ثوب نزيلة وفستان سهرة. وهذا ما يفسر لنا، في استجوابها لبارديكان امتزاج الجرأة ببعض البراءة.

وهذا ما يبرر لنا في آن واحد الطابع الرومانسي لبعض تصرفاتها، والبراعة الشديدة لمناوراتها الإغرائية. من المحتمل أن نفكر أنها تمتلك في هذا المجال المعرفة الغريزية للمرأة، ولابد لنا أيضا من أن نعتقد أن أحاديثها مع لويز قد أنضجت هذه المعرفة. إن ازدواجية الشخصية توضح لنا تلك الخلفية من المرارة وحتى من اليأس: فهي ترغب أن تحيا، بكل قواها الشابة، والدير يحرّم عليها أن تؤمن بالحياة. في هذا الصدد تقول كامي لبارديكان: «إن حياتي كلها على شفتي (الحياة الوهمية التي عاشتها، وحياة الحرمان التي تنتظرها)، وكل ذلك كئيب، كئيب» هذا الافتقار إلى البهجة يطعن في تدينها.

إن كان المفهوم الـدرامي يفسر هذه الازدواجية، فلا ننس أنـه نفسه تحكمه الحقيقة السيكولـوجية. ولقد تيسرت هذه الازدواجية، في الواقـع، ليس بفعل مـؤثرات خـارجيـة فحسب، بـل بفعـل طبيعـة كامـي نفسهـا، فهي تتمتـع بشخصية واضحة المعالم («كائن فذ» كما يقول لا فوسكاد) لكنها لا تخلو، على كل حال، من التنـاقضـات والغموض، ونحن، إذ نلاحظ مـع بيار غاستينال أن«كامي هي أشد بطلات موسيه تعقيـدا، وغموضاً، رغم أنها أكثرهن تبريراً لسلوكها». يمكننا أن نحاول إضاءة بعض جوانب شخصيتها. كان لا بد من اقتران خيال قوي بإحساس مرهـف، لإذكاء جذوة هذا الحماس الداخلي الذي عرفته خلال أربع سنوات، حينما كانـت تعبد، مثل «جراح يسوع»، ذكريات لويـز، وإذ كانت تجسدهـا في وجه جديـد ألا وهو وجه بارديكـان. أو ليست هذه السنوات الأربع هـي التي في الواقع، أعطت معنى للغـراميات الطفولية؟ إلا أنه يبقى، بطبيعـة الحال، أن بارديكان يقف حيال امـرأة تقول إنها أحبته، وإنها قد تعذبت. هذا الحب وهذا العـذاب، تحللهما بوعي. ورغم خطئها في إدراك حقيقـة مشاعـر لـويز، فـإن كـامـي تظهر لنـا فطنـة جدا، فهـي نظيرة بارديكان في المنـاقشة. إنه يعيب عليها كبريـاءها وهي حقا تبدو نـزقة وغيورة (هذه الغيرة هـي التي ستسبب النهايـة) ثم إنها تتصرف كأرستقراطيـة، ونحن نلمح عندها استعلاء طبقيا أكثر منه عند بارديكان. . إن شفقتها المتعالية على روزات، تزعجنا، بيد أن موقفا آخر كان من شأنه أن يكون تقليديا: لقد صور موسيه كامي دون أي تنازلات للجمهور. فـالكبرياء هي ثمن النبالة الحق، في اللحظات العصيبـة تجد كامـي نبرات تستثير حميتها الإعجـاب. وفضلا عـن الكبرياء، فهي تتصف بـالتصلب. لقد كان اختيارها للحـب الإلهي صادقا: بيد أنها تفـر أمام حب إنساني تحقـق لها بؤسه، إنها تـرفضه لأنه ليس خـالدا. ولعل أعمق شيء، في هذه النفس المضطرمة والأبية، هو تعطشها للمطلق.

روزات : إنها بسيطة وتثير الشفقة. من حياتها كفلاحة صغيرة، نحن لا نلمح سوى بضع إشارات مبهمة نوعا ما: طيف القرية، الحقل الصغير، أحاديث الفلاحين، النافذة حيث تغني. . . وتتحدث عن قلنسواتها. إننا لسنا حيال فتاة قوية من فتيات الحقول، بل حيال طفلة هشة. لذا فإن ما يهمنا هو أن بساطتها تناقض تعقيد بارديكان وكامي، وأن واقعها الاجتماعي وهذه البساطة بالذات يجعلان منها ضحية لا حول لها ولا قوة «إني (روزات) لا أحسن الكلام كثيرا، وأنا ألاحظ ذلك حالما أريد أن أقول شيئا». الحقيقة أن موسيه أعطاها لغة تتناسب مع طبعها الصريح وواقعها المتواضع. فلا خطابة ولا أجوبة طويلة، بل إيضاحات ساذجة، بريئة بعض الشيء عندما تشرح موقفها، وأحيانا بعض من الثرثرة، ولكن أيضا، بين الفينة والأخرى، تخمينات صائبة. ولئن أغلق لها الخجل فمها، في الغالب، فإننا نحس مع ذلك، عبر هذا الخجل، بعمق مشاعرها. فهاهي ذي تقول لكامي التي حطمت آمالها: «إني، للأسف، لا أعلم شيئا عن ذلك». إن هذا الاحتشام لهو مصدر شاعرية. وروزات منسجمة والطبيعة، هذه الطبيعة النضرة واللطيفة التي يحبها بارديكان، والتي ترمز، في صمتها، إلى الحقيقة الوحيدة المهمة ألا وهي حقيقة القلب. من هنا يتعمق ألم الدور. فمن بين الشخصيات الأساسية الثلاث في مأساة الحب، فإن روزات هي الوحيدة التي يمكنها أن تدعي البراءة، بل إنها تجسد البراءة المضحّى بها. وهذا ما يبرر النهاية المفجعة. إن الحب الذي أثاره بارديكان في قلبها لم يلق أي مقاومة من هذا الكائن الغريزي. بعد مشهد الفصل الثالث حيث كانت تستمع، وهي منحنية فوق النبع، إلى هذه «الكلمات المتأججة الموجهة إلى سواها»، والتي

تـؤنب كـامي بـارديكان عليهـا، فـإن روزات يتملكها ذلـك الحب حتى إنـه يرهقها. وبدءا من هذه اللحظة تسير المسرحية نحو نهايتها المأسوية. إن اغماء روزات هو إنـذار لا تلقي إليه كـامي وبـارديكان بالا. وفيما بعـد تبذل روزات مجهودا يـائسا حتـى تتخلص مـن حب تـرى أنه سيكـون قاتلهـا، سيقسم لها بارديكان أنه سيتـزوجها، وخيبة الأمل ستقتلها. وهي نهايـة رومانسية تنسجم ومفهوم موسيه عن الشخصية.

موسيه والحب

أشرنا أثناء الكلام عن حياة موسيه إلى أنه عاش مع جورج صاند قصة حب أليمة تميزت بـالخيانة وبسلسلة متتـابعة من الصلح والخصـام. إن قصة الحب هذه كـان لها تأثير كبير على نفس الشاعـر والمؤلف المسرحي بحيـث إن بعض النقاد، مثل مـوريس آلام، لم يترددوا في تفسير أغلب مسرحياتـه على ضوئها. ونحـن من جهتنـا، إذ نقـرأ «لا مـزاح في الحب» و«يجب أن يكون البـاب إمـا مفتوحا أو مغلقاً» لا يسعنا إلا أن نشاطر هؤلاء النقاد رأيهم. فالموضوع الرئيسي الذي يـدور حوله المثـلان المسرحيان هو الحب. نـاهيك بأن عنـف المحاورة، والنبرة الخطابية ينمان بوضوح عن مدى تقديس موسيه لهذه العاطفة النبيلة التي بقي مؤمنا بها، رغـم تجربته القاسية مع جورج صاند، والتـي مازال ينظر إليها على أنها أعظـم وأنبـل شيء في هـذا العـالم. فبـارديكـان يعتبر الحب شيئـا «مقدسا، سامياً»، والكونت يعتبره «خالدا».

هذا الإيمان الشـديد بالحب هـوالذي يدفع مـوسيه إلى التصدي لكـل من تحاول الإساءة إليه والتقليـل من شأنه، فيفضـح النفاق ويعـري المواقف مظهرا زيفها وخداعها: إنه يتهم النساء بـالكذب، فهن يتظاهرن باحتقار الحب بينما

هن، في الـواقع، يتحرقن شـوقا إليه، فها هـو الكونت يقول للمـركيزة: «لما تضعين هذه الدنتلا، وماذا تفعل هذه الشرابة فوق رأسك؟» وهل هناك ما ه أدل على هذا الكذب والخداع مـن اعتراف كامي في المصلى بحبها لبـارديكان ومن موافقة المركيزة على الزواج من الكونت؟!.

شخوص المسرحية

ـ البارون

ـ بارديكان : ابنه

ـ السيد بلازيوس : مؤدب بارديكان

السيد بريدان : الخوري، راعي الكنيسة

ـ كامي : ابنة أخت البارون

ـ السيدة بلوش : مربيتها

ـ روزات : شقيقة كامي بالرضاعة

ـ الجوقة : بعض القرويين

ـ فلاح

ـ خادم

عند العرض الأول في ١٨ نوفمبر سنة ١٨٦١ كان توزيع الأدوار كالتالي :

البارون : السيد م بروفست

بارديكان : دلوناي

بلازيوس المؤدب : باريه

بريدان، كاتب العدل : مونروز
كامي : فافار
السيدة بلوش : الآنسة جوسيه
روزات : الآنسة إما فلوري
جوقة الشباب : السيدة يوجين بروفست
جوقة المسنين : كوكلين الكبير
فلاح : ماسكيلية

الفصل الأول

المشهد الأول

(ساحة أمام القصر)

الجوقة هاهـو السيد بـلازيوس يتمايل بـرفق فـوق بغلته المتبخترة، ويتقـدم وسـط نبات الترنجـان المزهر، مرتديـا أحسن مـا لديـه من لبـاس، وعلبة أدوات كتـابته إلى جـانبه، إنـه يتأرجح على كرشه المتكور، مثل طفل فوق وسادة، ويردد، وقد أطبق جفنيه نصف إطبـاق، صلاة ربانية، بين طيات ذقنه الثلاث. السلام عليك يا سيد بلازيوس، أراك قدمت علينا إبان قطاف العنب كجرة قديمة.

بلازيوس من يرغب أن يسمع مني نبـأ هاما فليحضر لي أولا كوبا من الخمرة الطازجة.

الجوقة إليك قصعتنا الكبيرة، اشرب، ياسيد بلازيوس، الخمر لذيذة، ستتكلم فيما بعد.

بلازيوس فلتعلموا، يا أبنائي، أن الشاب برديكان، ابن سيدنا، قد بلغ سن الـرشد، ونال شهادة الـدكتوراه من باريـس. وهو عائد اليوم إلى القصر، وفمه ممتلىء بكلمات وتراكيب بديعة، منمقة بحيث لا يعرف المرء بم يجيبه في أغلب الأحيان. لله مـا أظرفـه! إنـه كتـاب من ذهـب، إذ لا يـرى على الأرض عشبة إلا أخبرك عن اسمها باللاتينية، وحين يكون ثمة ريح

أو مطـر، يحدثك بـوضوح عـن السبـب. وسوف تفتحـون أعينكـم مثل ذاك البـاب، متى رأيتمـوه يبسـط واحدا مـن الرقـوق التي لـونها بألـوان متعددة، بيـديه هـو، ومن عنـد نفسه. وخـلاصة القول إنه جـوهرة عظيمة من رأسـه حتى قدميـه، هذا مـا جئت أزفـه إلى سيدي البـارون. أخالكـم تدركون الفخر الذي ينالني، أنـا الذي أقوم على تربيته مـذ كـان في الرابعـــة من عمره، لذا، يـا أصدقائي الطيبين، أحضروا لي كـرسيا كـي أنزل عـن هـذه البغلة دون أن تـدق عنقي، فالبهيمـة حرون بعض الشيء، ولا مانـع عندي أن أتناول جرعة أخرى قبل الدخول.

الجوقة اشرب يا سيـد بلازيـوس، واستعد قـواك. لقد شهـدنا ولادة الصغير بـارديكان، ومـاكان ثمـة حـاجة، إذ هـو عائد، أن تطيل الحديث عنه. عسانا أن نلقى الطفل في قلب الرجل!

بلازيوس لعمري إن القصعة فارغـــة، ما ظننتنـي شـــربت كـــل ما فيهـا. الوداع، لقد أعـددت في أثناء الطريـق، بضع جمل متواضعـة ستحظى بإعجاب سيـدنا. سأقـوم بقرع الجرس. (يخرج)

الجوقة هاهي السيدة بلوش ترقـى التلة، وهي تهتز بعنف فوق حمارهـا الـلاهـث. إن تـابعهـا المرتجف يضرب بعصـاه الغليظة الحيـوان المسكين، الذي يحرك رأسه قـابضا على شوكة بين أسنانه. ساقاها الطويلتان، الهزيلتان ترتعشان مـن فـرط الغضـب، بينما هي تخمـن بيـديها المعـروقتين حبـات سبحتها. صبـاح الخير، ياسيـدة بلوش، إنـك قادمة مثل الحمى، مع الريح التي تصفر في غاباتنا.

السيدة بلوش كوب ماء، أيها الوغد! كوب ماء، وبعضا من الخل!

الجوقة من أين أنت قادمة، أيتها الصديقة بلوش؟ شعرك المستعار يغشاه الغبار، وهاهي خصلتك قد فسدت، وثوبك المصون قد شُمّر حتى ربطتي ساقيك الجليلتين.

السيدة بلوش فلتعلموا، أيها الفلاحون، أن كامي الفاتنة، ابنة أخت سيدكم، ستصل اليوم إلى القصر. لقد غادرت الدير، بأمر سيدي، لتأتي في الوقت المناسب وتستلم حسب الأصول، تركة والدتها. إن فترة تعليمها انتهت بحمد الله، والذين سيشاهدونها سيبتهجون إذ يستنشقون أريج زهرة مجيدة تتضوع بالحكمة والورع. تالله لم يوجد أبدا أحد أنقى، وأجمل، وأودع، وأطهر من هذه الراهبة الغالية، رعاها الله! ابعد من طريقي، أيها النذل، يخيل لي أن ساقيّ قد تورمتا.

الجوقة أصلحي ثيابك، أيتها الكريمة بلوش، ومتى صليت، اطلبي من الله تعالى أن ينزل علينا المطر : إن سنابلنا جافة مثل ساقيك.

السيدة بلوش لقد جلبتم لي الماء في قصعة لها رائحة المطبخ، هيا ساعدوني على النزول، تبا لكم من حمقى، عديمي التهذيب. (تخرج)

الجوقة لنرتد ثيابنا الجديدة، ولننتظر أن ينادينا البارون. إما أني مخطيء تماما وإما أن هناك وليمة كبيرة ستقام اليوم (يخرجون).

المشهد الثاني

(صالون البارون) يدخل البارون برفقة بريدان وبلازيوس

البارون ياسيد بريدان، أنت صديقي، أنا أقدم إليك السيد بلازيوس، مؤدب ولدي. لقد بلغ ولدي في الساعة الثانية عشرة وثماني دقائق من يوم أمس، الواحدة والعشرين من عمره بالتمام والكمال، وهو دكتور بأربع كرات بيض(*). ياسيد بلازيوس، أقدم إليك السيد بريدان، خوري كنيستنا، إنه صديقي.

بلازيوس (محييا) بأربع كرات بيض، أيها المحترم! أدب، علم نبات، تشريع روماني، تشريع كنسي.

البارون هيا إلى غرفتك، أيها العزيز بلازيوس، لن يلبث ولدي أن يحضر. أصلح هندامك قليلا، وعد حين يقرع الجرس. (يخرج السيد بلازيوس).

بريدان هل لي أن أتكلم بصراحة، ياسيدي؟ إن مؤدب ابنك تفوح منه بشدة رائحة الخمر.

البارون هذا مستحيل.

---

* الكرة البيضاء : تشير إلى أن الطالب الممتحن قد كان متفوقا جدًّا.

بريدان أنا واثق من ذلك ثقتي بحياتي. لقد كلمني عن قرب، منذ هنيهة، وكانت الخمرة تنبعث منه بشكل لا يطاق.

البارون صه! إني أقول لك مجدداً: هذا مستحيل. (تدخل السيدة بلوش) هاأنت ذي، أيتها الصالحة بلوش! لا بد أن ابنة أختي معك.

السيدة بلوش إنها قادمة في إثري، لقد تقدمتها ببضع خطوات.

البارون ياسيد بريدان، أنت صديقي، وأنا أقدم إليك السيدة بلوش، مربية ابنة أختي. إن ابنة أختي بلغت، أمس الساعة السابعة مساء، الثامنة عشرة من عمرها، وهي خارجة من أفضل الأديرة في فرنسا. ياسيدة بلوش، أقدم إليك السيد بريدان، خوري كنيستنا، إنه صديقي.

السيدة بلوش (محيية) من أفضل الأديرة في فرنسا، أيها المحترم، وأستطيع أن أضيف: أفضل مسيحية في الدير.

البارون هيا، ياسيدة بلوش، أصلحي هندامك، إن ابنة أختي لن تلبث أن تحضر، هذا ما أرجوه. كوني جاهزة ساعة العشاء.

(تخرج السيدة بلوش)

بريدان إن هذه الفتاة العانس تبدو لي في منتهى اللطافة.

البارون في منتهى اللطافة وتأنيب الضمير(*)، يا سيد بريدان، إن عفتها لمنيعة.

بريدان لكن المؤدب تفوح منه رائحة الخمر، أنا واثق من ذلك.

البارون أحيانا، ياسيد بريدان، أشك في صداقتك. أتبغي معارضتي؟ كفى كلاما في هذا الموضوع. لقد عقدت النية على تزويج ابني بابنة أختي إنهما متوافقان، وتعليمهما كلفني ستة آلاف ريال.

بريدان لابد من الحصول على وثيقة إعفاء(**)

البارون إنها معي، يابريدان، وهي على طاولتي، في غرفة مكتبي. فلتعلم الآن ياصديقي، أني في غاية الفرح. وأنت تعرف مدى كرهي للوحدة. بيد أن مركزي ووقار ثوبي يضطرانني إلى البقاء في هذا القصر ثلاثة أشهر في الشتاء، وثلاثة أشهر في الصيف. يستحيل على المرء أن يسعد الناس بشكل عام، وأتباعه بشكل خاص، دون أن يعطي، أحيانا، خادمه الأمر الصريح بعدم السماح لأحد بالدخول. لله ما أصعب وأقسى اعتكاف رجل الدولة! وما أمتع أن ألطِّف، بوجود ولديّ المجتمعين من هذه الكآبة الشديدة التي تفرض نفسها عليّ منذ أن

---

* إن كلمة Onction تعني لطافة، أما Componction وهي كلمة مركبة من الكلمة الأولى فتعني «تأنيب الضمير»، والبارون قد استعمل هذه الأخيرة ظنا منه أنها أفعل تفضيل للأولى.

** بارديكان وكامي ابنا عم، والكنيسة تمنع مبدئيا هذا النوع من الزواج.

عينني الملك جابيا للضرائب!

بريدان هل سيتم عقد هذا القران هنا أم في باريس؟

البارون هذا ما كنت أتوقعه منك، يابريدان، لقد كنت واثقا من أنك ستسأل هذا السؤال. وبعد ياصديقي، ماذا تقول لو أن هاتين اليدين، نعم يابريدان، يديك أنت، لا تنظر إليهما بهذا الشكل المؤثر، سيقدر لهما أن تباركا علناً التصديق السعيد لأعز أحلامي؟ يا هذا!

بريدان لا أدري ماذا أقول، الامتنان يغلق فمي.

البارون انظر من هذه النافذة، ألا ترى خدمي يهرعون زرافات نحو البوابة؟ إن ولديّ أقبلا معا، في آن واحد، يا للتدبير الرائع! لقد رتبت الأمور بحيث لا أترك مجالا للصدفة. ستدخل ابنة أختي من هذا الباب، إلى اليسار، وولديّ من ذاك الباب، إلى اليمين. ما رأيك في كل ذلك؟ إني أشعر بفرح غامر إذ أتخيل كيف سيلتقيان، وماذا سيقول كل منهما للآخر، فستة آلاف ريال ليست بالشيء اليسير. ثم إن هذين الولدين تحابا بشدة مذ كانا في المهد. أي بريدان، لقد خطرت لي فكرة.

بريدان ما هي؟

البارون أثناء العشاء، لكن دون أن يبدو عليك أنك تتعمد ذلك، أظنك تفهمني، ياصديقي، وإذ تتجرع بعض كؤوس الخمر المنعشة أنت تعرف اللاتينية، يابريدان.

بريدان إيتا ايديبول*، أجل والله، إني أعرفها!

البارون سأكون في غاية السرور إذا ما رأيتك تتصدى لهذا الشاب، برصانة طبعاً، أمام ابنة عمته. فهذا إنما سيكون له أثر حميد. اجعله يتكلم بعض اللاتينية، ليس أثناء العشاء بالضبط، لأن هذا قد يصبح مملاً، ثم إني لا أفقه منها كلمة واحدة، ولكن أثناء تناول الحلوى. أتسمع؟

بريدان إن كنت لا تفهمها، ياسيدي، فمن المحتمل أن تكون ابنة أختك في نفس الوضع.

البارون وهو سبب إضافي، هل تريد من المرأة أن تعجب بما تفهمه؟كيف تفكر يابريدان؟ هذا منطق يدعو للرثاء.

بريدان إن معرفتي بسيطة بطبيعة النساء، لكني أرى من الصعب أن يعجب المرء بما لا يفهمه.

البارون إني أعرفهن، يابريدان، إني أعرف هذه المخلوقات اللطيفات، الغامضات. كن على ثقة أنهن يفضلن أن يذر الرماد في أعينهن، وأنه كلما كان كثيرا، فتحنها أكثر، ليأخذن منه كمية أكبر. (يدخل بارديكان من جهة، وكامي من الأخرى) صباح الخير، يا ولديّ، صباح الخير أيتها الغالية كامي، ويا أيها العزيز بارديكان! عانقاني، وتعانقا.

---

* عبارة لاتينية تعني «أجل والله»، إن بريدان كي يثبت علمه، قال: «أجل والله» باللاتينية قبل أن يقولها بالفرنسية.

بارديكان صباح الخير يا والدي، وياشقيقتي الحبيبة! ياللسعادة! يالسعادتي!

كامي أي والدي وابن خالي، السلام عليكما.

بارديكان هـا أنـت قـد أصبحـت شـابـة، وجميلـة مثـل البـدر، ياكامي!

البارون متى غادرت باريس، يابارديكان؟

بارديكان الأربعاء، أو الثلاثاء. لقد غدوت والله، امرأة! إذن أنا رجل بدوري! إني لأحسب ان ذلك كان أمس لما رأيتك صغيرة هكذا.

البارون لا بد أنكما متعبان، فالطريق طويل والجو حار.

بارديكان كلا، كلا. ولكن انظر، يا والدي، ما أجمل كامي!

البارون هيا، ياكامي، عانقي ابن خالك.

كامي آسفة.

البارون الإطراء يستحق قبلة، قبّلها، يابارديكان.

بارديكان مادامت ابنة عمتي ترتـد إلى الوراء حين أمد إليها يدي، فـإني أقول لها بـدوري : آسـف، قد يستطيـع الحب أن يسرق قبلة، ولكن لن يحظى بالصداقة.

كامي ليس للصداقة أو الحب أن يحظيا إلا بمثل ما في وسعهما أن يقدماه.

البارون (مخاطبا بريدان) إنها بداية لا تؤذن بالخير، أليس كذلك؟

بريدان (مخاطبا البارون) الحياء إن زاد عن حده كان عيبا بلا ريب، بيد أن الزواج يزيل الكثير من المخاوف.

البارون (مخاطبا بريدان) إني متكدر، مجروح. لقد أغضبني ذلك الجواب «آسفة». ألاحظت أنها تظاهرت برسم إشارة الصليب؟ « **تعال كي أكلمك** » إني مستاء كل الاستياء. هذه اللحظة التي كان يفترض بها أن تكون غاية في اللطافة قد فسدت نهائيا ـ إني منزعج، مغتاظ ـ تباً! هذا فأل شر.

بريدان قل لهما شيئا ما، ها هما يولي أحدهما ظهره للآخر.

البارون وبعد! يا ولديّ، فيم تفكران بربكما؟ ماذا تفعلين هناك يا كامي أمام تلك اللوحة؟

كامي (تنظر إلى لوحة) إنها صورة جميلة، ياخالي! أليست أخت أحد أجدادنا؟

البارون نعم، يابنيتي، انها أخت جدتك. وهذه السيدة العزيزة لم تساهم أبداً من جهتها، على ما أظن، اللهم إلا بالصلوات ـ في زيادة عدد أفراد العائلة ـ لقد كانت، لعمري، امرأة قديسة.

كامي أجل إنها لقديسة إنها جدتي إيزابيل، ما أجمل الملابس الدينية عليها.

البارون وأنت، ياباردیکان، ماذا تفعل أمام أصيص الزهور هذا؟

باردیکان انظر إلى هذه الزهرة الرائعة، ياوالدي. إنها تدعى رقيب الشمس.

البارون أتمزح! إنها بحجم الذبابة.

باردیکان هذه الزهرة التي بحجم الذبابة لها قيمتها.

بريدان لاشك في ذلك! الدكتور على صواب. اسأله إلى أي جنس، إلى أي فصيلة تنتمي، ماهي الأجزاء التي تتركب منها، من أين تستمد عصارتها ولونها. فيخلب لبك إذ يعدد لك ظواهر هذه العشيبة، من جذرها حتى زهرتها.

باردیکان إن معلوماتي ليست بهذا الحجم، أيها المحترم. أنا أجدها زكية الرائحة، فحسب.

المشهد الثالث

(أمام القصر)

الجوقة ثمة أشياء عديدة تسرني وتثير فضولي. تعالوا، يا أصدقائي، نجلس إلى شجرة الجوز هذه. في هذه اللحظة يتواجه في القصر أكولان عظيمان وهما السيد بريدان والسيد بلازيوس. ألم تلاحظوا شيئا؟ إنه حين يلتقي مصادفة شخصان متشابهان تقريبا، من حيث الضخامة والغباء، ولهما نفس العيوب والشهوات، فلابد بالضرورة من أن يتحابا أو يتباغضا. ونظرا لأن الأضداد تتجاذب، وأن الرجل الطويل النحيل يحب الرجل القصير البدين، والشقر يميلون إلى السمر، والعكس بالعكس، فإني أتوقع معركة خفية بين المؤدب والخوري. فكلاهما وقح، كلاهما له بطن كالبرميل، إنهما ليسا شرهين فقط، بل ذواقتين أيضا، وهما سيتنازعان على العشاء، ليس من أجل الكمية فحسب، بل من أجل النوعية أيضا، إن كانت السمكة صغيرة، فما العمل؟ وبطبيعة الحال، لا يمكن للسان الشبوط أن ينقسم، ولا يمكن لسمكة الشبوط أن يكون لها لسانان. ثم إنهما ثرثاران كليهما، لكن يقدران، عند الضرورة أن يتكلما معا، دون أن يصغي أحدهما للآخر. ومنذ هنيهة

أراد السيد بـريدان أن يوجـه إلى الشاب بارديكـان بضعة أسئلـة متكلفـة، فما كـان مـن المؤدب إلا أن قطّـب حاجبيـه، إنه يستاء إن حـاول شخص سـواه أن يمتحن تلميذه. وأيضا هما في الجهل سواء، هذا إلى أنهما كاهنان كليهما. فهذا سيتباهـى بمنصبه الديني، وذاك بـوظيفته كمـؤدب، السيد بـلازيـوس يعترف لـه الابن، والسيـد بـريدان يعترف لـه الأب. إني أراهما متكئين على المائدة، وقد انتفخت أوداجهما، وجحظت أعينهما، يهزان بحقد ذقنيهما ذواتا الطيات الثلاث. كل منهما يصعد نظراته في صاحبه، ويجربان صوتيهما بمنـاوشات خفيفة، وسرعان ما تنشـب الحرب، فإذا الادعـاءات الفارغـة، من جميـع الأنواع تتـلاقى وتتبـادل، وما يـزيد الطين بلـة، هو أن السيدة بلوش تتحرك بعنف بين السكيريـن، فتدفع كل منهما بمرفقيها الحادين. الآن وقد انتهـى الغداء، هاهم يفتحون بوابة القصر. وهاهي الشلة تخرج. لننتح جانبا. (يخرجون. يدخل البارون والسيدة بلوش).

البارون أيتها الجليلة بلوش، إني متضايق.

السيدة بلوش أمعقول هذا ياسيدي؟

البارون نعم، يابلوش، هذا معقول. لقـد كنت أنتظر منذ عهد بعيد، حتى أني كتبـت، ودونت ـ في دفتر مذكـراتي ـ أن هذا اليوم يجب أن يكون أجمل يوم في حياتي ـ أجل، أيتها السيدة الطيبة، أجمل يوم ـ إنك لا تجهلين أني كنت عازما

على تزويج ابني بـابنة أختي ـ لقد كان ذلـك مقررا متفقا عليه حتى اني فاتحت به بريدان ـ وأنا أرى، أظنني أرى، أن هذين الولدين يتخاطبـان بجفاء، بل لم يوجه أحدهما كلمة إلى الآخر.

السيدة بلوش ها هما قادمان ياسيدي، هل هما على علم بنواياك؟

البارون لقـد وجهـت إليهما بضـع كلمات في هـذا الشـأن، على انفراد. أرى من الأفضل، مادامـا قد اجتمعا سويا، أن نجلس في هـذا الظل، ونتركهما وحدهما بعض الـوقت. (ينتحـي جـانبا هـو والسيـدة بلـوش، تـدخل كـامـي وبارديكان).

بارديكان أتعلمين أنه لم يكن جميلا منك يـا كامي، أن تضني علي بقبلة؟

كامي هكذا أنا، هذا طبعي.

بارديكان أتريدين ذراعي لنقوم بجولة في الضيعة؟

كامي لا، إني متعبة.

بارديكان ألا يسرك أن تكحلي عينيك ثانية بمرأى المرج؟ أتذكرين نزهاتنا في القارب؟ تعالي ننزل حتى الطواحين، سأقوم أنا بالتجديف، وأنت بإدارة الدفة.

كامي لا رغبة لي في ذلك.

بارديكان إنك تفتتين كبدي. عجبا! أما من ذكرى، ياكامي، أما من خفقة قلب من أجل طفولتنا، من أجل كل هذا الماضي المسكين، اللذيذ، الطيف، الملء بالحماقات الحلوة؟ ألا تريدين أن تأتي وتشاهدي الدرب الذي كنا نسلكه إلى المزرعة؟

كامي لا، ليس هذا المساء.

بارديكان ليس هذا المساء! متى إذاً؟ كل حياتنا هناك.

كامي لست طفلة بحيث أتسلى بلعبي، ولا عجوزا فأحب الماضي.

بارديكان ماذا تقصدين بقولك هذا؟

كامي أقول: ذكريات الطفولة لا تستهويني.

بارديكان هل هذا يضجرك؟

كامي نعم، إنه يضجرني.

بارديكان لك الله من طفلة مسكينة! إني أرثي لحالك كل الرثاء.

(يخرجان، كل منهما من جهة ـ يدخل البارون برفقة السيدة بلوش)

البارون ها أنت ترين بعينيك وتسمعين بأذنيك، أيتها الفاضلة بلوش، كنت أتوقع أعذب انسجام، ويخيل إليّ أني أحضر حفلة موسيقية يعزف فيها الكمان «قلبي يتأوه»

بينما يعزف الناي «عاش هنري الرابع». تخيلي النشاز الفظيع الذي ينتج عن تركيبة من هذا القبيل. إنما هذا ما يحدث في قلبي.

السيدة بلوش أتريد الصراحة؟ من المحال أن ألوم كامي، وأنا أرى أن النزهات في الزورق أمر يمجه الذوق السليم.

البارون أجادة أنت في قولك؟

السيدة بلوش إن فتاة محترمة لا تغامر بنفسها، ياسيدي فوق صفحات المياه.

البارون لكن هلا تذكرت، ياسيدة بلوش، أنه يجب على ابن خالها أن يتزوجها، وأنه والحال هذه. . .

السيدة بلوش التقاليد لا تحبّذ الإمساك بدفة، وإنه لأمر مشين أن تغادر الفتاة الأرض اليابسة، وحيدة برفقة شاب.

البارون لكني أكرر. . . إني أقول لك. . .

السيدة بلوش هذا هو رأيي.

البارون أمجنونة أنت؟ والله إنك تدفعينني إلى أن أقول. . . ثمة بعض العبارات لا أريد أن. . . والتي تأباها نفسي. . . إني أشعر بالرغبة. . . لعمري، لولا تمالكي لنفسي. . . أنت حمقاء، يابلوش! لا أدري ماذا أقول فيك. (يخرج)

المشهد الرابع

(ساحة) الجوقة، باردیكان

باردیكان صباح الخير يا أصدقائي. هل عرفتموني؟

الجوقة أيها السيد، إنك تشبه طفلا أحببناه كثيرا.

باردیكان ألستم أنتم الذين حملتموني فوق ظهوركم لأجتاز سواقي مروجكم، والذين أرقصتموني على ركبكم، وأركبتموني خلفكم على جيادكم القوية، وأفردتم لي أحيانا مكانا بينكم على موائدكم وقت العشاء في المزرعة؟

الجوقة نحن نذكر ذلك ياسيدنا. لقد كنت والله أكثر الغلمان شيطنة، وأفضل فتى على وجه الأرض!

باردیكان لماذا، إذا، لا تقبّلونني، بدلا من أن تحيوني مثل غريب؟

الجوقة رعاك الله، يا حشاشة كبدنا! كل واحد منا يرغب في أن يحملك بين ذراعيه، إنما نحن كهول، ياسيدنا، وأنت رجل.

باردیكان نعم، لقد انقضت عشر سنوات لم أشاهدكم فيها، وفي يوم واحد يتغير كل شيء. إني ارتفعت بضع أقدام نحو السماء، وأنتم ملتم بضع بوصات نحو القبر. رؤوسكم ابيضت وخطواتكم أصبحت أكثر تثاقلا، إنكم ماعدتم

تقدرون أن ترفعوا ولدكم السابق عن الأرض. إذا علي أنا أن أكون والدكم، أنتم، يامن كنتم أهلي.

الجوقة إن عودتك لهي يوم أسعد من يوم ولادتك، وإنه لألطف بكثير أن يلتقي المرء بمن يحب من أن يقبل مولوداً.

بارديكان ها هو هذا« وادي الغالي وجوزاتي، ودروبي الخضر، ونبعي الصغير» ها هي أيامي الخوالي تنبض بالحياة، ها هو العالم الخفي، عالم أحلام طفولتي! وطني! هذه الكلمة الغامضة! أفلم يولد الإنسان من أجل رقعة واحدة من الأرض، فيبني فيها عشا، ويعيش فيها ذات يوم؟

الجوقة قيل لنا إنك عالم، ياسيدنا.

بارديكان أجل، ولقد قيل لي ذلك أيضا. إن العلوم شيء جميل يا أبنائي، وهذه الأشجار. وهذه المروج تعلمنا بصوت عال، أجملها قاطبة هو أن ينسى المرء ما يعرفه.

الجوقة لقد حدثت تغيرات جمة أثناء غيابك. هناك فتيات تزوجن، وفتيان ذهبوا إلى الجيش.

بارديكان ستطلعونني على ذلك فيما بعد. إني أتوقع سماع أخبار جديدة، لكنني بصراحة لا أريد ذلك الآن. ما أصغر هذا الحوض! فيما مضى كان يبدو لي شاسعا. لقد احتفظت في مخيلتي بصورة محيط وغابات، فإذا بي أجد قطرة ماء وعشيبات. من تكون تلك الفتاة التي تغني على نافذتها، خلف هذه الأشجار؟

الجوقة إنها روزات، أخت ابنة عمتك كامي بالرضاعة.

باردیكان (يقترب) انزلي بسرعة، ياروزات، وتعالي هنا.

روزات (تدخل) نعم، ياسيدي.

باردیكان أتبصرينني من نافذتك، ولا تأتين، أيتها الفتاة الخبيثة؟ ناوليني بسرعة هذه اليد، وذينك الخدين كي أقبلك.

روزات نعم ياسيدي.

باردیكان هل أنت متزوجة ياصغيرتي؟ لقد قيل لي ذلك.

روزات كلا، كلا.

باردیكان لماذا؟ ليس في القرية فتاة أجمل منك. سنعمل على تزويجك، ياصغيرتي.

الجوقة ياسيدنا، إنها تريد أن تموت وهي فتاة.

باردیكان أصحيح ذلك، ياروزات؟

روزات كلا، والله!

باردیكان لقد حضرت أختك كامي. هل شاهدتها؟

روزات لم تمر بعد في هذه الأنحاء.

باردیكان اذهبي بسرعة وارتدي ثوبك الجديد. ثم وافيني في القصر من أجل العشاء.

المشهد الخامس

(القاعة) يدخل البارون وبلازيوس

بلازيوس ياسيدي، ثمة كلمة أريد أن أقولها لك، إن خوري الكنيسة رجل سكير.

البارون أف! هذا مستحيل .

بلازيوس أنا واثق من ذلك . لقد شرب على العشاء ثلاث زجاجات خمر.

البارون هذا كثير جداً .

بلازيوس وحين غادر المائدة، سار فوق أحواض الزرع .

البارون فوق أحواض الزرع! ـ لقد أفحمتني! ـ إنه لأمر غريب والله . يشرب ثلاث زجاجات خمر على العشاء! ويسير فوق أحواض الزرع! هذا ما لا يقبله عقل . ولماذا لم يسر في الممر؟

بلازيوس لأنه كان يترنح في مشيته .

البارون (مخاطبا نفسه) بدأت أعتقد أن بريدان على حق . إن بلازيوس هذا تفوح منه رائحة الخمر بشكل لا يطاق .

بلازيوس ثم إنه أكل كثيرا، وكان كلامه مضطربا.

البارون لقد لاحظت ذلك بدوري.

بلازيوس إنه نطق بضع كلمات لاتينية، كانت كلها أغلاطا في النحو. ياسيدي. إنه رجل منحل الأخلاق.

البارون (مخاطبا نفسه) اللعنة! إن بلازيوس هذا رائحته لا تطاق. فلتعلم أيها المؤدب أن في رأسي موالا آخر، وأني لا أهتم أبدا بما يشربه أو يأكله الآخرون، فأنا لست رئيس خدم.

بلازيوس معاذ الله أن أكدرك، ياسيدي البارون. إن خمرك لذيذة.

البارون هناك خمر لذيذة في أقبيتي.

بريدان (داخلا) ياسيدي، إن ولدك في الساحة، يتبعه جميع غلمان القرية.

البارون مستحيل.

بريدان لقد رأيته رأي العين. إنه كان يلتقط الحصى ويرشق بها سطح الماء.

البارون يرشق بها سطح الماء؟ ـ لا أعرف ماذا أقول؟ وها هي أفكاري قد اختلطت ـ إنك تقدم إلي تقريرا غريباً يا بريدان. من غير المعقول أن يقوم دكتور برشق سطح الماء بالحجارة.

بريدان قف في النافذة، ياسيدي، وسوف تراه بعينك.

البارون (مخاطبا نفسه) لعمري، لقد صدق بلازيوس، إن بريدان يتطوح ذات اليمين وذات الشمال!

بريدان انظر ياسيدي، هاهو ذا عند حافة الحوض. إنه يمسك بذراع فلاحة شابة.

البارون فلاحة شابة؟ أقدم ولدي ها هنا كي يغوي فتيات أتباعي؟ يمسك بذراع فلاحة! وجميع غلمان القرية حوله! أكاد أنفجر من الغيظ.

بريدان الثأر، الثأر!

البارون لقد ضاع كل شيء! ـ ضاع نهائيا ـ إني هالك: بريدان يترنح وبلازيوس تفوح منه رائحة الخمر بشكل لا يطاق، وها هو ذا ولدي يغوي جميع فتيات القرية ويرشق سطح الماء بالحصى! (يخرج)

الفصل الثاني

المشهد الأول

(حديقة) يدخل بلازيوس وبارديكان

بلازيوس ياسيدي، والدك متكدر جداً.

بارديكان لم ذلك؟

بلازيوس لا أظنك تجهل أنـه كان عازما على تـزويجك ابنة عمتك كامي؟

بارديكان وبعد؟ هذا جل مناي.

بلازيوس إلا أن البارون يظن أنه لاحظ تباينا في طبعيكما.

بارديكان هذا أمر مؤسف، أنا لا أقدر أن أغيّر طبعي.

بلازيوس أتريد إذا أن تجعل هذا الزواج مستحيلا؟

بارديكان أقول لك ثانية إن الزواج بكـامي هو جل مناي، اذهب إلى البارون نبئه بذلك.

بلازيوس يا سيدي، أستـأذنك بالانصراف : ها هـي ابنة عمتك قادمة من هذه الناحية (يخرج ـ تدخل كامي)

بارديكان عجبا، أراك استيقظت مبكرا، ياابنة عمتي! إني ما زلت على ما قلته لك أمس : إنك آية في الجمال.

كامي لنتكلم بجد، ياباريكان، والدك يريد أن يزوجنا. لا أعلم مارأيك في ذلك، أظنني حسنا أفعل إذ أنبئك انني قد اتخذت قراري في هذا الشأن.

بارديكان لي الله إن كنت لا أعجبك!

كامي لا أنت ولا أي واحد آخر، أنا لا أريد أن أتزوج: ليس هناك ما يسوءك، ويجرح كبرياءك.

بارديكان الكبرياء ليست من شيمي، إني لا أبالي لا بحلوها ولا بمرها.

كامي لقد أتيت ها هنا كي أستلم تركة والدتي، وأنا عائدة غدا إلى الدير.

بارديكان إنك صريحة، على ما أرى، هات يدك، ولنكن صديقين!

كامي إني لا أحبذ الملامسات.

بارديكان (وهو يتناول يدها) أعطيني يدك، ياكامي، بالله عليك. ماالذي تخشينه مني! ألا تريدينهم أن يزوجونا؟ حسنا! كما تشائين، أهذا سبب لأن نتباغض؟ ألسنا

شقيقا وشقيقة؟ لما طلبت والدتك هذا الزوج في وصيتها، أرادت أن تكون صداقتنا أبدية، ليس غير. لماذا نتزوج؟ هاهي يدك وهاهي يدي، ولكي تبقيا متحدتين هكذا حتى الرمق الأخير، أتظنين أنه يلزمنا كاهن؟ لسنا في حاجة إلا إلى رب العالمين.

كامي إني لسعيدة إذ أراك غير مكترث لرفضي.

بارديكان بل إني مكترث، ياكامي. كان من شأن حبك أن يهبني الحياة، ولكن صداقتك تعوضني عنه. لا تغادري القصر غدا، لقد رفضت أمس أن تقومي بجولة في الحديقة، لأنك كنت ترين فيّ زوجاً غير مرغوب فيه. ابقي هنا بضعة أيام، دعيني آمل أن حياتنا الماضية لم تمت إلى الأبد في قلبك.

كامي إني مضطرة إلى الرحيل.

بارديكان لماذا؟

كامي هذا سري.

بارديكان أتحبين أحدا غيري؟

كامي لا، إنما أريد الرحيل.

بارديكان ألا رجعة في ذلك؟

كامي نعم لا رجعة .

بارديكان إذا ، الوداع ! كنت أتمنى أن أجلس معك تحت أشجار الكستناء في الغابة الصغيرة ، فنتسامر ساعة أو اثنتين لكن إن كان ذلك لا يرضيك ، فلنكف عن الحديث فيه ، الوداع ، ياصغيرتي . (يخرج)

كامي (مخاطبة بلوش وقد دخلت) سيدة بلوش ، هل كل شيء معد؟ أمسافرتان نحن غداً؟ هل أتم وصيّ حساباته؟

السيدة بلوش نعم يا يمامتي العزيزة الطاهرة . لقد وصفني البارون مساء أمس بالحمقاء ، وأنا سعيدة إذ أغادر هذا المكان .

كامي هذه رسالة مني أريدك أن تسلميها ، قبل العشاء ، إلى ابن خالي بارديكان .

السيدة بلوش رباه ! ماذا أسمع ؟ أتكتبين رسالة إلى رجل ؟

كامي أليس من المفروض أن أكون زوجته؟ بإمكاني إذن أن أكتب إلى خطيبي .

السيدة بلوش لقد خرج السيد بارديكان لتوه من هنا . ماذا عساك أن تكتبي إليه؟ خطيبك؟ ! رحماك اللهم ! أتكونين نسيت يسوع ؟

كامي افعلي ما أقول لك ، وأعدي كل شيء من أجل سفرنا . (تخرجان)

المشهد الثاني

(غرفة الطعام) الخدم يقومون بإعداد المائدة ، يدخل بريدان

بريدان لا ريب في ذلك، إنهم سيجلسونه مرة أخرى اليوم على كرسي الشرف. هذا الكرسي الذي احتللته طويلا إلى يمين البارون سيكون غنيمة للمؤدب. يالشقائي! شخص أبله، سكير وقح، يقصيني إلى نهاية المائدة! سيقدم إليه كبير الخدم أول كأس من الخمر المصنوعة من أعناب ملقا، وحين تصل الأطباق إليّ، تكون قد بردت تقريبا، وأفضل قطع اللحم قد التهمت ولم يبق حول أفراخ الحجلان من ملفوف أو جزر، أيتها الكنيسة الكاثوليكية المقدسة! إن احتلاله لذلك الكرسي، أمس، أمر لا اعتراض عليه إذ كان قد وصل لتوه، وهي المرة الأولى، منذ سنوات عديدة، التي يجلس فيها إلى هذه المائدة. رباه! ما أفظع التهامه للطعام! كلا لن يبقى لي سوى عظام وأقدام الدجاج. إني لا أرضى بهذه الإهانة. الوداع، أيها الكرسي الجليل حيث ملت مراراً إلى الخلف وقد اكتظظت من الأطعمة الشهية!. الوادع، أيتها الزجاجات المختومة، ورائحة الطرائد الناضجة! الوداع أيتها المائدة العظيمة، وقاعة الطعام النبيلة، إني لن أتلو

بعد الآن صـلاة المائدة! سأعود إلى وظيفتي الكهنـوتية، فلا يـراني أحد بين جمهور المدعـوين، وأنا أفضـل، مثل يـوليوس قيصر، أن أكـون الأول في القـرية على أن أكـون الثاني في روما(*). (يخرج)

* هذه العبارة قالها يوليوس قيصر أثناء اجتيازه لقرية في جبال الألب.

المشهد الثالث

(حقل أمام منزل صغير) تدخل روزات وبارديكان

بارديكان ما دامت والدتك ليست هنا، تعالي نقوم بنزهة قصيرة.

روزات أتظنّن أنه سينالني خير من كل هذه القبلات التي تغمرني بها؟

بارديكان ما الذي يسوءك منها؟ إني لعلى استعداد أن أقبلك أمام والدتك. ألست أخت كامي؟ ألست أخاك كما أنا أخوها؟

روزات الكلمات تبقى كلمات، والقبلات تبقى قبلات. إني لا أحسن الكلام كثيرا، وأنا ألاحظ ذلك حالما أريد أن أقول شيئا. السيدات الجميلات يعرفن كيف يتصرفن، حسبما يقبل لهن الناس يدهن اليمنى أو اليسرى. إن آباءهن يقبلونهن على جباههن، وإخوتهن على خدودهن، وعشاقهن على شفاههن. أما أنا فالكل يقبلني على خديّ وهذا أمر يحزنني.

بارديكان ما أجملك، يا صغيرتي!

روزات يجب ألا يكون ذلك سببا آخر في إغضابك، لله ما أشد ما كنت تبدو حزينا هذا الصباح! هل فشل مشروع زواجك؟

بارديكان فلاحو قريتك يتذكرون أنهم قد أحبوني، وكلاب فناء الدواجن وأشجار الغابة تتذكر ذلك، أما كامي فلا تتذكر. وأنت ياروزات، متى تتزوجين؟

روزات أرى أن نكف عن الكلام في هذا الموضوع. لنتحدث عن الجو، عن تلك الأزهار، عن جيادك، وعن طاقياتي(*)

بارديكان عن كل ما يرضيك، عن كل ما يمكن أن يمر على شفتيك دون أن يزيل عنهما هذه الابتسامة الملائكية التي أقدرها أكثر من حياتي. (يقبلها)

روزات أراك تحترم ابتسامتي ولا تحترم شفتيّ. عجباً! هاهي قطرة مطر تسقط على يدي، مع أن السماء صافية.

بارديكان سامحيني.

روزات ما الذي ساءك مني، حتى تذرف الدمع؟ (يخرجان)

---

* غطاء للرأس شائع في الريف الفرنسي.

المشهد الرابع

(في القصر) يدخل بلازيوس والبارون

بلازيوس سيدي، إن لـديّ خبرا غريبا أريـد أن أعلمك بـه. منذ قليل، كنـت بالصدفـة في المطبخ، أقصد في الصـالون ـ ماذا عسـاي أفعل في المطبخ؟ ـ كنت إذا في الصـالون. وكنت قد وجـدت بالصدفة زجاجة خمر، أقصـد إبريق ماء ـ كيـف يمكنني أن أجد زجاجـة خمر في الصالون؟ ـ كنت إذا أقوم بشرب جرعة من الخمر، أقصد كوب ماء، حتى لا أشعر بثقل الوقت، وكنت أنظر من النافذة، بين أصيصين يتميـزان بأسلـوبهما العصري، رغم أنهما تقليـد للفن الآتروري. (*)

البارون لله ما أزعج طريقتك بالكلام، يابلازيوس! إن حديثك غير مفهوم.

بلازيوس أصغ إلي، يـا سيدي، أعـرني سمعك لحظـة. كنت إذا أنظر من النافذة. تريّث قليلا، ناشدتك الله! إن شرف العائلة في خطر.

البارون العــائلـة! ويــلاه، مــاذا أسمــع! شرف العـائلــة، يابـلازيوس! أتعلم أننـا سبعة وثـلاثون ذكرا، وقـدرهم تقريبا نساء، في باريس والريف على حد سواء؟

* من أترووريا التي كانت تقع قديما غربي إيطاليا.

بلازيوس هلا تركتني أكمل كلامي. بينما أنا أشرب بعض الخمر، أقصد كوب ماء، تسهيلا لعملية الهضم، تصور أني رأيت السيدة بلوش تمر من تحت النافذة وهي تلهث.

البارون لماذا كانت تلهث، يابلازيوس؟ هذا أمر غريب.

بلازيوس وإلى جانبها، محمرة من الغضب، ابنة اختك كامي.

البارون من كانت محمرة من الغضب، ابنة أختي أم السيدة بلوش؟

بلازيوس ابنة أختك ياسيدي.

البارون ابنة أختي محمرة من الغضب! هذا أمر لا يصدق! وكيف علمت أن ذلك من فرط الغضب؟ قد تكون محمرة لألف سبب وسبب، لابد أنها طاردت بعض الفراشات في حديقتي.

بلازيوس لا أستطيع أن أجزم في شيء، هذا جائز، لكنها كانت تصرخ بشدة: «هيا! اذهبي إليه! افعلي ما يقال لك! إنك غبية! أنا أريد ذلك!» وكانت تضرب بمروحتها على مرفق السيدة بلوش التي كانت تقفز وسط البرسيم عند كل صيحة.

البارون وسط البرسيم؟... وبم كانت المربية تجيب على هلوسات ابنة أختي؟ لأن هذا التصرف يستحق أن يوصف هكذا.

بلازيوس كانت المربية تجيب: «لا أريد أن أذهب! إني لم أجده! فهو يغازل فتيات القرية، راعيات الديكة الرومية. ثم إني بلغت من العمر عتيا، مما لا يسمح لي أن أنقل رسائل غرامية، لقد عشت حتى الآن، بفضل الله، نظيفة اليدين». وفيما هي تتكلم، كانت تدعك في يديها قصاصة من ورق مطوية طيتين.

البارون لا أفهم شيئاً، إن أفكاري قد تشوشت تماما، ما الذي يحدو السيدة بلوش على أن تدعك قصاصة من ورق مطوية طيتين بينما هي تقفز وسط البرسيم؟ ليس في مقدوري أن أصدق شناعات من هذا القبيل.

بلازيوس ألم تدرك بوضوح، يا سيدي، ما يعني كل ذلك؟

البارون لا والله ياصديقي، إني لا أفهم شيئا، الواقع أن كل ذلك يبدو لي تصرفاً مشوشاً، لا سبب، ولا عذر له.

بلازيوس هذا يعني أن ابنة أختك تراسل أحدهم في الخفاء.

البارون ماذا تقول؟ أتعرف عمن تتكلم؟ زن كلامك ياسيدي الكاهن.

بلازيوس إني لو وزنته في الميزان الإلهي الذي سيزن روحي يوم الحشر، ماوجدت فيه كلمة واحدة كاذبة. ابنة أختك تراسل أحدهم في الخفاء.

البارون لكن هلا فكرت، يا صديقي، أن ذلك مستحيل!

بلازيوس لماذا إذاً عهدت إلى مربيتها بإيصال رسالة؟ لماذا صرخت: «اذهبي إليه!» بينما تحرن الأخرى وتقطب؟

البارون إلى من كانت موجهة تلك الرسالة؟

بلازيوس هنا العقبة الكأداء، يا سيدي. إلى من كانت موجهة تلك الرسالة؟ إلى رجل يغازل راعيات الديكة الرومية. وعلى هذا الأساس فإن رجلا يلاحق علنا راعية ديكة رومية حريّ أن يكون قد خلق ليرعاها بدوره. على أنه يستحيل أن تغرم ابنة أختك، بعد التربية التي تلقتها برجل من هذا النوع، هذا ما أقوله لنفسي، والذي يجعلني لا أفهم شيئا، مثلك تماما. . مع اعتذاري.

البارون رباه! لقد صرحت لي ابنة أختي، هذا الصباح عينه، أنها ترفض ابن خالها بارديكان. أتراها تحب راعي ديكة رومية؟ لندخل إلى غرفة مكتبي، إني تعرضت منذ البارحة لهزات عنيفة بحيث لا أستطيع أن أجمع شتات ذهني المبعثر. (يخرجان)

المشهد الخامس

(نبع في غابة) يدخل بارديكان وهو يقرأ بطاقة

بارديكان «احضر الظهر إلى النبع الصغير» ماذا يعني كل هذا؟ برودة شديدة، رفض قاطع في منتهى القسوة، كبرياء فقدت كل إحساس، وفوق ذلك موعد؟ إن كانت تريد أن تكلمني في بعض الأمور الهامة، فما الداعي إلى اختيار مكان مثل هذا؟ لعلها تتدلل عليّ؟ هذا الصباح بينما أتنزه مع روزات، سمعت حركة بين حشائش الغابة، وظننتها صادرة عن ظبية. أتكون هناك مكيدة ما؟ (تدخل كامي)

كامي مرحبا، يابن خالي، عندما غادرتني هذا الصباح. لاحظت خطأ أم صوابا. إنك كنت تبدو متكدراً. لقد أمسكت بيدي برغم إرادتي، وأنا جئت أطلب إليك أن تعطيني يدك. إني أبيت عليك قبلة، والآن هي لك. (تقبله) إنك قلت لي إنك تحب أن تتسامر معي كصديق. اجلس هنا ولنتحدث. (تجلس)

بارديكان هل كنت أحلم من قبل؟ هل أحلم الآن مرة أخرى؟

كامي لقد استغربت أن تتلقى بطاقة مني، أليس كذلك؟ إني متقلبة المزاج. لكنك قلت لي هذا الصباح كلمة صائبة: «مادمنا سنفترق، فلنفترق صديقين». أنت لا تعلم السبب الذي يبعثني على السفر، ولقد جئت أخبرك به: سأصبح راهبة.

بارديكان هل هذا ممكن؟ أهذه أنت يا كامي، التي أبصرك في هذا النبع، جالسة تحت زهور اللؤلؤ. كما في الأيام الخوالي؟

كامي نعم، ياباردیکان، هذه أنا. لقد أتيت لأعيش ربع ساعة من حياتنا الماضية. إن كنت بدوت لك فظة ومتكبرة، فهذا في غاية البساطة أني زهدت في الدنيا. لكن، قبل أن أفارقها، يسرني أن أسألك عن رأيك. أتراني على صواب حين أترهب؟

بارديكان لا تسأليني عن هذا الأمر، لأني لن أصبح راهبا أبداً.

كامي خلال العشر سنوات التي عشناها بعيدين الواحد عن الآخر، بدأت أنت تجربة الحياة. إني أعلم أي رجل أنت، ولابد أنك قد تعلمت الكثير في فترة قصيرة بقلبك وعقلك هذين. قل لي هل صاحبت بعض الفتيات؟

بارديكان لم هذا السؤال؟

كامي أجبني، أرجوك، بلا تواضع ولا غرور.

بارديكان لقد صاحبت.

كامي هل أحببتهن؟

بارديكان كل الحب.

كامي أتعلم أين هن الآن؟

بارديكان يا للأسئلة الغريبة. ماذا تريدينني أن أقول لك؟ لست زوجهن ولا أخاهن، لقد ذهبن حيث طاب لهن الهوى.

كامي لابد، بالضرورة، أن يكون بينهن واحدة فضلتها على الأخريات. كم بقيت تحب هذه التي أحببتها أكثر من غيرها؟

بارديكان أنت فتاة غريبة الأطوار! أتريدين أن تكوني معرِّفتي؟(*)

كامي ناشدتك بالله إلا أجبتني بصراحة. أنت لست فاسقا، وأنا واثقة أن قلبك نزيه. لابد أنك استهويت النساء، لأنك تستحق ذلك، وما كنت حريا أن تستسلم لنزوة، أجبني أرجوك.

بارديكان لعمري، إني لا أذكر.

كامي أتعرف رجلا لم يحب سوى امرأة؟

بارديكان هناك بلا ريب.

---

* المعرِّف : الكاهن الذي يعترف إليه المؤمنون بذنوبهم.

كامي هل هو أحد أصدقائك؟ قل لي ما اسمه؟

بارديكان ليس لـدي اسم أقـوله لـك، إنما أعتقد أن هنـاك رجالا يستطيعون ألا يحبوا سوى مرة واحدة.

كامي كم مرة يمكن للرجل الشريف أن يحب؟

بارديكان أتريـدنَّني أن أتلو عليـك صلاة مملـة، أم أنت تسمعين كتاب تعليم ديني؟

كامي إني أرغـب أن أستنير برأيـك لأعلـم إن كنت مخطئـة أو مصيبـة في أن أترهـب. لو أني تـزوجتـك، أفلن تجيـب بصراحة عـن كل أسئلتي، وتفتـح لي قلبك؟ أنـا أقدرك كثيرا، وأثق أنك تفضـل بتربيتك وطبعك، العديـد من سائر الرجال. إني مستاءة إذ لم تعد تذكر ما أطلبه منك، لعلي أتشجع حين أعرفك بشكل أفضل.

بارديكان ما غرضك من كل هذا؟ تكلمي، سأجيب.

كامي أجـب إذاً عن سـؤالي الأول: هـل أنا على صـواب حين أبقى في الدير؟

بارديكان لا.

كامي من الخير لي إذاً أن أتزوجك؟

بارديكان أجل.

كامي لو أن خوري كنيستك نفخ على كـوب ماء، ثم قال لك إنه كوب خمر، أفتشربه على هذا الأساس؟

باردیکان لا.

كامي لـو أن خـوري كنيستـك نفخ فـوق رأسـك وقـال إنـك ستحبنـي طـول العمـر، هــل سيكـون ذلـك سببـا لأن أصدقه؟

باردیکان نعم و لا.

كامي : ماذا عساك تنصحنـي أن أفعل يوم أكتشف أنـك لم تعد تحبني؟

باردیکان أن تتخذي عشيقا.

كامي ماذا عساي أن أفعل من ثمّ حين يملّني عشيقي؟

باردیکان تتخذين عشيقا آخر.

كامي كم من الوقت سيستمر ذلك؟

باردیکان حتى يشتعـل رأسك شيبـا، وعندئذ يكـون شعري قـد أبيض.

كامي أتعلم كيـف تكون الأديـرة، يابـارديكان؟ هـل جلست عمرك يوما كاملا على مقعد صومعة نساء؟

بارديكان نعم، جلست. (*)

كامي لدي صديقة راهبة في الثلاثين من عمرها فقط، وقد حصلت على إيراد قيمته خمسمائة ألف ريال في سن الخامسة عشرة، إنها أجمل وأنبل مخلوقة مشت على الأرض. لقد كانت زوجة أحد نواب البرلمان، وكان زوجها واحدا من خيرة الرجال في فرنسا. هذا إلى أنها لم تترك فضيلة من فضائل النفس البشرية إلا ونمَّتها، ومثل شجيرة ذات عصارة خاصة، فإن جميع براعمها قد أعطت أغصانا. لن يجد الحب والسعادة جبينا أجمل ليضعا عليه تاجهما المزهر، إن زوجها قد خانها، فأحبت سواه، وهي في حالة من اليأس الشديد.

بارديكان هذا ممكن.

كامي كنا نسكن نفس الحجرة، وقد أمضيت ليالي بأكملها أتكلم عن مصائبها، إنها أصبحت تقريبا مصائبي، أليس هذا غريبا؟ لا أدري تماما كيف حدث لي ذلك. لما كانت تحدثني عن زواجها، لما كانت تصف لي أولا نشوة الأيام الأولى ثم هدوء الأخرى، وكيف أخيرا تلاشى كل شيء، كيف كانت هي تجلس في المساء قرب النار، وهو إلى النافذة، لا يتبادلان كلمة واحدة، كيف ذوى حبهما، وكيف أن جميع محاولات التقارب كانت تنتهي

---

* بالطبع بارديكان لم يجلس على هذا المقعد، إنما كامي لا تلقي بالاً إلى الجواب لأنها مستغرقة في ذكراها.

دائما إلى شجار، كيف أن وجهاً غريباً راح يدخل شيئا فشيئا بينهما، ويندس في عذابهما، فإني كنت أرى روحي تضطرب وهي تتكلم. حين كانت تقول : « هناك، كنت سعيدة»، إذا بقلبي يدق بعنف، وحين كانت تضيف : «هناك بكيت»، إذا بدموعي تنهمر. لكن تصور أمرا أكثر غرابة أيضا، لقد وصل بي الحال أن خلقت لنفسي حياة وهمية، وقد استمر هذا أربع سنوات، من العبث أن أقول لك بعد كم من التفكير، ومراجعة الذات حصل كل ذلك. إنما أود أن تعلم أن جميع قصص لويز التي أرويها لك وكأنها طرفة وجميع خيالات أحلامي فيها شبه بك.

بارديكان شبه بي، أنا؟

كامي نعم، وهذا أمر طبيعي، فأنت كنت الرجل الوحيد الذي عرفته. الحق أقول إني أحببتك، يابارديكان.

بارديكان كم عمرك، ياكامي؟

كامي ثمانية عشر عاماً.

بارديكان تابعي، تابعي، إني مصغ.

كامي هناك مائتا امرأة في ديرنا، بعضهن لن يرين العالم أبداً، وكل الباقيات ينتظرن الموت، . العديدات منهن غادرن الدير، مثلي اليوم، عذراوات، مفعمات بالأمل، وقد عدن بعد فترة قصيرة، هرمات، كئيبات. كل يوم يموت

منهـن في مهاجعنـا، وكل يـوم تـأتي أخريـات فيأخـذن أماكن المتوفيات فوق فراش الشعر، الغرباء الذين يقومون بـزيارتنـا، يعجبـون بهدوء ونظـام المكان، إنهم يطيلـون النظر إلى بيـاض أغطية رؤوسنا، بيد أنهم يتسـاءلون لماذا نرسلها على أعيننا. مارأيك في هـؤلاء النساء ياباردیكان؟ هل هن على خطأ أم على صواب؟

بارديكان لا أدري شيئا.

كامي لقـد نصحتنـي بعضهـن أن أبقى عـذراء. أكـون جـد مسرورة أن أعرف رأيـك. أتظن أنه كـان من الخير لهؤلاء النسـوة أن يتخـذن عشيقـا، وأن ينصحننـي أن أحـذو حذوهن؟.

بارديكان لا أدري شيئا.

كامي قد وعدت أن تجيبني.

بارديكان إني في حل من ذلك، بطبيعـة الحال، لا أظن أنك أنت التي تتكلمين.

كامي هذا جـائز. لابد أن هنـاك في جميع أفكـاري أشياء جـد مضحكة، لعلني لقنت درساً، وأني مجـــرد ببغـــاء أردد مـا قيل لي. هنـاك في الـردهة لـوحـة صغيرة تمثل راهبـا منحنيا فوق كتاب صلوات، عبر قضبان حجرته ينساب شعاع مـن شمس، ونشاهـد نزلا إيطاليـا يرقص أمـامه راعي غنم. أي هذين الرجلين تفضل أكثر؟

باردیکان لا هذا ولا ذاك وكليهما معاً، إنهما رجلان من لحم ودم، أحدهما يقرأ، والآخر يرقص، هذا كل ما أراه. أنت على صواب حين تترهبين.

كامي كنت تقول لي لا منذ هنيهة.

باردیکان هل قلت لا؟ هذا ممكن.

كامي إذاً هل تنصحني بذلك؟

باردیکان إذا أنت لا تؤمنين بشيء؟

كامي ارفع رأسك، ياباردیكان! من هو المرء الذي لا يؤمن بشيء؟

باردیکان : (يقف) ها هو واحد، إني لا أؤمن بالآخرة. أختي العزيزة، لقد أعطتك الراهبات تجربتهن، لكن صدقيني، هي ليست تجربتك، لن تموتي دون أن تحبي.

كامي أريد أن أحب، إنما لا أريد أن أتألم، أريد أن أحب حبا سرمديا، وأقسم أيمانا لا تنال منها عاديات الأيام. ها هو حبيبي (تشير إلى مصلوب)(*)

باردیکان هذا الحبيب لا يتنافى مع الآخرين.

كامي بالنسبة لي، على الأقل، إنه سيقصيهم. لا تبتسم ياباردیكان! لقد انقضت عشر سنين لم أشاهدك فيها،

---

* صليب يمثل المسيح مصلوبا.

وأنا راحلة غداً. خلال عشر سنوات أخرى، إن تلاقينا ثانية نعاود الحديث عن ذلك. لم أشأ أن أبقى في خيالك مثل تمثال بارد، إذ أن جمود العاطفة يؤدي إلى ما أنا عليه. اقبل نصيحتي، عد إلى الحياة، وما دمت سعيدا، مادمت تحب كما يمكن للناس أن يحبوا على الأرض، انس أختك كامي، لكن إن حدث لك يوما أن نسيك الآخرون أو نسيت نفسك، وإن فقدت الأمل في كل شيء، متى رأيت نفسك وحيدا وقد جف قلبك، فكّر فيّ، أنا التي سأصلي من أجلك.

باردیكان أنت متكبرة، انتبهي لنفسك.

كامي لماذا؟

باردیكان أنت في الثامنة عشرة، ولا تؤمنين بالحب؟

كامي أتؤمن به أنت، يا من تتكلم؟ إنك جاث بقربي على ركبتين تآكلتا فوق بسط خليلاتك، وها أنت قد نسيت أسماءهن. لقد ذرفت دموع الفرح ودموع اليأس، على أنك تعلم أن مياه الينابيع أكثر ثباتا من دموعك وأن هذه المياه ستكون دائما هناك لتغسل جفونك المنتفخة. أنت تعيش حياتك كشاب، فتبتسم حين تحدّث عن نساء يائسات، إنك لا تعتقد أنه قد يموت المرء من الحب، أنت يا من تتمتع بالحياة ومن أحببت. تبا لهذه الحياة! أحسب أنك لابد تحتقر بشدة النساء اللواتي يرضين بك كما أنت، ويطردن آخر عشيق لهن، ليحتضنك إلى

صدورهن، وقبلات سواك على شفاههن. سألتك منذ هنيهة إن كنت أحببت، وقد أجبتني مثل ذلك المسافر الذي يسأل هل كان في إيطاليا أو في ألمانيا، والذي يقول: «نعم، قد كنت فيها»، ثم يفكر في الذهاب إلى سويسرا، أو إلى أول بلد يصادفه. هل حبك إذا قطعة نقود حتى يستطيع أن ينتقل من يد إلى يد حتى المات؟ كلا إنه ليس خليقا أن يكون قطعة نقود، لأن أصغر قطعة ذهبية تساوي أكثر منك، ومهما كانت الأيدي التي تتناقلها، فإنها تحافظ على صورتها.

بارديكان ما أجملك ياكامي عندما تشع عيناك!

كامي أجل، أنا جميلة، أعلم ذلك، لن يعلمني المداحون شيئا جديدا، وأظن الراهبة التي ستقص لي شعري سيربد وجهها لسقوطه عن رأسي، لكنني لن أدعه يتحول إلى خواتم وسلاسل،(*) لأطوف به صالونات صواحبي، والله لن ينقص منه شعرة واحدة حتى يعبث فيه المقص، وحينما يلبسني الكاهن الذي يباركني الدبلة الذهبية لزوجي الإلهي، فإن خصلة الشعر التي سأعطيه إياها قد تصلح له معطفا.

بارديكان لعمري، إنك مستاءة.

كامي ماكان حرياً بي أن أتكلم، إن حياتي كلها على شفتي، آه، ياباريكان لا تسخر مني، كل ذلك كئيب، مميت.

* أي تسريحات على شكل خواتم وسلاسل.

باردیکان أيتها الطفلة المسكينة، إني أدعك تتكلمين، وأنا أرغب أن أجيبك بكلمة. أنت تحدثينني عن راهبة يبدو لي أنه كان لها تأثير سيء عليك؛ إنك تقولين إن زوجها قد خانها، وإنها خانته من جهتها، وهي يائسة. أواثقة أنت من أنها إذا عاد زوجها أو عشيقها ومدَّ إليها يده من خلال حاجز قاعة الزيارة، فلن تقابله بالمثل؟

كامي ماذا تقول؟ لم أسمع جيدا.

باردیکان أواثقة أنت من أنها إذا عاد زوجها أو عشيقها وقال لها أن ترجع إليه وتقاسي ثانية، فسوف تجيب بلا؟

كامي إني واثقة.

باردیکان هناك مائتا امرأة في ديرك، وأغلبهن يعانين من جروح عميقة في قلوبهن، لقد جعلنك تجسينها، وصبغن مخيلتك العذراء بقطرات دمائهن. هن قد عشن، أليس كذلك؟ وأشرن لك بهلع واشمئزاز إلى درب حياتهن، أنت صلبت أمام ندوبهن، كما أمام جراح يسوع لقد أخلين لك مكانا بينهن في أثناء زيّاحهن(*)، وإذا بك تلوذين بأجسادهن الهزيلة والرعب يتولاك إذ يمر من أمامك رجل. أواثقة أنت من أنهن إذا كان الرجل المار هو الذي خانهن، الذي من أجله يبكين ويتعذبن، الذي يلعنه في أثناء صلاتهن، أواثقة أنت من أنهن حين

* الزِّياح: عند المسيحيين: الطواف بأشياء مقدسة كالأيقونات أو القربان داخل الكنيسة أو خارجها.

يشاهدنه لن يحطمن أغلالهن ويعدن إلى مصائبهن الماضية، ويملن بصدورهن على الخنجر الذي أدماهن؟ مسكينة أنت ياطفلتي! أتدركين طبيعة أحلام هؤلاء النسوة اللواتي يقلن لك ألا تحلمي؟ أتعلمين ما هو الاسم الذي يهمسن به حينما ترجف الزفرات الخارجة من شفاههن القربان الذي يقدم إليهن؟ هؤلاء اللواتي يجلسن إلى جانبك وقد رحن يهززن رؤوسهن ليصببن في أذنك شيخوختهن الذاوية، هؤلاء اللواتي يقرعن وسط حطام شبابك ناقوس يأسهن، ويجعلن دمك القاني يشعر ببرودة لحدهن، أتعلمين من يكن.

كامي إنك تخيفني، الغضب يتولاك أنت أيضا.

بارديكان أتعلمين ماهن الراهبات، أيتها الفتاة البائسة؟ أولئك اللواتي يصورن لك حب الرجال كذبا وبهتانا، هل يعلمن أن هناك ما هو أسوأ بكثير، وهو كذب الحب الإلهي؟ أيعلمن أنهن يرتكبن جريمة إذ يهمسن في أذن فتاة عذراء بكلمات امرأة؟ رباه، ما أكثر ما حفّظنك الدرس! وما أسرع ما تنبهت إلى ذلك حين توقفت أمام صورة عمتنا الشمطاء! كنت تريدين أن ترحلي دون أن تودعيني، ما كنت تريدين أن تلقي نظرة على هذه الغابة، ولا على هذا النبع الصغير الذي ينظر إلينا والدموع تتفجر من مآقيه، إنك قد تنكرت لأيام طفولتك، وقناع الجص الذي وضعته الراهبات على

خديك، ضن عليّ بقبلة أخوية، لكن قلبك خفق، لقد نسي درسه، هو الذي لا يعرف القراءة، وها أنت قد أتيت تجلسين على العشب حيث نحن الآن. نعم، ياكامي هؤلاء النسوة أحسن الكلام معك، إنهن وضعنك على الطريق الصحيح، ربما كلفني ذلك سعادتي، إنما قولي لهن عن لساني: السماء ليست لهن.

كامي ولا لي، أليس كذلك؟

بارديكان الوداع، ياكامي عودي إلى ديرك، ومتى قصصت عليك تلك الحكايات المريعة التي سممت تفكيرك، أجيبي بما سأقوله لك: جميع الرجال كاذبون، خائنون، مزيفون، ثرثارون، متكبرون أو جبناء، وضيعون، فاسقون، جميع النساء خائنات، مكارات، مغرورات، فضوليات، ساقطات، المجتمع حمأة لا قرار لها تتمرغ فيها عجول بحر كريهة المنظر، غير أن هناك شيئا مقدسا ساميا، وهو زواج اثنين من هذه المخلوقات الناقصة، الشنيعة، غالبا ما يتعرض المحب للخيانة في حبه، ولجرح كرامته، وللشقاء، بيد أنه يحب، وإذ هو على حافة القبر إذا به يستدير لينظر إلى الخلف، فيقول: لقد تألمت مراراً، وانخدعت أحيانا لكني أحببت. أنا نفسي الذي عشت، وليس كائنا وهميا خلقه كبريائي ومللي. (يخرج).

الفصل الثالث

المشهد الأول

(أمام القصر) يدخل البارون وبلازيوس

البارون بغض النظر عن إدمانك الخمر، فأنت نذل تافه يا سيد بلازيوس. إن خدمي يرونك تدخل خفية إلى المطبخ وحين يتم لك سرقة إحدى قنانيَّ بكل سفالة، ترى أن تبرر موقفك باتهامك ابنة أختي بأنها تراسل شخصاً في الخفاء.

بلازيوس لكن، يا سيدي، بالله إلاّ تذكرت . . .

البارون اخرج، أيها السيد الكاهن، ولا ترني وجهك ثانية، من غير المعقول أن يتصرف المرء كما تفعل أنت، ووقاري يحتم علي ألاّ أسامحك ماحييت (يخرج، يتبعه بلازيوس. يدخل بارديكان).

بارديكان أود لو أعلم إن كنت عاشقاً. من جهة، هذه الطريقة الفظة في الاستجواب التي لا تناسب فتاة في الثامنة عشرة من عمرها، ومن جهة أخرى فإن الأفكار التي غرستها هؤلاء الراهبات في رأسها سيكون من العسير تقويمها.

ثم إنه يتوجب عليها أن ترحل اليوم. لعمري إني أحبها، لا ريب في ذلك! وبعد، من يدري؟ لعلها كانت تتلو درساً، لكن من الواضح أنها لا تلقي إلي بالاً. من جهة أخرى مهما كانت جميلة، فإن هذا لا ينفي أن تصرفاتها حازمة جداً، ولهجتها فظة. ما علي إلاّ أن أطرحها من فكري، من الواضح أني لا أحبها. إنها جميلة، لاشك في ذلك، إنما لماذا لا يريد حديث أمس أن يخرج من رأسي؟ الحق أقول: إني أمضيت الليل أهذي. أين أذهب إذاً؟ آه! أنا ذاهب إلى القرية.

(يخرج)

المشهد الثاني

(طريق) يدخل بريدان .

بريدان ماذا يفعلون الآن يا ترى؟ أواه! ها هو الظهر، هم الآن على المائدة. ماذا يأكلون؟ ماذا لا يأكلون؟ لقد شاهدت الطاهية تعبر القرية ومعها ديك رومي هائل الحجم. وكان مرافقها يحمل الكماءة(*)، بالإضافة إلى سلة عنب. (يدخل السيد بلازيوس).

بلازيوس يا للمصيبة غير المتوقعة! ها قد طردت من القصر، وبالتالي من غرفة الطعام. لن أشرب بعد الآن خمر المطبخ.

بريدان لن أشاهد بعد الآن بخار أطباق الطعام، لن أدفىء بعد الآن بطني الممتلىء، على نار المدفأة الجليلة.

بلازيوس ليت شعري لماذا دفعني فضول مشؤوم إلى أن أتنصت على حديث السيدة بلوش وابنة أخته؟ لماذا نقلت إلى البارون كل ما رأيته؟

بريدان ليت شعري لماذا أقصتني كبرياء باطلة عن هذا الغداء المجيد، حيث كنت أستقبل على الرحب والسعة؟ ماذا كان يضيرني لو كنت إلى اليمين أو إلى اليسار؟

---

* جنس فطور درنية تنبت وتتكاثر تحت الأرض وهي لذيذة الطعم.

بلازيوس	أواه! الحق أقول إني كنت ثمـلاً حينما ارتكبت ذلك العمل الطائش.

بريدان	أواه! لقد كنت في حالة سكر بيّن حينما ارتكبت تلك الحماقة.

بلازيوس	كأني به الخوري.

بريدان	إنه المؤدب بعينه.

بلازيوس	أوه! أوه! ماذا تفعل هنا، يا سيدي الخوري؟

بريدان	أنا؟ إني ذاهب لأتغدى، ألست ذاهباً أنت؟

بلازيوس	ليس اليوم. واحسرتاه! يا سيد بريدان، هلا تشفّعت لي، إن البارون طردني. فقد اتهمت زيفاً الآنسة كامي بأنها تراسل شخصاً في الخفاء، ومع ذلك فأنا أقسم بالله أني شاهدت أو خيّل لي أني شاهدت السيدة بلوش وسط البرسيم. لقد حلت بي الكارثة، يا سيدي الخوري.

بريدان	ماذا تقول؟

بلازيوس	واهاً! واهاً! الحقيقة. لقد فقدت حظوتي كلها لأني سرقت زجاجة خمر.

بريدان	ما شأن زجاجات الخمر المسروقة مع البرسيم والرسائل السرية؟

بلازيوس	أتوسل إليك أن تدافع عني. إني شريف، يا مولاي بريدان. يا مولاي بريدان العظيم، إني خادمك!

بريدان (يكلم نفسه) واسعداه! هل أنا أحلم؟ سأجلس عليك إذاً، أيها الكرسي الطوباوي!

بلازيوس أكون شاكراً لك لو استمعت إلى حكايتي، وتفضلت بالوقوف إلى جانبي، أيها السيد الفاضل، والخوري العزيز.

بريدان يستحيل عليّ ذلك، أيها السيد إنه الظهر وأنا ذاهب لأتغدى. إن كان البارون مستاء منك، فهذه مشكلتك. لن أتشفع أبداً لسكير. (يخاطب نفسه)هيا فلنسرع إلى البوابة، وأنت يا بطني، انتفخ (يخرج وهو يعدو)

بلازيوس (وحده) أيتها الحقيرة بلوش! أنت التي ستدفعين ثمن كل ما حدث لي، أجل أنت سبب دماري، أيتها المرأة السفيهة والقوادة الخسيسة، إنك أنت التي أفقدتني حظوتي. يا جامعة باريس المقدسة، إنهم يتهمونني بالسكر! إني هالك إن لم أحصل على رسالة، ولم أثبت للبارون أن ابنة أخته تراسل أحدهم. قد رأيتها هذا الصباح تكتب على مكتبها. صبراً! ها قد جاء الفرج (تمر السيدة بلوش حاملة رسالة) بلوش أعطيني هذه الرسالة.

السيدة بلوش ماذا يعني هذا، إنها رسالة من سيدتي وأنا ذاهبة بها إلى مكتب بريد القرية.

بلازيوس : هاتها، وإلا قتلتك!

السيدة بلوش تقتلني! تقتلني ماري، يسوع، يا أيتها العذراء، ويا أيها الشهيد!

بلازيوس أجل سأقتلك، يا بلوش! أعطيني هذه الورقة (يتضاربان. يدخل بارديكان)

بارديكان ماذا يجري؟ ماذا تفعل، يا بلازيوس؟ لماذا تتهجم على هذه السيدة؟

السيدة بلوش أعد لي الرسالة. لقد انتزعها مني، يا سيدي، العدل، العدل!

بلازيوس إنها قوادة، يا سيدي. هذه الرسالة كتاب غرامي.

السيدة بلوش إنها رسالة من كامي ياسيدي، من خطيبتك.

بلازيوس إنها كتاب غرامي إلى راعي ديكة رومية.

السيدة بلوش أنت تكذب أيها الكاهن، هذا ما أقوله لك.

بارديكان أعطني هذه الرسالة، أنا لا أفهم سبب شجاركما. إنما بصفتي خطيباً لكامي، فإني أخوّل نفسي حق قراءتها. (يقرأ) «إلى الأخت لوزير، في دير. . . » (مخاطبا نفسه) يا لهذا الفضول اللعين الذي يتولاني رغماً مني! قلبي يدق بعنف، وأنا لا أعلم ما ينتابني ـ عودي إلى القصر، يا سيدة بلوش، إنك امرأة فاضلة. والسيد بلازيوس رجل أحمق. اذهبا وتغديا سأتكفل بإيداع هذه الرسالة في البريد. (يخرج بلازيوس والسيدة بلوش).

بارديكان (وحده) إن فتح رسالة لجريمة، وأنا أعلم ذلك بحيث لا أفعله. ماذا عسى كامي أن تقول في هذه الرسالة؟ أأكون إذاً عاشقاً؟ أي سلطان لهذه الفتاة الغريبة الأطوار عليّ، إذ تأخذ يدي في الارتعاش لدى قراءتي للكلمات

الثلاث المكتوبة على هـذا العنوان؟ لكن، ماذا أرى؟ إن السيد بلازيوس، أثناء محاولته انتـزاع الرسالة من السيدة بلوش، قـد أزال الختم. هل فـض الورقة جـريمة(*) حسنا، لن أغيّر فيهـا شيئاً. (يفتح الرسالة ويقرأ): «إني راحلة اليوم، يا عزيزتي، وكـل شيء، قد تم كما توقعته. إنه لأمر رهيب. فهذا الشـاب قد دخل الخنجر في قلبه، وهـو لـن يسلـوني بعـد ذهـابي، لكنـي فعلـت جهـد استطاعتي لأنفـرّه مني. ليسامحني الله على مـا سببته له من يـأس برفضي. آه، يا عـزيزتي. ما حيلتـي في ذلك؟ صلي من أجلي، إننـا سنلتقي غداً. وإلى الأبـد. ودمت للتي لا تنساك».

كامي

بارديكان أمعقول ذلك؟ كامي تكتب هذا! إنها تتكلم عني أنا؟! أنا يـائس بسبب رفضها! تاللـه لو كان ذلـك صحيحاً، لبدت علي ظواهره، ما العار في أن يحب المرء؟ هي تقول إنها قد فعلـت جهد استطـاعتها لتنفـرني منها، وأنـا قد دخل الخنجر في قلبي! ما مصلحتهـا في استنباط حكاية مثل هذه؟ أكان إذاً ما فكـرت فيه هذه الليلة صحيحاً؟ يا للنساء! لعل هذه المسكينـة كامي على درجة كبيرة من التقى! إنها، بمـلء إرادتها، تهب نفسها لله إنما هـي قد صممت وقـررت أن تتركني فـريسة اليـأس. وهذا كـان متفقاً عليـه فيما بين الصديقات الصالحات قبـل مغادرة

---

* لم يكن استعمال المظـروف معروفـاً في القرن الثامـن عشر، الرسـالة كـانت عبارة عـن ورقة مطـوية ومختومة.

الدير. لقد قررن أن تذهب كـامي لرؤية ابن خالها الذي يرغب البارون في تزويجه إياها، وأن ترفض، فيتولى اليأس قلب الشاب. حقاً إن هذا لأمر عظيم، أن تضحي فتاة شابة بسعادة ابن خالها في سبيـــل اللـــه! كـــلا، كلا، يا كـامي، إني لا أحبـك و إني لست يـائساً، ولم يـدخل الخنجـر في قلبـي. ولسـوف أثبـت لـك ذلـك! نعـم، ستعلمين أني أحب واحدة سواك قبل أن ترحلي من هنا. يا أيها الرجل الطيب! (يـدخل فلاح) اذهب إلى القصر، وقـل لهم في المطبخ أن يـرسلـوا خـادماً بهذه الكلمـة إلى كامي. (يكتب)

الفلاح أمرك، يا سيدي. (يخرج)

بارديكان والآن إلى الأخـــرى. آه! إني يـــائس! هيـــه، روزات، روزات! (يطرق باباً)

روزات (تفتح) هذا أنت، يا سيدي! ادخل إن والدتي هنا.

بارديكان ضعي أجمل قبعة لديك، يا روزات، وتعالي معي.

روزات إلى أين هكذا؟

بارديكان سأخبرك بذلك، استأذني والدتك، ولكن أسرعي.

روزات أمرك يا سيدي. (تدخل البيت)

بارديكان لقد سـألت كامي مـوعداً آخر، وأنا واثـق أنها ستأتي، ولكن، بحـق السماء. لن تجد هناك ما تتـوقع أن تجده. سأغازل روزات أمام كامي نفسها.

المشهد الثالث

(غابة صغيرة) تدخل كامي والفلاح .

الفلاح سيدتي، إني ذاهب إلى القصر أحمل هذه الرسالة إليك . هل لي أن أعطيك إياها أم أسلمها في المطبخ، كما قال لي سيدي بارديكان؟

كامي هاتها .

الفلاح إن كنت ترين أن أنقلها إلى القصر، فلا داعي لأن تؤخرينني

كامي أقول لك : هاتها .

الفلاح كما تشائين (يعطيها الرسالة)

كامي خذ هذا لقاء تعبك .

الفلاح شكراً جزيلاً، إني ذاهب، أليس كذلك؟

كامي إن شئت .

الفلاح إني ذاهب، إني ذاهب (يخرج)

كامي : (تقرأ) يطلب إليّ بارديكان أن أودّعه قبل أن أرحل، عند النبع الصغير حيث استقدمته أمس. ماذا عساه يريد أن يقول لي؟ هاهو ذا النبع، وأنا قد وصلت. هل لي أن ألبي دعوته هذه؟ رباه! (تختبىء خلف شجرة) هاهو بارديكان قادماً برفقة روزات، أختي بالرضاعة. أحسب أنه سيغادرها، إني جد مسرورة ألا يبدو عليّ أني قد قدمت أولاً. (يدخل بارديكان وروزات، و يجلسان)

كامي (مختبئة، على حدة) ماذا يعني هذا؟إنه يجلسها إلى جانبه؟ أيلتمس مني موعداً كي يأتي ويتسامر مع غيري؟ إني في شوق لمعرفة ما يقوله لها.

بارديكان (بصوت مرتفع بحيث تسمعه كامي) أحبك يا روزات! أنت الوحيدة التي لم تنسي شيئاً من أيامنا الجميلة الماضية، أنت وحدك تذكرين الحياة التي طواها الزمان، خذي نصيبك من حياتي الجديدة، هبيني قلبك أيتها الطفلة العزيزة، إليك عربون حبنا (يضع سلسلته الذهبية في عنقها).

روزات أتعطيني سلسلتك الذهبية؟

بارديكان انظري الآن إلى هذا الخاتم. قومي وهيا نقترب من هذا النبع. أترينا كلينا في الماء، يستند أحدنا إلى الآخر؟ أترين عينيك الجميلتين قرب عيني، ويدك في يدي؟

انظري إلى كل ذلـك وهو يتلاشى (يلقـي خاتمه في الماء) انظري كيف اختفت صورتنا، هـاهي تعود شيئاً فشيئاً، الماء الذي اضطرب يستعيد سكونـه، إنه مازال يرتعش، ثمـة دوائر كبيرة، سـوداء تجري فـوق صفحتـه، صبراً سنبدو ثانية. ها أنـا ألمح مجدداً ذراعيك المتشابكتين مع ذراعيّ، ماهي إلا دقيقة حتى تختفي جميع التجاعيد من وجهـك الجميل، انظـري لقد كـان خـاتماً أعطتني ايـاه كامي.

كامي (على حدة) لقد رمى خاتمي في الماء!

بارديكان أتعلمين مـا هـو الحب، يـا روزات؟ أصغـي! الهواء يصمـت، ومطـر الصبـاح ينسـاب لآلىء على الأوراق الجافة وقد راحت الشمس تبعث فيهاالحياة. أقسم بنور السماء، أقسـم بهذه الشمـس إني أحبـك! أنـت تريدينني، أليس كذلـك؟ لا أحد أذبل شبابك، لا أحد سرّب إلى دمك القاني بقايا دم فاسد. أنت لا تريدين أن تصبحي راهبـة هاأنـت ذي شابـة، وجميلـة بين ذراعي شـاب. آه يا روزات، أتعلمين ما هو الحب؟

روزات لـلأسـف، يـا سيـدي الـدكتـور! سـأحبـك قـدر استطاعتي.

بارديكان أجل، قدر استطاعتك. وأنت ستحبينني أفضل، على الرغم من أني دكتور، وأنت فلاحة، من تلك التماثيل الشاحبة التي تصنعها الراهبات والتي رأسها مكان القلب، وتخرج من الدير لتشيع في الحياة جو صوامعها الرطب، أنت لا تعلمين شيئاً، إنك لن تقرئي في كتاب الصلاة التي تعلمك إياها والدتك كما تعلمتها من أمها، بل أنت لا تفهمين معنى الكلمات التي ترددينها، حينما تركعين عند أسفل سريرك، إنما أنت تدركين أنك تصلين، وهذا كل ما يطلبه منك الله. (*)

روزات عجيب كلامك، يا سيدي.

بارديكان أنت لا تعرفين القراءة، ولكنك تعرفين ما تقوله هذه الغابات، وهذه المروج، هذه الأنهر الهادئة، وتلك الحقول العامرة بالثمار، كل هذه الطبيعة التي تتفجر بروعة الشباب. أنت تعرفين كل هذه الآلاف من الإخوة، وأنا كواحد منهم، ففي ستكونين زوجتي وسنتأصل معاً في عصارة العالم العظيم. (يخرج مع روزات)

---

* يتجلى لنا هنا إلحاد بارديكان، وهي سمة كان يتميز بها شبان ذلك العصر، بفعل الأفكار الفلسفية لفولتير وغيره من الفلاسفة العقلانيين.

المشهد الرابع

تدخل الجوقــة .

الجوقة مـن المؤكد أن ثمـة شيئـاً غـريباً يحدث في القصر، لقـد رفضت كامي الزواج ببـارديكان ، ويفترض أن تعود اليوم إلى الديـر الذي جـاءت منه بيـد أني أظن أن السيـد ابن خالها قد وجد قـرب روزات العزاء والسلوان . واحسرتاه! الفتاة المسكينـة لا تعلـم أي خطر ستـواجه بإصغـائها إلى سيد شاب غزل .

السيدة بلوش (وقد دخلت) هيا ، هيا ، أسرجوا حماري!

الجوقة أتمرين هكـذا مثل طيف مجنـح ، أيتها السيـدة الجليلة؟ أتودين بهذه السرعة أن تمتطي للمـرة الثانية تلك البهيمة المسكينة المكتئبة جداً لأنها ستحملك؟

السيدة بلوش الحمد لله ، أيها النذل ، أني لن أموت هنا .

الجوقة موتي بعيـداً يا صديقتي بلـوش ، موتي مجهولـة في حجرة دير موبوءة . سنضرع إلى الله من أجل قيامتك المباركة .

السيدة بلوش هاهي سيـدتي تقترب (مخاطبة كامي وقـد دخلت) أيتها العزيزة كامـي ، كل شيء معد من أجل سفرنـا . لقد أتم البارون حساباته ، والحمار أسرج .

كامي فلتذهبي إلى الشيطان، أنت وحمارك، لـن أسافر اليوم.

(تخرج)

الجوقة مـاذا يعني هـذا؟ السيـدة بلوش ممتقعـة مـن الرعـب، وشعرها المستعار يهم بالانتصـاب، وصدرها يصفّر بقوة بينما تمتد أصابعها وهي تتشنج.

السيدة بلوش يا يسوع المسيح! إن كامي قد جدّفت. (تخرج)

المشهد الخامس

يدخل البارون وبريدان.

بريدان سيدي. يجب أن أحدثك على انفراد. إن ولدك يغازل فتاة من القرية.

البارون هذا محال يا صديقي.

بريدان إني أبصرته بوضوح يمر بين أعشاب الخلنج وهو متأبط ذراعها. لقد كان يميل على أذنها، ويعدها بالزواج.

البارون يا للعار!

بريدان لا يخامرك الريب في ذلك، لقد قدم إليها هدية ثمينة أرتها الصبية لأمها.

البارون رباه! ثمينة، يا بريدان؟ ما الذي يجعلها ثمينة؟

بريدان وزنها وما سينتج عنها. إنها السلسلة الذهبية التي كان يضعها على قلنسوته.

البارون هيا ندخل إلى مكتبي، إني لفي حيرة من أمري (يخرجان)

المشهد السادس

(غرفة كامي) تدخل كامي والسيدة بلوش

كامي أتقولين إنه أخذ رسالتي؟

السيدة بلوش نعم، يا بنيتي، وقد تكفل بوضعها في البريد.

كامي اذهبي إلى الصالون، يا سيدة بلوش وتفضلي بالقول لبارديكان إني أنتظره هنا (تخرج السيدة بلوش) لقد قرأ رسالتي. لا ريب في ذلك. ومشهد الغابة إنما هو انتقام، مثل حبه لروزات. أراد أن يثبت لي أنه يحب واحدة غيري، وأن يتظاهر باللامبالاة رغم غيظه. أتراه يحبني؟ (ترفع ستاراً) هل أنت هنا يا روزات؟

روزات (وقد دخلت) نعم، أيمكنني الدخول؟

كامي اسمعي يا صغيرتي، ألا يقوم السيد بارديكان بمغازلتك؟

روزات نعم، للأسف!

كامي ما رأيك فيما قاله لك هذا الصباح؟

روزات هذا الصباح؟ أين بالله عليك؟

كامي لا تتجاهلي. هذا الصباح عند النبع، في الغابة الصغيرة.

روزات　قد شاهدتني إذاً؟

كامي　لك الله من طفلة بريئة! لا ، لم أشاهدك. لقد شنّف أذنيك بأحاديثه العذبة، أليس كذلك؟ أراهن أنه وعدك بالزواج.

روزات　كيف عرفت ذلك؟

كامي　لا يهم كيف عرفته. أتثقين بوعوده يا روزات؟

روزات　كيف لا أثق بها؟ هل يخدعني إذاً؟ لماذا؟

كامي　بارديكان لن يتزوجك يا صغيرتي.

روزات　إنني، للأسف، لا أعلم شيئا عن ذلك.

كامي　أنت تحبينه، أيتها الفتاة المسكينة، إنه لن يتزوجك، ولسوف أقدم إليك الدليل على ذلك. عودي وراء هذا الستار، كل ما عليك هو أن تنصتي وتأتي حين أناديك. (تخرج روزات)

كامي　(وحدها) أنا من كنت أحسب أني أقوم بعمل انتقامي، أتراني أقوم بعمل إنساني؟ إن الفتاة المسكينة قد علق قلبها في شباك الحب. (يدخل بارديكان) صباح الخير يا ابن خالي، تفضل بالجلوس.

بارديكان　يا لأناقتك، يا كامي! من هو سعيد الحظ؟

كامي　لعله أنت، إني آسفة لأني لم أستطع أن أفي بالموعد الذي سألتنيه، أكان لديك شيء هام تريد أن تقوله لي؟

(بارديكان (بينه وبين نفسه) إنها لعمري، كـذبة بيضاء كبيرة بعض الشيء بالنسبة لهذا الحمل الطاهـر: لقد شاهدتها خلف شجرة تستمع إلى الحديث. (يرفع صوته) ما عندي شيء أقـوله لـك، اللهـم إلا كلمة وداع، يـا كـامي. كنـت أحسبـك مغادرة إلا أن حصـانـك مازال في الإسطبـل، وأنت لا ترتدين ثياب السفر.

كامي إني أحب الأخذ والرد. وأنا لست متأكدة ما فيه الكفاية أني لا أرغب في أن أتشاجر معك ثانية.

بارديكان ما جـدوى الشجار، حين يكون الصلـح مستحيلاً؟ إن لذة الخصام تكمن في التصافي.

كامي أواثق أنت أني لا أريد الشجار؟

بارديكان دعـي السخـريـة جـانبـاً، لسـت في حـالـة تسمـح لي بالإجابة.

كامي إني أرغب أن يتغزل بي. أنا لا أعلـم إذا كان السبب هو أننـي أرتدي ثـوباً جـديـداً، . لكني أود أن أتسلى. قـد عـرضت عليّ الـذهاب إلى القـريـة، هلم بنـا، لا مانـع عندي، لنـركب قـارباً، إني أرغـب في الذهـاب وتناول غذائي على العشب، أو أقوم بنزهة في الغابة. هل يكون هناك قمـر هذا المسـاء؟ يا للعجـب، إنك لا تحمـل في إصبعك الخاتم الذي أعطيتك إياه!

بارديكان لقد فقدته.

كامي لهذا السبب إذاً وجدته أنا، خذ يا بارديكان، ها هوذا.

بارديكان أمعقول هذا؟ أين وجدته؟

كامي أنت تنظر إن كانت يداي مبتلتين، أليس كذلك؟ الحق أقول إني قد أفسدت ثوب الدير كي أخرج هذه الهدية البسيطة من النبع . وهذا ما دفعني إلى ارتداء ثوب آخر، وأنا أقول لك، إني شعرت على الأثر ببعض التغير، هلا وضعت هذا في إصبعك!

بارديكان أأخرجت هذا الخاتم من الماء، يا كامي، معرضة نفسك لخطر السقوط فيه؟ هل أنا في حلم؟ ها هو ذا، وأنت التي تضعينه في إصبعي! آه لماذا يا كامي تعيدين إليّ هذا العربون المحزن لسعادة غيبها الزمان؟ تكلمي أيتها الفتاة الطائشة . المتدللة لماذا أنت راحلة؟ لماذا أنت باقية؟ لماذا تتغيرين وتتلونين، بين الفينة والأخرى، مثل فص هذا الخاتم مع كل شعاع شمس؟

كامي أعالم أنت بقلوب النساء، يا بارديكان؟ هل أنت واثق من تقلبهن، وهل تعلم إن كن حقيقة يبدلن أفكارهن حين يبدلن أحياناً لغتهن؟ هناك من يقول لا. بلاشك إننا نضطر غالباً إلى أن نلعب دوراً ونكذب، أنا صريحة كما ترى، لكن أمتأكد أنت أن كل ما في المرأة يكذب حين يكذب لسانها؟ هل فكرت ملياً في طبيعة هذا الكائن الضعيف والعنيف، في قسوة حكم الآخرين عليه، وفي القيود التي يغلّونه بها؟ ومن يدري إن كان رأس هذا الكائن الصغير والأرعن لن يستطيب الخداع وقد أجبر عليه، فيكذب أحياناً بدافع التسلية، والطيش، كما يكذب بدافع الضرورة؟

باردیکان لا أفهم شيئاً مما تقولين، وأنا لا أكذب أبداً. أحبك يا كامي هذا كل ما أعرفه.

كامي تقول إنك تحبني، ألا تكذب أبداً؟

باردیکان أبداً.

كامي لكن هاهي واحدة تقول إن ذلك يحدث أحيانا.

(ترفع الستار، تبدو روزات غائبة عن الوعي على مقعد) بم ستجيب هذه الصبية، يا باردیکان، عندما تطلب منك تفسيراً لكلامك؟ إن كنت لا تكذب أبداً، فكيف أغمي عليها إذاً لما سمعتك تقول لي إنك تحبني؟ إني أدعك معها، حاول أن تعيدها إلى وعيها. (تهم بالخروج)

باردیکان لحظة، يا كامي، أصغي إلي.

كامي ماذا تريد أن تقول لي؟ روزات هي التي يجب أن تكلمها. أنا لا أحبك، أنا لم أحضر هذه الصبية المسكينة من كوخها بدافع الغيظ، لأجعل منها طعماً، ودمية، ولست أنا التي رددت بحماقة على مسامعها كلمات متأججة، موجهة إلى غيرها، ولم أتظاهر بأني ألقي بعيداً من أجلها بتذكار صداقة عزيزة، ولم أضع في عنقها سلسلتي، ولم أقل لها إني سأتزوجها.

باردیکان أصغي إلي. أصغي إلي!

كامي ألم تبتسم لتوك حين قلت لـك إني لم أستطع الذهاب إلى النبـع؟ حسناً لقـد كنـت هنـاك، وسمعت كـل شيء، لكن، أقسم بالله مـا كنت خليقة أن أتكلم كما تكلمت أنت. مـاذا ستفعل الآن بهذه الفتاة عنـدما تـأتي إليك، وقبلاتـك الحارة على شفتيها، فتريك وهـي تبكي الجرح الـذي أصبتهـا بـه؟ لقـد أردت الانتقـام منـي، أليـس كذلـك؟ وأن تعاقبني على رسـالة كتبتها إلى ديـري؟ لقد أردت أن تـرميني، مهما كـان الثمن بسهـم، وما كنـت لتهتـم لو اخترق سهمـك المسموم قلـب هذه الصبيـة، بشرط أن يصيبني معها.

لقد تباهيت بأنك تميل إليّ وأنك آسف لفراقي. وهذا قد جـرح كبريـاءك؟ حسنـاً؟ إني أقول لـك إنـك تحبنـي، أتسمـع؟ ولكنـــك ستتـزوج هـذه الفتــاة أو أنــت مجرد جبان.

بارديكان أجل، سأتزوجها.

كامي وستفعل خيراً.

بارديكان كل الخير، وهذا أفضـــل بكثيـــر من الزواج بك أنت. ما الـذي يثيرك هكذا، يـا كامي؟ هـذه الفتاة قـد أغمي عليهـا، ونحن سنعيـدها إلى وعيهـا، كل مـا يلزم هـو زجاجـة خل، لقد أردت أن تثبتـي لي أني كذبـت مرة في حيـاتي، هـذا محتمل، ولكنـي أتحداك أن تقـولي لي متـى حـدث ذلـك. تعــالي سـاعـدينـي في إغــاثـة روزات (يخرجان).

المشهد السابع

يدخل البارون وكامي

البارون إن تم ذلك، فقدت عقلي.

كامي استخدم سلطتك.

البارون سأصاب بالجنون، ولسوف أمتنع عن إعطاء موافقتي.

كامي ينبغي لك أن تكلمه، وتلزمه جادة الصواب.

البارون سيعكر هذا مزاجي طوال فترة الكرنفال، ولن أظهر في البلاط ولو مرة واحدة. إنه زواج غير متكافىء. لم يحدث أبداً أن تزوج أحد من أخت ابنة عمته بالرضاعة، هذا أمر يتخطى المألوف.

كامي أرسل في طلبه، وقل له بصراحة إنك غير راض عن هذا الزواج. صدقني إنه لعمل طائش، وهو لن يقاوم.

البارون سألبس السواد هذا الشتاء، كوني على ثقةمن ذلك.

كامي ولكن كلّمه، بحق السماء! إنه قد ركب رأسه، ربما فات الأوان، إن كان قال ذلك، فسوف يفعله.

البارون سأخلوا بنفسي كي أسترسل في حزني، قولي له، إن سأل عني، إني معتكف وإني مستسلم لألمي إذ أراه يتزوج فتاة لا أصل لها (يخرج).

كامي ألا أجد هنا امرأ ذا شجاعة ومروءة؟ الحق أنه حينما نلتمس مثل هذا الرجل، نصاب بالذعر من وحدتنا. (يدخل بارديكان) وبعد! يا ابن خالي، متى الزواج؟

بارديكان في أقرب وقت ممكن، لقد كلمت في هذا الشأن الكاتب بالعدل والخوري، وجميع الفلاحين.

كامي أعازم أنت حقيقة على الزواج بروزات؟

بارديكان كل العزم.

كامي ماذا سيقول والدك؟

بارديكان يقول ما يشاء، إن الزواج بهذه الفتاة يعجبني، وهي فكرة أنا مدين بها لك، وأتمسك بها. أتريدينني أن أردد على مسامعك كل السخافات التي تشاع عن نسبها ونسبي؟ إنها شابة وجميلة، وهي تحبني، وهذا أكثر مما يلزم ليكون المرء سعيداً كل السعادة. أن تكون ذكية أو لا، هذا سواء عندي، فأنا كنت حرياً أن أقع على من هي أسوأ منها، سيصرخون، ويهزؤون، هذا لن يؤثر فيّ.

كامي لا شيء يدعو للضحك، إنك تقوم بعمل طيب بزواجك بها. بيد أني عاتبة عليك لأمر واحد، وهو أن الناس ستقول إنك فعلت ذلك بدافع الغيظ.

بارديكان أمستاءة أنت من ذلك؟ لا والله!

كامي بلى، إني مستاءة من أجلك. فهذا يسيء إلى شاب لأنه لم يستطع أن يقاوم لحظة غيظ.

بارديكان اغضبي إذاً، أما أنا فالأمر عندي سيان.

كامي لكنك لا تفكر فيما أنت مقدم عليه، إنها فتاة بلا حسب ولا نسب.

بارديكان سيكون لها وضعها إذا عندما تصبح زوجتي.

كامي ستسأم منها قبل أن يلبس موثق العقود ثيابه الجديدة، وينتعل حذاءه ليأتي إلى هنا، ستنفرمنها أثناء وليمة الزفاف، وفي المساء ستقطع لها يديها ورجليها كما في حكايات ألف ليلة، لأنها تفوح منها رائحة المرق.

بارديكان كوني واثقة أنه لن يحدث شيء من هذا القبيل. أنت لا تعرفينني على حقيقتي، عندما تكون المرأة رقيقة، حساسة، نضرة، طيبة، جميلة، فإني لجدير أن أكتفي بهذا حتى لا أهتم أن أعلم إن كانت تتقن اللاتينية.

كامي يا لضيعة كل تلك الأموال التي صرفت على تعليمك! إنها ثلاثة آلاف ريال ذهبت هباء منثوراً.

بارديكان أجل، كان من الخير لهم أن يعطوها للفقراء.

كامي أنت الذي ستتكفل بذلك، على الأقل بالنسبة لضعاف العقول.

بارديكان وهم سيعطونني في المقابل ملكوت السموات لأنه لهم.

كامي كم ستدوم هذه المزحة؟

بارديكان أي مزحة؟

كامي زواجك بروزات.

بارديكان فترة قصيرة جداً : ثلاثين أو أربعين سنـة ، على الأكثر، فالله لم يخلق الإنسان ليعمر أبد الدهر.

كامي ما أشوقني إلى أن أرقص في عرسك!

بارديكان اسمعي ، يا كامي ، إن سخريتك هذه في غير محلها .

كامي إنها تعجبني ، فلا أستطيع لها فراقاً .

بارديكان إذن أفارقك أنت ، لأني قد فاض بي الكيل .

كامي أذاهب أنت إلى عروسك؟

بارديكان نعم ، أنا ذاهب إليها في الحال .

كامي هات ذراعك ، إني ذاهبة بدوري . (تدخل روزات)

بارديكان ها أنت ذي ، يا صغيرتي . تعالي ، فـأنا أريد أن أقدمك إلى والدي .

روزات (تجثو) سيدي ، قد جئت أسألـك معروفاً . جميع سكان القرية الذين كلمتهم هذا الصباح قالوا لي إنك تحب ابنة عمتك ، وإنك لم تغازلني إلا كـي تتسليا كلاكما ، الناس يسخرون مني أثناء مروري ، ولـن أقدر أن أجد لي زوجـاً ها هنا ، بعدما كنت أضحوكة المدينة كلها . هلا أخذت مني العقـد الذي أعطيتني إيـاه ، وتركتني أعيـش بسلام عند والدتي .

كامي أنت فتاة طيبة يـا روزات احتفظي بهذا العقد ، أنا نفسي أعطيك إيـاه ، وابن خالي سيأخـذ عقدي بدلاً منـه . أما بالنسبة للزوج ، فلا تشغلي بالك ، أنا أتكفل بإيجاد واحد لك .

بارديكان هذا ليس بالأمر العسير، في الـواقع هيا يا روزات، تعالي آخذك إلى والدي.

كامي لماذا؟ لا جدوى من ذلك.

بارديكان أجـل أنـت على حـق، إن والــدي حـري أن يستقبلنـا استقبالاً سيئـاً. يجب أن ندعـه ريثما يذهـب عنه تـأثير المفاجأة. تعالي معي، إننا عائدان إلى الساحة. إنه لأمر مضحك، والله أن يقال إني لا أحبك بينما أنا أتزوجك. لعمري لنخرسنّهم. (يخرج هو وروزات).

كامي ما الذي ينتابني، بحق السماء؟ إنه يرافقها بكل هدوء. رباه! يبـدو لي أن رأسي يدور. أتراه يتزوجهـــا حقيقـة؟ يا سيدة بلوش! يا سيدة بلـوش! ألا يوجد إذاً أحد هنا؟ (يدخل خادم).

اذهب في إثـر السيد بارديكان، قـل له بسرعة أن يـرجع إليّ، فأنـا أريد أن أكملـه. (يخرج الخادم) ولكن مـا كل هذا؟ إني مـا عدت أستطيع الاحتمال، وقـدماي تـأبيان حملي. (يرجع بارديكان)

بارديكان أأرسلت في طلبي، يا كامي؟

كامي لا، لا

بارديكان لله مـا أشد شحوبـك! ماذا تـريدين أن تقـولي لي؟ هل استقدمتني كي تكلميني؟

كامي لا، لا! رحماك اللهم. (تخرج)

المشهد الثامن

(مصلى) تدخل كامي، فترتمي عند أسفل المذبح

كامي أتخليت عني يا إلهي؟ أنت تعلم أني حين جئت كنت قد أقسمت أن أكون وفية لك، ولما أبيت أن أصبح زوجة لسواك، ظننت أني أتكلم بصدق أمامك وأمام ضميري، أنت تعلم ذلك، أبانا في السموات، أما عدت إذاً تريدني؟ آه، لماذا تجعل الحقيقة نفسها تكذب؟ لماذا أنا ضعيفة إلى هذه الدرجة؟ يا لتعاستي، إني لم أعد أستطيع أن أصلي! (يدخل بارديكان).

بارديكان أيتها الكبرياء، يا أشأم مرشد للنفس الإنسانية، ماذا جئت تفعلين بيني وبين هذه الفتاة؟ هاهي ذي شاحبة ومذعورة، تضغط على البلاط القاسي بقلبها ووجهها. كانت جديرة أن تحبني، ونحن قد خلقنا الواحد للآخر، ماذا جئت تفعلين على شفاهنا أيتها الكبرياء، إذ كانت أيدينا على وشك أن تتحد؟

كامي من لحق بي؟ من يتكلم تحت هذه القبة؟ أهذا أنت يا بارديكان؟

بارديكان لله ما أغبانا! نحن متحابان. أي حلم شاهدنا يا كامي؟ أي كلام عقيم، أي حماقات وضيعة مرت مثل ريح مشؤومة بيننا كلينا؟ أي منا أراد أن يخدع الآخر؟ واهاً! إن هذه الحياة بحد ذاتها حلم مزعج للغاية! لماذا نضيف إليها أيضاً أحلامنا! رباه، إن السعادة لؤلؤة نادرة جداً في هذا المحيط المتلاطم الأمواج! أنت وهبتنا إياها، أيها الصياد الإلهي، لقد أخرجتها من أجلنا من غياهب اليم، هذه الجوهرة الثمينة، ونحن الأطفال المدللون، قد جعلناها لعبة، لقد كان الدرب الأخضر، الذي كان يقود أحدنا نحو الآخر، ينحدر برفق، وكانت تحيط به الحشائش المزهرة، ويتوه في أفق هادىء، هادىء! إلا أن الغرور والهذر، والغضب، كلها شاءت أن تلقي بصخورها الشوهاء على هذا الطريق الإلهي، الذي كان من شأنه أن يوصلنا إليك في قبلة! لكن كان يجب علينا أن نأثم في حق أنفسنا، لأننا بشر! يا لنا من غبيين! إننا متحابان. (يحتضنها إلى صدره).

كامي أجل، إننا متحابان يا بارديكان، دعني أشعر بذلك على صدرك. هذا الرب الذي ينظر إلينا لن يستاء منا، إنه يريدني أن أحبك، لقد مضت خمسة عشر عاماً وهو يعلم ذلك.

بارديكان أيتها المخلوقة العزيزة، أنت لي. (يقبلها، تصدر صرخة عالية من خلف المذبح)

كامي إنه صوت أختي بالرضاعة.

بارديكان كيف جاءت إلى هنا؟ كنت قد تركتها على السلم، عندما أرسلت في طلبي. لابد أنها قد تبعتني من حيث لا أدري.

كامي لندخل إلى هذه الردهة، إن الصرخة قد صدرت منها.

بارديكان لا أعلم ماذا ينتابني، يبدو لي أن يديّ ملطختان بالدماء.

كامي لاشك أن الصبية المسكينة قد تنصتت علينا، لقد أغمي عليها مرة ثانية، تعالي نمد إليها يد المساعدة، آه ما أقسى كل ذلك!

بارديكان لا، لن أدخل، إني أشعر ببرودة قاتلة تشلني. اذهبي، يا كامي وحاولي إعادتها إلى وعيها. (تخرج كامي) أضرع إليك، اللهم، ألا تجعل مني قاتلاً! أنت ترى ما يجري، نحن ولدان أحمقان، وقد لعبنا بالحياة والموت، إنما قلبنا طاهر، لا تقتل روزات، أيها الرب العادل! سأجد لها عريساً، وأصلح غلطتي، إنها شابة ستكون غنية، ستكون سعيدة، لا تفعل ذلك، يا إلهي! مازال بمقدورك أن تبارك أربعة من أولادك، وبعد يا كامي، ماذا حدث؟

(تعود كامي)

كامي لقد ماتت! الوداع، يا بارديكان.

«النهاية»

صدر من هذه السلسلة

العنوان	المؤلف
١ ـ سمك عسير الهضم	تأليف : مانويل جاليتش
٢ ـ القبرة (جان دارك)	تأليف : جان انوي
٣ ـ البرج	تأليف : هال انوي
٤ ـ عاصفة الرعد	تأليف : تساويو
٥ ـ الخادم الأخرس ـ التشكيلة أو عرض الأزياء	تأليف : هارولد بنتر
٦ ـ الشيطانة البيضاء	تأليف : جون ويستر
٧ ـ الاسكندر المقدوني أو قصة مغامرة	تأليف : تبرانس راتيجان
٨ ـ سباق الملوك	تأليف : تبرانس راتيجان
٩ ـ استعدوا لركوب الطائرة وغيرها	تأليف : جون مورتيمر
١٠ ـ النيازك	تأليف : فريدريش دورينهات
١١ ـ دراما اللامعقول	تأليف : يونسكو ـ داموف ـ أرابال البي
١٢ ـ مس جوليا ـ الأب	تأليف : أوجست سترندبرج
١٣ ـ عطيل يعود	تأليف : نيقوس كازندزاكي
١٤ ـ أنشودة أنجولا	تأليف : بيتر فايس
١٥ ـ تواضعت فظفرت	تأليف : أوليفر جولد سميث
١٦ ـ مدرسة الزوجات ـ نقد مدرسة الزوجات ـ ارتجالية فرساي	تأليف : موليير
١٧ ـ عسكر ولصوص أونيد كيللي	تأليف : دوجلاس سيتوارت
١٨ ـ العين بالعين	تأليف : وليم شكسبير
١٩ ـ الطريق إلى دمشق ـ ثلاثية	تأليف : أوجست سترندبرج
٢٠ ـ ١٤ يوليو	تأليف : رومان رولان
٢١ ـ شجرة التوت	تأليف : انجس ويلسون
٢٢ ـ روس أولرانس العرب	تأليف : تيرانس راتجان
٢٣ ـ حلاق أشبيلية	تأليف : كارون دي بومارشيه
٢٤ ـ هاملت	تأليف : وليم شكسبير
٢٥ ـ الحياة الشخصية	تأليف : نويل كوارد
٢٦ ـ نساء تراخيس	تأليف : سوفوكل
٢٧ ـ رجل الله ـ القلوب النهمة	تأليف : جبرييل مارسل
٢٨ ـ ليلة ساهرة من ليالي الربيع	تأليف : انريكي خارديل بونثلا

٢٩ ـ الأقوى ـ الرباط ـ الجرائم ـ موسيقى الشبح | تأليف : أوجست ستريندبرج
٣٠ ـ اصطياد الشمس | تأليف : بيتر شافر
٣١ ـ حكاية فاسكو ـ السيد نويل | تأليف : جورج شحادة
٣٢ ـ انتصار حورس | تأليف : هـ. و. فيرمان
٣٣ ـ بيوت الأرامل ـ العابث | تأليف : جورج برنارد شو
٣٤ ـ ثلاث مسرحيات طليعية ـ قرافة السيارات ـ فاندو وليز ـ الشجرة المقدسة | تأليف : فرناندو أرابال
٣٥ ـ أوديب الملك ـ أوديب في كولون ـ اليكترا | تأليف : سوفوكل
٣٦ ـ اليكترا ـ لن تقع حرب طروادة | تأليف : جان جيرودو
٣٧ ـ المغنية الصلعاء ـ الدرس ـ جاك أو الامتثال ـ المستقبل في البيض ـ الكراسي | تأليف : يوجين يونسكو
٣٨ ـ مسرحيات إذاعية | تأليف : كوبل تشيرشل ـ شارب مانج
٣٩ ـ روما لم تعد في روما ـ المحراب المضيء أو (مصباح النعش) | تأليف : جبرييل مارسل
٤٠ ـ شيطان الغابة ـ الخال فانيا | تأليف : أنطون تشيخوف
٤١ ـ مهاجر بريسبان ـ البنفسج | تأليف : جورج شحادة
٤٢ ـ ديانا والمثال ـ الحياة عطاء ـ لذة الأمانة | تأليف : لويجي بيرندلو
٤٣ ـ ستيفن «د» ـ منفيون | تأليف : جيمس جويس
٤٤ ـ الغرماء ـ الأميرة البيضاء ـ عيد الفصح | تأليف : أوجست ستريندبرج
٤٥ ـ أنتيجونه ـ أجاكس ـ فيلوكتيت | تأليف : سوفوكل
٤٦ ـ سدوم وعمورة ـ مجنونة شايو | تأليف : جان جيرودو
٤٧ ـ ضحايا الواجب ـ مرتجلة الما ـ سفاح بلا كراء | تأليف : يوجين يونسكو
٤٨ ـ طريق القمة ـ العالم المكسور | تأليف : جبرييل مارسل
٤٩ ـ الحلم الأمريكي ـ الطابعان على الآلة | تأليف : البي شيزجال
٥٠ ـ الأرض كروية | تأليف : أرمان سالاكرو
٥١ ـ السلاح والإنسان ـ كانديدا ـ رجل المقادير | تأليف : جورج برنارد شو
٥٢ ـ الحارس | تأليف : هارولد بنتر

٥٣ ـ ابن أمية أو ثورة المورسكيين — تأليف : مارتنيس دي لاروزا
٥٤ ـ مأساة كريولانس — تأليف : وليم شكسبير
٥٥ ـ القصة المزدوجة للدكتور بالمي — تأليف : أنطونيو بويرو بايبخو
٥٦ ـ الكترا ـ أورستيس — تأليف : يوربيديس
٥٧ ـ هرناني — تأليف : فيكتور هيجو
٥٨ ـ المستنيرون — تأليف : ليو تولستوي
٥٩ ـ سجاناريل ـ المتحذلقات المضحكات ـ مدرسة الأزواج ـ الطبيب الطائر ـ غيرة الباربوييه — تأليف : موليير
٦٠ ـ الطريق إلى روما — تأليف : روبرت شيروود
٦١ ـ المهرجون ـ قصة فلادلفيا — تأليف : فيليب باري
٦٢ ـ قصة حياة — تأليف : ماكس فريش
٦٣ ـ أوبرا الصعلوك — تأليف : جون جي
٦٤ ـ الابن الطبيعي — تأليف : دنيس ديدرو
٦٥ ـ رقصة الموت ـ الطريق الكبير — تأليف : أوجست سترندبرج
٦٦ ـ أيام العمر ـ سكان الكهف — تأليف : وليم ساروبان
٦٧ ـ العارض ـ بيرينيس المصرية — تأليف : أندريه شديد
٦٨ ـ المعصرة ـ أداء الأدوار ـ أبوزهرة بفمه — تأليف : لويجي بيرندلو
٦٩ ـ حالة طوارىء — تأليف : ألبير كامي
٧٠ ـ حياة جالليو ـ طبول في الليل — تأليف : برتولت برشت
٧١ ـ غرفة المعيشة — تأليف : جراهام جرين
٧٢ ـ المستأجر الجديد ـ اللوحة ـ الخرتيت — تأليف : يوجين يونسكو
٧٣ ـ السفر ـ سهرة الأمثال — تأليف : جورج شحادة
٧٤ ـ نجونا بأعجوبة — تأليف : ثورنتون وايلدو
٧٥ ـ تلميذ الشيطان ـ هداية القبطان براسباوند — تأليف : جورج برنارد شو
٧٦ ـ الملك لير — تأليف : وليم شكسبير
٧٧ ـ الطريق — تأليف : وول شوينكا
٧٨ ـ عزيزي مارات المسكين — تأليف : إلكسي أربورف
٧٩ ـ زفاف زبيدة — تأليف : هوجو فون هومانزتال
٨٠ ـ مياه بابل ـ رقصة العريف — تأليف : جون آردن
٨١ ـ روبسبير — تأليف : رومان رولان
٨٢ ـ أوديب — تأليف : سنكا
٨٣ ـ ظمأ ـ عبودية ـ ضباب ـ مبحرون شرقا إلى كارديف ـ في المنطقة ـ بدر على البحر الكاريبي — تأليف : يوجين اونيل

٨٤ ـ فرسان المائدة المستديرة ـ الآباء الأشقياء — تأليف : جان كوكتو
٨٥ ـ تعلم الفرنسية بلا دموع ـ الممر المضيء — تأليف : تيرانس راتيجان
٨٦ ـ العرس الدموي — تأليف : فديريكو غرسيا لوركا
٨٧ ـ الحياة حلم — كالدرون دي لاباركا
٨٨ ـ يوليوس قيصر — تأليف : وليم شكسبير
٨٩ ـ الفينيقيات ـ المستجيرات — تأليف : يوربيديس
٩٠ ـ لكل عالم هفوة — تأليف : الكسندر استروفسكي
٩١ ـ ظل الوادي ـ الراكبون إلى البحر ـ زفاف السمكري ـ بئر القديسين — تأليف : جون ميلنجتون سنج
٩٢ ـ فتى الغرب المدلل ـ ديردرا فتاة الأحزان ـ عندما غاب القمر — تأليف : جون ميلنجتون سنج
٩٣ ـ كلهم أبنائي ـ الثمن — تأليف : آرثر ميللر
٩٤ ـ أوبرا القروش الثلاثة ـ لوكولوس ـ بعل — تأليف : برتولت برشت
٩٥ ـ تيمون الأثيني — تأليف : وليم شكسبير
٩٦ ـ خادم سيدين — تأليف : كارلو جولدوني
٩٧ ـ رحلة السيد بريشون — تأليف : أوجين لابيش
٩٨ ـ فتاة في سن الزواج ـ مشاجرة رباعية ـ تخريف ثنائي ـ الثغرة ـ لعبة الموت — تأليف : يوجين يونسكو
٩٩ ـ ست شخصيات تبحث عن مؤلف ـ كل شيخ له طريقة ـ الليلة نرتجل — تأليف : لويجي بيرندلو
١٠٠ ـ انتحار الحبيبين في سونيزاكي ـ معارك كوكسينجا — تأليف : تشيكا ماتسبو
١٠١ ـ وراء الأفق ـ أنا كريستي — تأليف : يوجين أونيل
١٠٢ ـ الحرية المغلوبة ـ صعود البطل — تأليف : جون آردن
١٠٣ ـ مأساة عطيل — تأليف : وليم شكسبير
١٠٤ ـ الطلبة المشاغبون ـ قبل يوم الاثنين الموعود ـ الليلة يوم الجمعة — تأليف : جانز كوبر ـ كولين فينيو
١٠٥ ـ حرم سعادة الوزير ـ الدكتور — تأليف : برانيسلاف نوشيتش
١٠٦ ـ القمر في النهر الأصفر — تأليف : دنيسن جونستون
١٠٧ ـ بينما تسطع الشمس ـ المهرجون — تأليف : تيرانس راتيجان
١٠٨ ـ الحصان المغمى عليه ـ الشوكة — تأليف : فرانسواز ساجان
١٠٩ ـ الصنوبرة المجتثة ـ انتحار الحبيبين في اميجيما — تأليف : تشيكاماتسو

١١٠ ـ الأم الشجاعة ـ السيد بنتلا وخادمه ماتي	تأليف : برتولت برشت
١١١ ـ الغضب ـ الملك يموت ـ العطش والجوع	تأليف : يوجين يونسكو
١١٢ ـ العاصفة	تأليف : وليم شكسبير
١١٣ ـ هكذاالدنيا تسير	تأليف : وليم كونجريف
١١٤ ـ الدراما الثورية الإسبانية ـ فصيلة على طريق الموت ـ النطحة ـ الكمامة	تأليف : ألفونسو ساستري
١١٥ ـ مرحلة الواقعية الأولى ـ رغبة تحت شجر الدردار	تأليف : يوجين أونيل
١١٦ ـ الآلة الجهنمية	تأليف : جان كوكتو
١١٧ ـ جيتس فون برلشجن	تأليف : يوهان فلفجلنج جيته
١١٨ ـ مأساة طيبة أو الشقيقان فيدر	تأليف : جان راسين
١١٩ ـ ليوكاديا	تأليف : جان انوي
١٢٠ ـ الشر يستطير ـ الصابرون	تأليف : جاك أوديبرتي
١٢١ ـ مضيفة النزلاء	تأليف : جاك أوديبرتي
١٢٢ ـ أسطورة دون كيشوت ١٩٦٨	تأليف : بويرو باييغو
١٢٣ ـ حلم العقل	تأليف : بويرو باييغو
١٢٤ ـ مكبث	تأليف : وليم شكسبير
١٢٥ ـ القيثارة الحديدية	تأليف : جوزيف أوكنرو
١٢٦ ـ عائلتي ـ الأشباح	تأليف : ادواردو دي فيليبو
١٢٧ ـ الزملاء الثلاثة	تأليف : جيمس بروم لين
١٢٨ ـ ممثل الشعب	تأليف : برانيسلاف نوفيتس
١٢٩ ـ الناشزون	تأليف : آرثر ميللر
١٣٠ ـ العائلة ـ خيال مريض	تأليف : إيفان سرجيفتش ـ فوجنيف
١٣١ ـ الكرز المزهر	تأليف : روبرت بولت
١٣٢ ـ توركواتو تاسو	تأليف : يوهان فلفجانج جيته
١٣٣ ـ مشهد في الطريق	تأليف : المررايس
١٣٤ ـ حبا بحب	تأليف : وليم كونجريف
١٣٥ ـ تحيا الملكة	تأليف : روبرت بولت
١٣٦ ـ لورانز الشو	تأليف : الفريد دي موسيه
١٣٧ ـ الإمبراطور جونز ـ الغوريلا	تأليف : يوجين أونيل
١٣٨ ـ هرقل فوق جبل أويتا	تأليف : سينيكا

١٣٩ ـ دنيا زوال تأليف: موريس هارت ـ جورج كوفمان
١٤٠ ـ ميليت ـ السيد تأليف: لير كورني
١٤١ ـ قفزة في الخلاء أو ـ العجوز المراهق تأليف: دونا ماكونا
١٤٢ ـ المستر دولار تأليف: برانسيلاف نوشيتس
١٤٣ ـ زوجة كريح تأليف: جورج كيلي
١٤٤ ـ التطلع إلى المصيف ـ مغامرات المصيف ـ العودة من المصيف تأليف: كارلو جولدوني
١٤٥ ـ اللصوص تأليف: فريدرش شلر
١٤٦ ـ ثلاث قبعات كوبا تأليف: ميجيل ميورا
١٤٧ ـ القلب المحطم تأليف: جون فورد
١٤٨ ـ جريمة قتل في الكاتدرائية تأليف: ت. س. إليوت
١٤٩ ـ حفل كوكتيل تأليف: ت. س. إليوت
١٥٠ ـ نقيب كوبينيك تأليف: كارل توكماير
١٥١ ـ الآلة الكبير براون تأليف: يوجين أونيل
١٥٢ ـ مختارات من المسرح الافريقي
ـ الخادم تأليف: فرديناند أويونو
ـ الزنزانة تأليف: هارولد كمل
١٥٣ ـ شهر في القرية تأليف: إيفان تورجينيف
١٥٤ ـ الجدة الأولى تأليف: فرانس جريليا وتسر
١٥٥ ـ المرحوم تأليف: برانيسلاف نوشيتس
١٥٦ ـ النمر والحصان تأليف: روبرت بولت
١٥٧ ـ حملة الدكتوراه تأليف: موريل سبارك
١٥٨ ـ فلهلم تل ١٨٠٤ تأليف: فريدرش شلر
١٥٩ ـ عيد الميلاد في بيت كوبيللو تأليف: ادواردو دي فيليبو
١٦٠ ـ إنسان روسوم الآلي تأليف: كاريل تشابيك
١٦١ ـ أول من صنع الخمر ـ ليلة تبكي الملائكة تأليف: تولستوي
١٦٢ ـ زواج لوترو هاديك تأليف: بيتر ليرسوف
١٦٣ ـ سلطان الظلام تأليف: جول رومان
١٦٤ ـ الأعزب تأليف: إيفان تورجينيف
١٦٥ ـ الآنسة روزيتا العانس أو لغة الزهور تأليف: فديريكو غريسيه لوركا
١٦٦ ـ افيجينيا في أوليس ـ افيجينيافي تاوريس تأليف: يوربيديس
١٦٧ ـ أندرو ماخي ـ الطرواديات تأليف: يوربيديس

١٦٨ـ سابفو — تأليف : فرانس جزيليارتسر
١٦٩ ـ أصوات الأعماق — تأليف : إدواردو دي فيليبو
١٧٠ ـ أبوالهول الحي — تأليف : رجب تشوسيا
١٧١ ـ الريفية — تأليف : إيفان تورجينيف
١٧٢ ـ الآلة الحاسبة — تأليف : المرل . رايس
١٧٣ ـ الناسك الأسود — تأليف : جيمس نجوجي
ـ ولد للموت — تأليف : سام توليا موهيكا
ـ الخروج — تأليف : توم أومارا
١٧٤ ـ مصرع كاسبر هاوزر — تأليف : ديتر فورته
١٧٥ ـ الغابة — تأليف : الكسندر استروفسكي
١٧٦ ـ الدكتاتور — تأليف : جول رومان
١٧٧ ـ خاتمان من أجل سيدة — تأليف : أنطونيو جالا
١٧٨ ـ انحراف في قصر العدالة — تأليف : أوجويتي
١٧٩ ـ أغسطس من أجل الشعب — تأليف : نيجل دنيس
١٨٠ ـ عابدات باخوس — تأليف : يوربيديس
١٨١ ـ ايون — تأليف : يوربيديس
١٨٢ ـ هيبوليتوس — تأليف : يوربيديس
١٨٣ ـ مارسيل بانيول — تأليف : طوباز
١٨٤ ـ عمود النار ـ الكلايدوسكوب ـ نفير الضباب — تأليف : راي برادبوري
١٨٥ ـ جريمة في جزيرة الماعز — تأليف : أوجوبتي
١٨٦ ـ ميديا — تأليف : بيير كورني
١٨٧ ـ الفتى المذهب — تأليف : كليفوره أوديتس
١٨٨ ـ عصر الجليد — تأليف : تانكرد دورست
١٨٩ ـ الكذاب — تأليف : بيير كورني
١٩٠ ـ العدالة — تأليف : جون جولزود ذي
١٩١ ـ أوبو ملكا — تأليف : الفريد جاري
١٩٢ ـ أوبو عبدا — تأليف : الفريد جاري
١٩٣ ـ أوبو فوق التل ـ أوبو زوجا مخدوعا — تأليف : الفريد جاري
١٩٤ ـ ما ثمن المجد — تأليف : ماكسويل أندرسون
١٩٥ ـ نجمة أشبيلية — تأليف : لوبي دي بيجا
١٩٦ ـ وحش طوروس — تأليف : عزيز نسين
١٩٧ ـ افعل شيئا يامت — تأليف : عزيز نسين
١٩٨ ـ المتعاملون — تأليف : كوبيناسكي

١٩٩ ـ هرج ومرج في المنزل — تأليف: كويسي كادي
٢٠٠ ـ الجزء الأول من حكاية الملك هنري الرابع — تأليف: وليم شكسبير
٢٠١ ـ الأشباح — هنريك إبسن
٢٠٢ ـ البطة البرية — تأليف: هنريك إبسن
٢٠٣ ـ أعمدة المجتمع — تأليف: هنريك أبسن
٢٠٤ ـ نابولي مليونيرة — تأليف: ادواردو دي فيليبو
٢٠٥ ـ عطلة الإسكافي — تأليف: توماس دكر
٢٠٦ ـ الحبل المتهدل أو أغنية القطار الشبح — تأليف: فرناندو أرابال
٢٠٧ ـ ماريوس — تأليف: مارسيل نانيول
٢٠٨ ـ جثة حية — تأليف: تولستوي
٢٠٩ ـ السكين الكبير — تأليف: كيلفورد أودتيس
٢١٠ ـ الأرض الحرام — تأليف: هارولد بنتر
٢١١ ـ مذنبون بلا ذنب — تأليف: الكسندر استروفسكي
٢١٢ ـ رحلة النهار الطويلة خلال الليل — تأليف: يوجين أونيل
٢١٣ ـ سيدات متقاعدات — تأليف: ادوارد بيرسي وريجينالد دنهام
٢١٤ ـ الهارب — تأليف: جون جولزورذي
٢١٥ ـ السحب ـ ١ — تأليف: اريستوفانيس
٢١٦ ـ السحب ـ ٢ — تأليف: اريستوفانيس
٢١٧ ـ مجانين واختصاصيون — تأليف: وول سوينكا
٢١٨ ـ الموت وفارس الملك — تأليف: وول سوينكا
٢١٩ ـ لون بشرتنا — تأليف: ثيلستينو جورستيثا
٢٢٠ ـ توركاريه — تأليف: آلان رينيه لوساج
٢٢١ ـ السيد دي ساد — تأليف: يوكيو ميشيما
٢٢٢ ـ الأيام الخوالي — تأليف: هارولد بنتر
٢٢٣ ـ الآلية — تأليف: صوفي تريدويل
٢٢٤ ـ شروق الشمس — تأليف: تساويوي
٢٢٥ ـ الحياة المديدة للملك أوزوالد ـ المؤامرة — تأليف: فيليمير لوكيتش
٢٢٦ ـ العاصفة الرعدية — تأليف: الكسندر استروفسكي
٢٢٧ ـ الضوء يسطع في الظلام — تأليف: ليون تولستوي
٢٢٨ ـ سيدة الفجر — تأليف: اليخاندرو كاسونا
٢٢٩ ـ منحنى خطر — تأليف: ج. ب. بريستلي
٢٣٠ ـ توراندوت — تأليف: فريدريك شيلر
٢٣١ ـ الجمعية الأدبية — تأليف: هنري أفوري

ـ جواهر المعبد	تأليف : جيمس اين هنشو
٢٣٢ ـ فاوست ـ الجزء الأول ـ المقدمة	تأليف : جيته
٢٣٣ ـ فاوست ـ الجزء الثاني ـ نص مسرحي	تأليف : جيته
٢٣٤ ـ فاوست ـ الجزء الثالث ـ نص مسرحي	تأليف : جيته
٢٣٥ ـ القفص ـ الانتحار	تأليف : ماريو فراتي
٢٣٦ ـ ملكة الليل في بحر حجري	تأليف : يان سولوفيتش
٢٣٧ ـ افتتاحية الهادىء	تأليف : جون ويدمان
٢٣٨ ـ كازانوفا	تأليف : جييوم أبولينير
٢٣٩ ـ نهدا تريزياس ـ لون الزمن	تأليف : جييوم أبولينير
٢٤٠ ـ وظيفة مريحة	تأليف : السكندر استروفسكي
٢٤١ ـ مطعم القردة الحية	تأليف : غونكور ديلمان
٢٤٢ ـ الخزان العظيم	تأليف : بيتر ترسون
٢٤٣ ـ كنت هنا من قبل	تأليف : ج . ب . بريستلي
٢٤٤ ـ بيت آل روزمر	تأليف : هنريك إبسن
٢٤٥ ـ حورية من البحر	تأليف : هنريك إبسن
٢٤٦ ـ أيولف الصغير	تأليف : هنريك إبسن
٢٤٧ ـ بيركليس	تأليف : وليم شكسبير
٢٤٨ ـ حرية المدينة	تأليف : براين فرايل
٢٤٩ ـ بنات تراخيس	تأليف : سوفوكليس
٢٥٠ ـ المرأة ـ اليقظ دائما	تأليف : جواد فهمي باشكوت
٢٥١ ـ البيت الذي شيده سويفت	تأليف : غريغوري غورين
٢٥٢ ـ ميدان بيركلي	تأليف : جون بولدرستون
٢٥٣ ـ مؤامرة الإمبراطورة	تأليف : إلكسي تالستوي
٢٥٤ ـ قضية روبرت أوبينهايمو	تأليف : هاينز كيبهارت
٢٥٥ ـ نساء لهن ماض	تأليف : ديميتر ديموف
٢٥٦ ـ هيكابي	تأليف : يوربيديس
٢٥٧ ـ الناووس أو التابوت الحجري	تأليف : فلاجيمير جوبريف
٢٥٨ ـ نهاية اللعبة	تأليف : صمويل بيكيت
٢٥٩ ـ سيمبلين	تأليف : وليم شكسبير
٢٦٠ ـ وداع في يونيو	تأليف : الكسندر فامبيلوف
٢٦١ ـ النبي المقنع	تأليف : عبدالكريم الخطابي
٢٦٢ ـ بلا لبس ـ دماء آل بامبيرغ	تأليف : جون أوزبورن
٢٦٣ ـ الرجل المنسي	تأليف : ناظم حكمت
٢٦٤ ـ باولو وفرانتشيسكا	تأليف : ستيفن فيليبس

٢٦٥ ـ ليالي الغضب	تأليف : أرمان مالاكرد
٢٦٦ ـ لا	تأليف : ماكس أوب
٢٦٧ ـ حمام روماني	تأليف : ستانسلان ستراتييف
٢٦٨ ـ المفتش	تأليف : نيقولاي غوغول
٢٦٩ ـ الرجل الأحزن	تأليف : بيرج زيتونتيان
٢٧٠/ ٢٧١ـ في انتظار جودو	تأليف : صمويل بيكيت
ـ الرحلة الجانبية	تأليف : مارتن فالسر
٢٧٢/ ٢٧٣ـ في سبيل الحرية	تأليف : جوهر مراد
ـ صحيفة الشيخ شرزين	تأليف : بهرام بيضائي
٢٧٤/ ٢٧٥ـ عندما نبعث نحن الموتى	تأليف : هنريك إبسن
ـ غرائب عندليب	تأليف : تينسي ويليامز
٢٧٦/ ٢٧٧ـ الجزيرة القرمزية	تأليف : ميخائيل بولغاكوف
ـ بوريس جودونوف	تأليف : ألكسندر بوشكين

قسيمة اشتراك

البيان	سلسلة المسرح العالمي		مجلة الثقافة العالمية		مجلة عالم الفكر		سلسلة عالم المعرفة	
	د.ك	دولار	د.ك	دولار	د.ك	دولار	دك	دولار
المؤسسات داخل الكويت	٢٠	-	١٢	-	١٢	-	٢٥	-
الأفراد داخل الكويت	١٠	-	٦	-	٦	-	١٥	-
المؤسسات في دول الخليج العربي	٢٤	-	١٦	-	١٦	-	٣٠	-
الأفراد في دول الخليج العربي	١٢	-	٨	-	٨	-	١٧	-
المؤسسات في الدول العربية الأخرى	-	٥٠	-	٣٠	-	٢٠	-	٥٠
الأفراد في الدول العربية الأخرى	-	٢٥	-	١٥	-	١٠	-	٢٥
المؤسسات خارج الوطن العربي	-	١٠٠	-	٥٠	-	٤٠	-	١٠٠
الأفراد خارج الوطن العربي	-	٥٠	-	٢٥	-	٢٠	-	٥٠

الرجاء ملء البيانات في حالة رغبتكم في: تسجيل اشتراك ☐ تجديد اشتراك ☐

الاسم:	
العنوان:	
اسم المطبوعة:	مدة الاشتراك:
المبلغ المرسل:	نقداً / شيك رقم:
التوقيـــع:	التاريخ: / / ١٩م

تسدد الاشتراكات مقدما بحوالة مصرفية باسم المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب مع مراعاة سداد عمولة البنك المحول عليه المبلغ في الكويت.

وترسل على العنوان التالي:

السيد الأمين العام للمجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب

ص. ب: ٢٣٩٩٦ ـ الصفاة ـ الرمز البريدي 13100

دولة الكويت

المؤامرة والحب

تأتي أهمية شلر، مؤلف المسرحية، من أنه قطب بارز في الحركة الرومانسية الأوربية، والتي أسست لاتجاه جديد في الفكر والأدب والفن، وغيرت قواعد عديدة، فرضتها الروح الكلاسيكية السابقة عليها.

وأما أهمية هذه المسرحية، فتنطلق من مكانتها في تاريخ المسرح، سواء في زمن عرضها لأول مرة على المسارح الألمانية، خلال حياة مؤلفها، أو في الفترات اللاحقة لذلك، مثل القرن التاسع عشر، والقرن العشرين.

وإضافة إلى الأعمال الفنية العديدة التي ألفت بإيحاء من هذه المسرحية، مثل مقطوعة «فيردي» الأوبرالية والتي أخذت نفس اسم المسرحية الأصلي «لويزة ملر». والمحاولات الأربع المختلفة والمعروفة لإنتاج هذه المسرحية في مجال الفن السينمائي.

لا مزاح في الحب

تفسر الحياة الاجتماعية الزاهية، في نهاية حكم الملك الفرنسي لويس الثالث عشر، ولادة «المثل المسرحي»، الذي لم يكن في الأصل سوى تسلية من تسليات منتديات الطبقة الراقية، على شكل مسرحية قصيرة مرتجلة تمثل في الصالون نفسه. وفي هذه المسرحية لألفريد موسيه، يتخلى المثل المسرحي عن ارتجاله، ويتسم بطابع العالم الخيالي، ويجد «المثل المسرحي» رائعته الفذة، إذ تحول إلى ملهاة حقيقية، ويتحقق التوازن الدقيق بين الخيال والحقيقة، بين خفة الفانتازيا وقوة العاطفة.

سعر النسخة:

الكويت ودول الخليج	٥٠٠ فلس
الدول العربية الأخرى	ما يعادل دولارا أمريكيا
خارج الوطن العربي	دولاران أمريكيان